مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفاً لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الثامن

سورة الأنعام

مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سَعْد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفًا لوالديه

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٥-٥٦-٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٨)

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم
معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الثامن

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير آيات من سورة الأنعام
وهي مكية

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال العَوْفيّ وعِكْرمة وعَطاء، عن ابن عباس: أُنزلت سورة الأنعام بمكة.

وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجّاج بن مِنْهال، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس، قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلًا جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح(١).

وقال سفيان الثوري، عن لَيْث، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن أسماء بنت يزيد قالت: نزلت سورة الأنعام على النبيِّ ﷺ جملة [واحدة] وأنا آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ، إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة. وقال شريك، عن ليث، عن شهر، عن أسماء قالت: نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد نظموا ما بين السماء والأرض. وقال السُّدِّي عن مُرَّة، عن عبد الله قال: نزلت سورة الأنعام يشيِّعها سبعون ألفًا من الملائكة.

وروي نحوه من وجه آخر، عن ابن مسعود.

وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا: حدثنا محمد بن

---

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١٢/ ٢١٥)، وفي سنده علي بن زيد ابن جدعان وهو ضعيف، وله شواهد لاحقة.

عبد الوهاب العبدي، أخبرنا جعفر بن عَوْن، حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمٰن السُّدِّي، حدثنا محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر قال: لما نزلت سورة الأنعام سَبّح رسول الله ﷺ، ثم قال: «**لقد شيَّع هذه السورة من الملائكة ما سدَّ الأفق**». ثم قال: صحيح على شرط مسلم[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآثار وإن كان فيها ضعف، بعضها موقوف، وبعضها ضعيف، لكنها يشد بعضها بعضًا، تدل على عظمة هذه السورة العظيمة، ولا شك أن القرآن كله عظيم، كله كلام الربِّ ﷻ فيه الهدى والنور، فهذه مزية خاصة لنزول هذه الآية، الله أكبر.

مداخلة: لكن كونها جملة يا شيخ! كونها؟

الشيخ: نزلت جملة واحدة، من أولها إلى آخرها.

مداخلة: لكن الصواب أنها نزلت بمكة.

الشيخ: الله أعلم؛ لأن هذه الروايات كلها فيها ضعف، ما بين الموقوف وضعيف، نعم.

مداخلة: لكن قلتم: الله يرضى عليكم: يشد بعضها بعضًا؟

الشيخ: لكن ما يوجب القطع يُوجب الظن!

مداخلة: عفا الله عنك: الموقوف هنا، أليس له حكم الرفع؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: أليس للموقوف هنا حكم المرفوع من كلام ابن مسعود؟

الشيخ: مقارب؛ لأنه يقال: إن الحديث ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو بكر بن مَرْدُوَيه: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا إبراهيم بن

---

(١) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه، وصحَّحه وتعقبه الذهبي بقوله: وأظن هذا موضوعًا (المستدرك ٢/ ٢١٤).

دُرُسْتُويه الفارسي، حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني عمر بن طلحة الرقاشي، عن نافع بن مالك أبي سهيل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة، سَد ما بين الخَافِقَين لهم زَجَل بالتسبيح والأرض بهم تَرْتَجّ**»، ورسول الله ﷺ يقول: «**سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم**»(١).

ثم روى ابن مَرْدُوَيه عن الطبراني، عن إبراهيم بن نائلة، عن إسماعيل بن عمرو، عن يوسف بن عطية، عن ابن عَوْن، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله: «**نزلت عَلَيّ سورة الأنعام جملة واحدة، وشَيَّعَها سبعون ألفًا من الملائكة، لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد**»(٢).

*

بسم الله الرحمن الرحيم

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام: ١ ـ ٣](٣).

---

(١) أخرجه الطبراني من طريق أحمد بن محمد السالمي به (المعجم الأوسط ح٦٤٤٧). وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أبي سهيل نافع بن مالك الأعربي طلحة، ولا عن عمر بن طلحة إلا ابن أبي فديك، تفرد به أحمد بن محمد السالمي. وقال الهيثمي: محمد بن عبد الله بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي لم أعرفهما (مجمع الزوائد ٧/ ٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني عن إبراهيم بن نائلة به (المعجم الصغير ١/ ٨)، قال الهيثمي: فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف (المجمع ٧/ ٢٠).

(٣) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الأربعاء ١٧ ـ ٦ ـ ١٤١٩هـ.

يقول الله تعالى مادحًا نفسه الكريمة، وحامدًا لها على خلقه السموات والأرض قرارًا لعباده، وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم، فجمع لفظ «الظلمات» ووحَّد لفظ «النور»؛ لكونه أشرف، كما قال ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨]، وكما قال في آخر هذه السورة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾؛ أي: ومع هذا كله كفر به بعض عباده، وجعلوا معه شريكًا وعدلًا واتخذوا له صاحبة وولدًا، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾، يعني: أباهم آدم الذي هو أصلهم ومنه خرجوا، فانتشروا في المشارق والمغارب.

وقوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾ قال سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ﴾، يعني: الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾، يعني: الآخرة.

وهكذا رُوي عن مجاهد، وعِكْرِمة، وسعيد بن جُبَيْر، والحسن، وقتادة، والضحاك، وزيد بن أسلم، وعطية، والسُّدِّي، ومُقاتِل بن حَيَّان، وغيرهم[(١)].

وقول الحسن - في رواية عنه: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ﴾ قال: ما بين أن يخلق إلى أن يموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾ ما بين أن يموت إلى أن يبعث[(٢)] - هو يرجع إلى ما تقدم، وهو تقدير الأجل الخاص، وهو عمر كل إنسان، وتقدير الأجل العام، وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها، وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة.

---

(١) بعض هذه الآثار أخرجها الطبري بأسانيد ثابتة كقول مجاهد وقتادة والحسن.

(٢) أخرجه الطبري من طريق أبي بكر الهذلي عن الحسن، وسنده ضعيف جدًّا بسبب أبي بكر الهذلي وهو متروك (التقريب ص٦٢٥).

(٣) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عنه.

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾، يعني: مدة الدنيا[١] ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾، يعني: عمر الإنسان إلى حين موته، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ الآية [الأنعام: ٦٠].

وقال عطية، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾، يعني: النوم، يقبض فيه الروح، ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾، يعني: أجل موت الإنسان[٢]، وهذا قول غريب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأقرب والله أعلم ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ لكل نفس لها أجلها، خلقهم من طين كما هو خلق أبيهم وهم من ماء مهين، لكن أصلهم الطين، كل واحد له أجل مسمى ينتهي إليه، والجميع ينتهون بقيام الساعة، فالأجلان معروفان أجل خاص لكل إنسان، وأجل عام وهو المسمَّى بالآخرة، فالإنسان له أجلان: **أجل خاص به** وهو موته الذي كتبه الله عليه، **والأجل الثاني**: أجل عام يبعث الله فيه الخلائق، يميت أهل الدنيا ويبعث الله به الخلائق جميعًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لجزائهم ويأتيهم أجورهم، والفصل بينهم بحُكمه العدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾، مع ما جاءت به الرسل وإيضاح الحق، الكفار يمترون ويفسقون، أما أهل الإيمان فهم يصدقون بكل ما أخبر الله به ورسوله ويعلمون أن الإنسان له أجل محتوم، متى انتهى جاءه ملك الموت، والجميع لهم أجل مسمى متى حضر قامت القيامة، الله أكبر.

● **س: يكون الأصل خلق الإنسان من طين يا شيخ؟**

○ **الجواب**: الطين فيه الماء.. التراب إذا جعل فيه الماء صار طين، فآدم من ماء وطين من التراب والماء.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن عطية العوفي به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى قوله: ﴿عِندَهُۥ﴾؛ أي: لا يعلمه إلا هو، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وكقوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٤].

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ قال السُّدِّي وغيره: يعني تشكُّون في أمر الساعة(١).

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ اختلف مفسِّرو هذه الآية على أقوال، بعد الاتفاق على تخطئة قول الجَهْمِيَّة الأول القائلين بأنه ـ تعالى عن قولهم علوًّا كبيرًا ـ في كل مكان؛ حيث حملوا الآية على ذلك، فأصح الأقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض؛ أي: يعبده ويوحِّده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمُّونه الله، ويدعونه رَغَبًا ورَهَبًا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]؛ أي: هو إله مَنْ في السماء وإله مَنْ في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبرًا أو حالًا.

والقول الثاني: أن المراد أن الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، من سر وجهر. فيكون قوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ متعلقًا بقوله: ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون.

والقول الثالث: أن قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ وقف تام، ثم استأنف الخبر فقال: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ وهذا اختيار ابن جرير.

---

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي نحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس بشيء: هو يعلم السر وأخفى في السماوات وفي الأرض، يعلم أحوال عباده في السماء والأرض، وأسرارهم وكل شيء، والمعنى: أنه إله من في السماء وإله من في الأرض، القول الأول هو الصواب، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وهو إله الجميع: إله أهل السماء، وإله أهل الأرض، ومعبودهم الحق.

مداخلة: القول الأول هو الأرجح؟

○ **الجواب**: هو الصواب، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾؛ أي: جميع أعمالهم خيرها وشرها.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ **[الأنعام: ٤ ـ ٦]**[١].

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين المكذبين المعاندين: إنهم مهما أتتهم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾؛ أي: دلالة ومعجزة وحجَّة، من الدلالات على وحدانية الرب عَجَّلَ، وصدق رسله الكرام، فإنهم يُعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها.

قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾، وهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدُنَّ غِبَّه، وليذوقُنَّ وَباله.

ثم قال تعالى واعظًا ومحذرًا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعًا، وأكثر أموالًا وأولادًا واستغلالًا للأرض وعمارة لها، فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾؛ أي: من الأموال والأولاد والأعمار، والجاه العريض، والسعة والجنود، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾؛ أي: شيئًا بعد شيء، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾؛ أي: أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض؛ أي: استدراجًا وإملاء لهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها، ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾؛ أي: فذهب الأولون كأمس الذاهب وجعلناهم أحاديث، ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾؛ أي: جيلًا آخر لنختبرهم، فعملوا مثل أعمالهم فهلكوا كهلاكهم. فاحذروا أيها المخاطَبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فما أنتم بأعزَّ على الله منهم، والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم، فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم، لولا لطفه وإحسانه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كله وعيد للناس، وتحذيرٌ لهم من التسويف: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾، يعني: فاحذروا أن يصيبكم مما أصاب أولئك.

المقصود: تحذير قريش وغيرهم من أمته ﷺ أن يكذِّبوا، وحث لهم على المبادرة والمسارعة إلى التصديق؛ لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك المكذبين من العذاب والنكال، وإنذار للجميع لأهل زمانه ولغيرهم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينذر عباده بعقوباته وأليم عقابه: لعلهم يهتدون، لعلهم يتبصرون، والقرآن نزل ذكرى وعظة: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ﴿قُلْ

هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، فالواجب على كل مؤمن، والواجب على كل مكلف من الجن والإنس أن ينتبه وأن يعد العدة للآخرة وليعمل بكتاب ربه وسنة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، وأن لا يتساهل أو يُعرِض أو يكذِّب فيصيبه ما أصاب مَن قبله، الله ﷻ أقام الحجة وقطع المعذرة، وحذَّر الله عباده من سلوك مسالك الأشرار الهالكين، لا حول ولا قوة إلا بالله.

الملقي: أحسن الله إليك! ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧].

* * *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ **[الأنعام: ٧ ـ ١١]**(١).

يقول تعالى مخبرًا عن كُفر المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم ومنازعتهم فيه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: عاينوه، ورأوا نزوله، وباشروا ذلك ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾، وهذا كما قال تعالى مخبرًا عن مكابرتهم للمحسوسات: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في فجر الأحد ٢١ ـ ٦ ـ ١٤١٩هـ.

﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾؛ أي: فيكون معه نذيرًا قال الله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾؛ أي: لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب، كما قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢].

وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾؛ أي: ولو أنزلنا مع الرسول البَشَرِيّ ملكًا؛ أي: لو بعثنا إلى البشر رسولًا ملكيًّا لكان على هيئة رجل لتُفْهَم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما يلبسون على أنفسهم في قَبول رسالة البشري، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، فمن رحمة الله تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلًا منهم، ليدعو بعضهم بعضًا، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤].

قال الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا﴾ الآية. يقول: لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور[(١)]، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾؛ أي: ولخلطنا عليهم ما يخلطون. وقال الوالبي عنه: ولشبَّهنا عليهم[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري من طريق الضحاك به، وسنده منقطع لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة الوالي به.

وقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ هذا تسلية لرسوله محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة.

ثم قال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾؛ أي: فكروا في أنفسكم، وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم، من العذاب والنكال، والعقوبة في الدنيا، مع ما ادَّخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة، وكيف نَجَّى رسله وعباده المؤمنون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآيات الكريمات فيها العظة لنا والتذكير لهذه الأمة، وأن الواجب على ذي العقل: المبادرة إلى الحق وعدم العناد والمراوغة، فإن هؤلاء المجرمين كلما جاءتهم الرسل راوغوا عن الإجابة وعن التصديق وتعلَّقوا بأشياء باطلة، فالواجب على المؤمن والواجب على ذي العقل السليم أن يقبل الحق إذا جاءه، وأن يثبت عليه، وأن يستقيم عليه، وأن لا يسلك مسالك المجرمين، الذين حادوا عن الصواب وتعلقوا بالشُّبَه الباطلة، فالحق عليه نور؛ فمتى جاء الحق وجب الأخذ به والتمسك به والاستقامة عليه والدعوة إليه والرضا به، والحذر من مشابهة الكافرين المعاندين. ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾، مكابرة للحق وعناد وتأسٍّ بمن قبلهم من المجرمين، وقد بيَّن الله حال المجرمين السابقين، وما أصابهم بسبب العناد، فانظر ما جرى على قوم نوح من الغرق العظيم فهلكوا عن آخرهم إلا من كان مع نوح في السفينة، كذلك ما جرى لقوم هود من الريح العقيم والعذاب الأليم، وما جرى لقوم صالح، وما جرى لقوم شعيب وقوم لوط وغيرهم، وما جرى لفرعون وقومه من النكال والعقوبات العامة التي نزلت بهم؛ بسبب العناد والمكابرة والاستكبار على الحق.

فاحذر يا عبد الله واحذروا أيها الأمة المحمدية أن يصيبكم ما أصاب أولئك بسبب العناد والمكابرة، يعني: بادروا بالامتثال والتصديق والعمل حتى لا يصيبكم ما أصاب من قبلكم، ومن لم يصبه في الدنيا العذاب بسبب المكابرة والعناد فسوف يصيبه في الآخرة، العذاب لا بد منه لمن كذب وأبى، فإن لم يعجل أصابه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. نسأل الله العافية.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢ ـ ١٦][(١)].

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيهن، وأنه قد كتب على نفسه المقدَّسة الرحمة، كما ثبت في الصحيحين، من طريق الأعْمَش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ** ـ هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهْوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ ـ **إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»[(٢)].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب يوم الأحد ٢٩ ـ ٥ ـ ١٤١١هـ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

معنى هذا، معنى قوله ﷺ: «**إن رحمتي تسبق غضبي**» أو «**تغلب غضبي**»، معناه أن رحمته أوسع سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا عفو كريم وشديد العقاب؛ كما قال جل وعلا: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، فهو شديد العقاب لمن خالف أمره، وارتكب نهيه، وهو عظيم الرحمة والإحسان والعفو لمن استقام على أمره، وأدَّى حقه، وهو مع ذلك جل وعلا تغلب رحمته غضبه، فيعفو كثيرًا، ويصفح كثيرًا جل وعلا لجوده وكرمه سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾ [النجم: ٣٢].

ولهذا أخبر سبحانه أن جميع الذنوب ما دون الشرك كلها تحت المشيئة؛ فقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فجعل جميع الذنوب التي دون الشرك كلها تحت المشيئة، يغفر منها ما يشاء سبحانه وتعالى، ثم إذا عاقب فهي عقوبة مؤقتة، لها نهاية وهي خروجهم من النار إلى الجنة هكذا جاء لجميع العصاة، إذا دخلوا النار فإنهم لا يخلدون فيها، بل لهم أمد ولهم نهاية عند أهل السنة والجماعة، وإن تفاوتت المدة في بقائهم في النار لكنهم لهم نهاية، فلا يخلد فيها إلا الكفار، وأما العصاة فإنهم إذا دخلوها لا يخلدون خلود الكفار، ولكن يخلدون على حسب عظم المعاصي. ولهذا جاء الوعيد في الزاني والقاتل، والقاتل نفسه بالخلود، وهو خلود ليس مثل خلود الكفار؛ ولكنه خلود له نهاية؛ لأن طول الإقامة يسمَّى خلودًا؛ ولهذا يقول جل وعلا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا

= ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ برقم (٧٤٠٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥١).

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، قال في قاتل نفسه إنه يدخل النار خالدًا مخلدًا فيها، قال في الزاني والقاتل: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]، فالعصاة متوعَّدون بالنار، وبعضهم يُتوعَّد بالخلود لكن كل ذلك له نهاية عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، وبهذا يتضح سعة جوده ورحمته ومغفرته ﷻ، وأنه واسع المغفرة، وواسع الرحمة، أوجب على نفسه الرحمة ﷻ، ولم يوجبها أحد، بل أوجبها سبحانه على نفسه وكتبها على نفسه، وجعلها سابقة وغالبة لغضبه ﷻ، فضلًا منه وإحسانًا، فلا يهلك عليه إلا هالك. فجدير بالعاقل، وجدير بالمكلف أن يجتهد في أسباب المغفرة، وأن يحرص على أسباب المغفرة والرحمة، وأن لا يتعاطى ما يحرمه من هذه المغفرة الواسعة والرحمة العظيمة بكفره وضلاله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ﴾ هذه اللام هي الموطئة للقسم، فأقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده لميقات يوم معلوم [وهو يوم القيامة] الذي لا ريب فيه ولا شك فيه عند عباده المؤمنين، فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يتردَّدون.

وقال ابن مَرْدُوَيه عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عُقْبَة، حدثنا عباس بن محمد، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا مِحْصَن بن عقْبَة اليماني، عن الزبير بن شَبِيب، عن عثمان بن حاضر، عن ابن عباس قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين، هل فيه ماء؟ قال: «**والذي نفسي بيده، إن فيه لماء، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار، يذودون الكفار عن حياض الأنبياء**»(١).

(١) حكم عليه الحافظ بأنه غريب.

هذا حديث غريب وفي الترمذي: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»(١).

ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: لا يصدِّقون بالمعاد، ولا يخافون شر ذلك اليوم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يفيد أن الأنبياء لهم أحواض يوم القيامة، ولكن حوض نبينا ﷺ حوض عظيم، كما جاء في الصحيحين وغيرهما: «**طوله شهر، وعرضه شهر، يرده المؤمنون، ويذاد عنه الكافرون، يصب فيه ميزابان من الكوثر من الجنة، من شرب لم يظمأ بعدها أبدًا حتى يدخل الجنة**» في هذا اليوم العظيم يوم القيامة يوم يجمعهم ﷻ يوم الجمع ذلك يوم التغابن، وفي الأرض ذلك اليوم حوضه ﷺ، هذا العظيم الذي طوله شهر وعرضه شهر، وميزانه عدد نجوم السماء، وفي هذا الحديث ذكر أحواض الأنبياء أن لهم أحواضًا تردها أممهم المؤمنة.

مداخلة: يا شيخ! العصاة.

• **س**: **بالنسبة للعصاة هل يردون الحوض؟**

○ **الجواب**: نعم، لا يذاد عنه إلا المرتدون، قال: «**فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»، نسأل من الله العافية.

الأسئلة:

• **س**: **إذا دعي الرجل إلى وليمة وأتاه ضيوف فهل له أن يدعوهم**

---

(١) أخرجه الترمذي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعًا، ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب. وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا ولم يذكر فيه سمرة وهو أصح في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض برقم (٢٤٤٣).

إلى من دعاه أم يلزمه الاستئذان لهم؟ أم يذهب بهم بدون استئذان من دعاه؟

○ **الجواب:** هذا محل نظر، نعم، أقول يختلفون، قد يكون كثير، قد يكون قليل، قد يكون الداعي لك يعرفهم يستبشر بهم وقد لا يسرونه، الواجب إنك تكرمهم أنت، وإذا طلبوا منك الذهاب أو قالوا نذهب معك تستأذن لهم، مثل ما استأذن النبي ﷺ لما دُعي، فبيَّن النبي ﷺ في خامس خمسة، فجاء معه سادس فاستأذن له، أما إذا كان الداعي يقول: أنت ومن شئت، حيَّاك أنت ومن شئت ومن معك ومن تريد، هذا ما يحتاج استئذان.

مداخلة: أقول: ما في رواية صريحة هنا أن النبي ﷺ استأذن لمن معه.

○ **الجواب:** قد يكون الداعي دعاه ومن أحب، ما هو صريح، قد يكون دعاه ومن أحب، نعم.

● **س: معنى يا شيخ غير مودع ربنا؟**

○ **الجواب:** غير متروك يعني، يعني: نحن في حاجة إليه مضطرون إليه لا نتركه.

مداخلة: ومكفي.

الشيخ: غير مكافأ على إحسانه، ما أحد يستطيع يكافئه سبحانه وتعالى.

مداخلة: ومستغن عنه؟

الشيخ: ولا نستغني عنه كذلك، الناس فقراء إليه.

● **س: إجابة الدعوة للوجوب هنا؟**

○ **الجواب:** الأصل وجوب إجابة الدعوة، هذا هو الأصل، بعض الفقهاء خصَّه بدعوة العرس، لكن ظاهر الأحاديث حتى غير دعوة العرس؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**إذا دُعي أحدكم فليجب**»، عرسًا كان أو

نحوه، إذا كان من حق المسلم على أخيه يجيبه إذا دعاه، فظاهره العموم إلا إذا سمح عنك، قلت يا أخي سامحني أنا مشغول أو عندي شغل أو كذا، أو إذا كان أنت معذور مريض أو طريق مخوف، لا يجب إذا كان هناك أسباب.

● **س: أحسن الله إليك! ربِّنا أو ربَّنا الرواية؟ الجواب: ولا مستغن عنه ربِّنا وربَّنا، ربنا بدل من الضمير في عنه.**

مداخلة: يصير نداء على النداء يا ربَنا؟

الشيخ: ربَنا يا ربنا، أو أخص ربنا حل المفعول به عن المحذوف، ربُنا خبر لمبتدأ محذوف هو ربنا، فيها الجر والنصب والرفع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾؛ أي: كل دابة في السموات والأرض، الجميع عباده وخلقه، وتحت قهره وتصرفه وتدبيره، ولا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾؛ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم.

ثم قال لعبده ورسوله محمد ﷺ، الذي بعثه بالتوحيد العظيم والشرع القويم، وأمره أن يدعو الناس إلى صراطه المستقيم: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ كقوله: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، والمعنى: لا أتخذ وليًّا إلا الله وحده لا شريك له، فإنه فاطر السموات والأرض؛ أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سَبَق.

﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾؛ أي: وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

وقرأ بعضهم هاهنا: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ الآية؛ أي: لا يأكل.

وفي حديث سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ، قال: فانطلقنا معه، فلما طعم النبي ﷺ وغسل يديه قال: «**الحمد لله الذي يُطعِم ولا يَطْعَم، ومَنَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسَقانا وكلّ بَلاء حَسَن أبلانا، الحمد لله غير مُودّع ولا مكافَأ ولا مكفور ولا مُسْتَغْنًى عنه، الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام، وسقانا من الشراب، وكسانا من العري، وهدانا من الضلال، وبَصَّرنا من العَمَى، وفَضَّلنا على كثير ممن خلق تفضيلًا، الحمد لله ربِّ العالمين**»[١].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾؛ أي: من هذه الأمة ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾، يعني: يوم القيامة.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾، يعني: العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾، يعني: فقد رحمه الله ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ كما قال: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والفوز: هو حصول الربح ونفي الخسارة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا شك أن من رزق الفوز بالجنة والسعادة فهذا هو الفوز المبين وهو الفوز العظيم، وهو السعادة الأبدية، وأسبابها: طاعة الله والاستقامة على دينه والثبات على ذلك، هذه أسباب السعادة، من استقام على أسباب السعادة هنا فاز بالنعيم المقيم والسعادة الأبدية، وذلك بتقوى الله والقيام بحقه، والاستقامة على طاعته، وترك معصيته، والتواصي بذلك والتعاون في ذلك، هذا هو طريق النجاة، هذا هو سبيل السعادة، أما

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة من السنن الكبرى برقم (١٠١٣٣)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/٥٤٦).

الغفلة والإعراض والاستكبار، فهذا طريق النار. نعوذ بالله. نسأل الله العافية.

الأسئلة:

الحكم على حديث: (دعا رجل من الأنصار من أهل قباء...):

● **س: حديث أبي هريرة هذا ثابت؟**

○ **الجواب**: يحتاج تأمل، لكن بعضه ثابت، «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مَكْفُورٍ ـ وَقَالَ مَرَّةً الْحَمْدُ للهِ رَبِّنَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ ـ وَلَا مُسْتَغْنًى، رَبَّنَا**»(١). ثابت في الصحيح. «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُئْوِيَ**»(٢)، «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ**»(٣).

مداخلة: أحسن الله إليك! بعض أذكاره ثابتة.

○ **الجواب**: الثابت مما جاء في حديث حياض الأنبياء.

● **س: أحسن الله عملك. أحاديث: «إن لكل نبيٍّ حوضًا» هل ثابتة؟**

○ **الجواب**: تحتاج إلى تأمل، الثابت حوض نبينا عليه الصلاة والسلام، وجاءت أحاديث أن لكل نبي حوضًا تحتاج إلى أن تجمع أدلتها وما ورد فيها.

مداخلة: يا شيخ! في تعليق. يقول: حديث الحوض حياض

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العقيقة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه برقم (٥٤٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٥).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا برقم (٤٠٢٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام برقم (٣٤٥٨)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام برقم (٣٢٨٥)، والإمام أحمد (٣/ ٤٣٩).

الأنبياء، يقول: ضعيف من هذا الوجه من أجل سعيد بن بشير الشامي، وأما حديث أبو هريرة يقول: رواه النسائي في عمل اليوم والليلة وابن السني كذلك، والحاكم في المستدرك وابن حبان كلهم من طريق بشر بن منصور وهو بصري، قال ابن مهدي: ما رأيت أحدًا أخوف لله منه، وكان يصلي في كل يوم خمسمائة ركعة، وكان ورده ثلث القرآن. وقال أبو زرعة: ثقة مأمون، عن زهير بن محمد، قال البخاري: ما روى عنه أهل الشام فإنه مناكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح، وفي روايته عن أحمد نحو ذلك. قلت: وهذا الذي بين أيدينا من رواية أهل البصرة عنه عن سهيل به، فيكون حسنًا من أجل سهيل، والله أعلم.

الشيخ: هذا مقبل؟

مداخلة: تلاميذ مقبل.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: تلاميذ مقبل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، يحتاج جمع، يحتاج.. لعل بعض منكم يجمعها. يجمع أسانيدها؟

مداخلة: في تعليق سابق لكم، يقول: والأحاديث عن أحواض الأنبياء كلها ضعيفة أو مرسلة، وهي من باب الحسن لغيره، والثابت حوض النبي ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا ما يمنع من جمعها، إذا تيسر أحدكم يجمعها، من يلتزم بها من؟

مداخلة: إن شاء الله ألتزم بجمعها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

من الأخ؟.

مداخلة: أمجد غانم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن شاء الله، تحرص عليها.

مداخلة: إن شاء الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بارك الله فيك. وإن فعلها أحد غيرك جاز، أنت ومن يحب ذلك أيضًا من الباقين.

● **س: تخصيص قول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ **على بعض الآلام الموجعة مثل وجع الضرس والرأس ما رأيك يا شيخ؟!**

الشيخ: كونه ما سكن ما ينافي الآية: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مداخلة: يشرع قراءة الآية على الضرس ما ذكر الأخ؟ وتكتب الآية.

مداخلة: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾.

الشيخ: على ظاهرها، أقول: على ظاهرها، كلها ملك له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مداخلة: يشرع قراءتها؟ على الوجع، قراءة الآية على الوجع يشرع؟

○ **الجواب:** كل القرآن يقرأ كما أنزله الله، أما كونه في أوقات معينة لا بد من الدليل، لا يقال هذه الآية تقرأ في كذا ولا هذه السورة تقرأ إلا بالدليل، والقرآن كله يقرأ للقربة إلى الله وطلب الرضا، كل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها.

مداخلة: التجربة كافية في هذا؟

● **س: إذا جُربت آية في ألم أو مرض وقال: هذه للصداع وهذه..؟**

○ **الجواب:** لا لا، ما يصلح إلا بدليل.

مداخلة: عفا الله عنك!

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٧ ـ ٢١][1].

يقول تعالى مخبرًا أنه مالك الضر والنفع، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء، لا مُعَقِّب لحكمه، ولا رَادَّ لقضائه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ الآية [فاطر: ٢]. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[2]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾؛ أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الأربعاء ٢٤ ـ ٦ ـ ١٤١٩هـ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة برقم (٨٤٤)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة برقم (٥٩٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا دعوة العباد إلى أن يضرعوا إليه ويتوكلوا عليه ويسألوه من فضله، فإنه المتصرف لعباده، ليس في أيدي العباد شيء، بل ذلك إليه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، وفي آية أخرى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ [يونس: ١٠٧]، فالعبد ليس له قدرة على كشف الضر، ولا جلب النفع إلا بالله عَزَّ وَجَلَّ، فعليه يضرع إلى الله، ويأخذ بالأسباب التي شرعها وأباحها سبحانه، ويتوكل عليه جَلَّ وَعَلَا، وهو مصرف الأمور، والجالب للنفع، والكاشف للضر، وهذا لا ينافي الأخذ بالأسباب، المؤمن يؤمن بهذا، وأن الله سبحانه هو الذي يقدر الأمور بيده كشف الضر وجلب النفع، ولكنه سبحانه أمر بالأسباب أيضًا، أنت مأمور بالأسباب التي هي من أسباب كشف الضر وجلب النفع، كما أنك مأمور تأكل وتشرب حتى تدفع الجوع والظمأ، وتلبس لستر العورة واتقاء البرد واتقاء الحر إلى غير ذلك، فالأمور بيده جَلَّ وَعَلَا وأنت مأمور بالأسباب، فلا تحتجَّ بالقدر على ترك الأسباب، ولا تأخذ بالأسباب وتنسى ربك مصرف الأمور، ولكن هذا وهذا، اطمئن بتقدير الله وآمن بالله، وصدق بما أخبرك به مولاك، وخذ بالأسباب التي شرعها لك وأباحها لك مؤمنًا، بأنه سبحانه مدبر الأمور ومصرف الأمور، وكاشف الضراء وجالب النفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: في جميع ما يفعله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بمواضع الأشياء ومحالها، فلا يعطي إلا لمن يستحق ولا يمنع إلا من يستحق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى (الحكيم)، يعني: الذي يضع الأشياء في مواضعها، ليست عبثًا ولا سدى، ولكنه حكيم يضع الأمور في مواضعها، يضع العافية في

محلها، والمرض في محله، الغنى في محله والفقر في محله، وإن خفي على الناس تلك الأسباب.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! المريض فيه مرض خطير يعني: مثلًا فيه جلطة ومركّبين فيه الأجهزة الطبية الكبار، ويقولون: لو فصلناها توفي، نقول لهم: افصلوها وخلاص وإلا؟

○ **الجواب**: هذا يختلف إذا كان فيها فائدة وإلا فتؤخر، لكن لا يغسل ولا يصلى عليه حتى يُعلم موته، وإذا كان ما فيها فائدة تؤخر.

● **س: الفوقية بالنسبة للآية تشمل أيضًا فوقيته بالذات أو الا فوقيته..؟**

○ **الجواب**: نعم، عامة، فوق عباده ذاتًا وتصرفًا سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾؛ أي: من أعظم الأشياء شهادة ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: هو العالم بما جئتكم به، وما أنتم قائلون لي: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾؛ أي: وهو نذير لكل من بلغه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشَجّ، حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب في قوله: ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ قال من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ زاد أبو خالد: وكلّمه.

ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر، عن محمد بن كعب قال: من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وأنذر من بلغ أيضًا، أنذركم أيها الحاضرون، وأنذر من بلغ في آخر الزمان في حالنا الآن ومن يأتي بعدنا، فهو نذير للجميع، لمن كان في عهده ﷺ، ومن

جاء بعده إلى يومنا وإلى ما بعد ذلك، إلى أن تطلع الشمس من مغربها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة في قوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ إن رسول الله ﷺ، قال: «**بلِّغوا عن الله، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بَلَغه أمر الله**»(١).

وقال الربيع بن أنس: حق على من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالذي دعا رسول الله ﷺ، وأن ينذر كالذي أنذر.

وقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾؛ أي: أيها المشركون ﴿أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾. ثم قال مخبرًا عن أهل الكتاب: إنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون أبناءهم، بما عندهم من الأخبار والأنباء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء، فإن الرسل كلهم بَشَّروا بوجود محمد ﷺ وبعثه وصفته، وبلده ومُهَاجَرِه، وصفة أمته؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: خسروا كل الخسارة، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ بهذا الأمر الجلي الظاهر الذي بشَّرت به الأنبياء، ونوهت به في قديم الزمان وحديثه.

ثم قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۗ﴾؛ أي: لا أظلم ممن تَقَوَّل على الله، فادَّعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحُجَجه وبراهينه ودلالاته، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: لا يفلح هذا ولا هذا، لا المفتري ولا المكذب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم نسأل الله العافية، والمعنى الحذر من تكذيب الحق، والحذر من الكذب، كله ظالم المكذب بالحق والكاذب، كلاهما ظالم،

(١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأنه مرسل.

فالواجب الحذر، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾، هؤلاء ظالمون وهؤلاء ظالمون، فالواجب التصديق بالحق واتباع الحق والانقياد له.

• س: أحسن الله إليك! اليهود والنصارى الآن هل قامت عليهم الحجة وبلغهم القرآن؟

○ **الجواب**: بلا شك، أنها قائمة عليهم، الله المستعان.

الملقي: أحسن الله إليك! ثم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢].

الشيخ: بركة. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على محمد.

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٢ ـ ٢٦][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة فيسألهم عن الأصنام والأنداد التي كانوا يعبدونها من دونه قائلًا لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، كما قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [٦٢].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في مغرب الأحد ١٤ ـ ١٠ ـ ١٤١١هـ، وفجر الأحد ٢٨ ـ ٦ ـ ١٤١٩هـ.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾؛ أي: حجتهم. وقال عطاء الخراساني، عن ابن عباس: أي: معذرتهم. وكذا قال قتادة. وقال ابن جريج، عن ابن عباس: أي قيلهم. وكذا قال الضحاك.

وقال عطاء الخراساني: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ بليَّتهم حين ابتلوا ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى الرازي، عن عمرو بن أبي قيس، عن مُطَرِّف، عن المنهال، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عباس، سمعت الله يقول: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ قال: أما قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة، فقالوا: تعالوا فلنجحد، فيجحدون، فيختم الله على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثًا، فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا قد نزل فيه شيء، ولكن لا تعلمون وجهه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمِّي الآلهة: شركاء على زعمهم، على زعم المشركين، وإلا فليسوا بشركاء، فليس لله شريك ﷻ، ولكن شركاؤهم يعني بزعمهم، أنهم شركاء لله، يعبدونهم معه، ويدعونهم معه، ويستغيثون بهم، ويزعمون أن لهم شفاعة عنده، وأنهم يتصرفون، هذه الشركة التي زعموها باطلة، ويوم القيامة يتضح لهم بطلانها، ويعرفون أنهم في غرور وفي ضلال، ومعنى الحشر: الجمع، ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾: نجمعهم، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ يعني: نجمعهم يوم القيامة، فإذا قيل: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ يعني: أين آلهتكم؟ حينئذٍ ما بقي عندهم إلا الجحد ﴿قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، يعني هكذا جوابهم عند الفتنة، عند الاختبار، معنى ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ يعني: مقتضى الفتنة، ونهاية الفتنة التي امتحنوا بها وسئلوا عن آلهتهم،

واختبروا، والاختبار والامتحان يقال له: فتنة، ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

ويوم القيامة له أحوال، في بعضها يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، يجحدون، وفي وقت آخر يقرُّون، قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، وفي وقت آخر يجحدون ويُنطق الله أسماعهم وأبصارهم وجلودهم: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]. فالفضيحة حاصلة، وإقامة الحجة عليهم لا بد منها، على رؤوس الأشهاد، من سمعهم وأبصارهم وجلودهم وأيديهم وأرجلهم، إذا كتموا بألسنتهم. وفي موضع من القيامة يقرُّون بألسنتهم، ويقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾، يجحدون ما هم فيه، ويتكلمون جاحدين كاتمين بالألسنة، وذلك لما أصيبوا به من الدهشة، والذعر العظيم، والمصيبة العظيمة، يتناقضون ويختلفون، وتشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الضحاك، عن ابن عباس: هذه في المنافقين.

وفيه نظر، فإن هذه الآية مكية، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة، والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ الآية [المجادلة: ١٨]، وهكذا قال في حق هؤلاء: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ كما قال: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٧٣، ٧٤].

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ

ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ﴾؛ أي: يجيؤوك ليسمعوا قراءتك، ولا تجزي عنهم شيئًا؛ لأن الله جعل ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ أي: أغطية لئلا يفقهوا القرآن ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ﴾؛ أي: صممًا عن السماع النافع لهم، فَهُم كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه أكنة في القلوب، والوقر: ما أقفل الأسماع بسبب أعمالهم الخبيثة، وإعراضهم وغفلتهم عن الحق وجحدهم له، صارت هذه الأسماع وهذه القلوب لا تعي ولا تفهم، ولا تبصر الحق، قامت بها الحجة، وانقطعت بها المعذرة، ولكنهم في عمى نسأل الله العافية، بإعراضهم عن الحق ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الصف: ٥]، لما أعرضوا وتكبَّروا عن استماع الحق لم تغنِ عنهم هذه الأسماع، وهذه القلوب، وهذه الأبصار، لن تغني عنهم شيئًا، وصاروا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر ولا يعي ولا يعقل: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ﴾؛ أي: مهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين، لا يؤمنوا بها. فلا فَهْم عندهم ولا إنصاف، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذا كله التحذير من صفات المشركين، وأن الواجب على أهل العقول: الاستماع والإنصات والفهم والعمل لئلا يصيبهم ما أصاب هؤلاء، يجحدون ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ

وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فالواجب الحذر من الفضيحة، والواجب الحذر من صفات الكافرين والمنافقين، وأن يصغي الإنسان للحق، وأن يتفهم ويتعقل ويعمل ويسأل ربه التوفيق حتى يصلح الله حاله ولا يغفل، اللَّهُمَّ اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري، اللَّهُمَّ ارزقني فهم كتابك وسنة نبيك، اللَّهُمَّ وفقني لما يرضيك، اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك، يلجأ إلى الله، يضرع إلى الله أن يفهمه الحق وأن يوفقه لقبوله، حتى لا يشبه أعداء الله من المنافقين والكافرين، فأنت في أشد الحاجة؛ بل في أشد الضرورة إلى توفيق الله لك وهدايته لك وشرحه صدرك، فسل ربك ذلك، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥، ٢٦]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فاضرع إلى الله وسله التوفيق، وسله الإعانة، وسله الهداية ولا تقنط، فأبوابه مفتوحة سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾؛ أي يحاجونك ويناظرونك في الحق بالباطل ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

معنى أساطير: كذب الأولين يعني ما له حقيقة، الأسطورة: الكذب، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ يعني: مكذوبات الأولين ما لها حقيقة، هذه مكابرة يعني: من أكبر غلاطهم الأعور للحق البين، ما أخبر به سبحانه وبينه ﷺ وجاءت به الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن أهل الباطل يكابرون ويعاندون.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ وفي معنى ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾

قولان: **أحدهما**: أن المراد أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق، وتصديق الرسول، والانقياد للقرآن، ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ﴾؛ أي: ويبتعدون هم عنه، فيجمعون بين الفعلين القبيحين لا ينتفعون ولا يتركون أحدًا ينتفع ويتباعدون قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: ينهون الناس عن محمد ﷺ أن يؤمنوا به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى الأول أصح، والمعنى أنهم ينهون عن محمد ﷺ والاتباع، إذا جاء أحد من الخارج أو يريد اتباع محمد ﷺ صدُّوه ونهوه، قالوا: لا تأت يضلك، ويدعوك إلى ترك دين آبائك وأسلافك، فهم يصدون الناس عن اتباعه، وعن مجالسته حتى لا يهتدوا، وهم بأنفسهم يبتعدون عن مجلسه، وينأون عن مجلسه، حتى لا يسمعوا الحق، خوفًا من أن يدخل قلوبهم فيهتدوا؛ نسأل الله العافية.

القاري: [وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾؛ أي: وما يهلكون بهذا الصنيع، ولا يعود وباله إلا عليهم، وهم لا يشعرون].

الشيخ: نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بركة لا حول ولا قوة إلا بالله نسأل الله العافية. وهذه موعظة للعاقل أنه ينبغي له أن يجتهد في سماع الحق، والقرب من الحق، والقرب من أهله، ويحرص على تفهمه حتى لا يشابه أعداء الله في البعد عن الحق، أو الصد عنه، وعدم التفهم له، ولا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه شر أهله ودعاة الباطل. فجدير

بالمسلم وبكل عاقل أن يحرص على استماع الحق، وتفهمه، والإقبال عليه، ومجالسة أهله حتى ينتفع حتى يستفيد حتى يتبصر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال محمد ابن الحنفية: كان كفار قريش لا يأتون النبي ﷺ، وينهون عنه.

وكذا قال مجاهد وقتادة، والضحاك، وغير واحد. وهذا القول أظهر، والله أعلم، وهو اختيار ابن جرير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الواقع، ينهون عن اتباعه أو وينأون عنه، ينهون عامتهم عن اتباعه وينأون بأنفسهم، يبتعدون عن الحق، فهم مع نهيهم عن اتباعه يبتعدون هم أيضًا عن الحق تكبرًا وتعامٌمًا وتقليدًا لأسلافهم وآبائهم، فلهذا يكون عليهم إثم ذلك وإثم من ضل بهم وتابعهم في الباطل، نسأل الله العافية. نعم. ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والقول الثاني: رواه سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع ابن عباس يقول في قوله: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ قال: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن النبي ﷺ أن يؤذى.

وكذا قال القاسم بن مُخَيْمِرةَ، وحبيب بن أبي ثابت، وعطاء بن دينار: إنها نزلت في أبي طالب.

وقال سعيد بن أبي هلال: نزلت في عمومة النبي ﷺ، وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر. رواه ابن أبي حاتم.

وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي: ينهون الناس عن قتله.

وقوله: ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي: يتباعدون منه ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾؛ أي: وما يهلكون بهذا الصنيع، ولا يعود وباله إلا عليهم، وهم لا يشعرون.

مداخلة: أحسن الله إليك! أعمام النبي ﷺ عشرة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما أدري، ما تتبعتهم، المقصود أن الصواب في الآية ما تقدم من الكلام ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن اتباع الحق، عن اتباع محمد ﷺ. ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ يبتعدون عنه قولًا وعملًا، ينهون بالقول ويبتعدون بالفعل. نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ **[الأنعام: ٢٧ ـ ٣٠]**[١].

يذكر تعالى حال الكفار إذا وقفوا يوم القيامة على النار، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك قالوا ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يتمنون أن يردوا إلى الدار الدنيا، ليعملوا عملًا صالحًا، ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة، وإن أنكروها، في الدنيا أو في الآخرة، كما قال قبل هذا بيسير: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه، كما قال تعالى مخبرًا عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ الآية [الإسراء: ١٠٢]. قال تعالى مخبرًا عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرون للناس الإيمان ويبطنون الكفر، ويكون هذا إخبارًا عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار، ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية وهي العنكبوت، فقال: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]؛ وعلى هذا فيكون إخبارًا عن حال المنافقين في الدار الآخرة، حين يعاينون العذاب يظهر لهم حينئذ غب ما كانوا يبطنون من الكفر والشقاق والنفاق، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

السياق واضح أنه في الكفرة، والآية مكية، وهذا حالهم، إذا رأوا العذاب تمنوا الرجعة، ولو ردوا لعادوا. هذه حالهم - نسأل الله العافية - ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾، كثير منهم يعلم الحق ولكن يجحد كبرًا وعنادًا وتقليدًا للآباء والأسلاف. نسأل الله العافية.

مداخلة: هل يدخل المنافقين؟ عفا الله عنك!

الشيخ: لا، الآية في الكفار، الظاهر من أنها مكية. نسأل الله العافية.

• **س: عفا الله عنك يا شيخ. الفتنة المراد فيها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣] وما المراد فيها؟**

○ **الجواب**: يعني جوابهم، لم تكن جوابهم قيلهم إلا هذا، هذا جوابهم. ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، كذبوا وكابروا. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما معنى الإضراب في قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ فَهُم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة ومحبة في الإيمان؛ بل خوفًا من العذاب الذي عاينوه جزاء ما كانوا عليه من الكفر، فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: في تمنيهم الرجعة رغبة ومحبة في الإيمان.

ثم قال مخبرًا عنهم: إنهم لو ردّوا إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه [من الكفر والمخالفة] ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: في قولهم: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: لعادوا لما نهوا عنه، إنهم لكاذبون ولقالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾؛ أي: ما هي إلا هذه الحياة الدنيا، ثم لا معاد بعدها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

ثم قال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: أوقفوا بين يديه قال: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كما كنتم تظنون؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: بما كنتم تكذبون به، فذوقوا اليوم مَسّه ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥].

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٣١ ـ ٣٢][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن خَسَارة من كَّذب بلقاء الله وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتة، وعن ندامته على ما فرط من العمل، وما أسلف من قبيح الفعال ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ وهذا الضمير يحتمل عَوْدُه على الحياة الدنيا وعلى الأعمال، وعلى الدار الآخرة؛ أي: في أمرها.

وقوله ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾؛ أي: يحملون. وقال قتادة: يعملون.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن عمرو بن قيس، عن أبي مرزوق قال: ويُستقبل الكافر ـ أو: الفاجر ـ عند خروجه من قبره كأقبح صورة رآها وأنتن ريحًا، فيقول: من أنت؟ فيقول: أو ما تعرفني؟ فيقول: لا والله إلا أن الله قد قَبَّحَ وجهك ونَتَّن ريحك. فيقول: أنا عملك الخبيث، هكذا كنت في الدنيا خبيث العمل منتنه، طالما ركبتني في الدنيا، هلم أركبك، فهو قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

وقال أسباط: عن السُّدِّي أنه قال: ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه، أسود اللون، منتن الرائحة عليه ثياب دنسة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال: ما أقبح وجهك! قال:

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

كذلك كان عملك قبيحًا قال: ما أنتن ريحك! قال: كذلك كان عملك منتنًا، قال: ما أدنس ثيابك، قال: فيقول: إن عملك كان دنسًا. قال له: من أنت؟ قال: أنا عملك! قال: فيكون معه في قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات، وأنت اليوم تحملني. قال: فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ﴾؛ أي: إنما غالبها كذلك ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾ **[الأنعام: ٣٣ ـ ٣٦]**(١).

يقول تعالى مسليًا لنبيِّه ﷺ، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ﴾؛ أي: قد أحطنا علمًا بتكذيب قومك لك، وحزنك وتأسفك عليهم، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ﴾ [فاطر: ٨] كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله فجر الأربعاء ٦ ـ ٨ ـ ١٤١٩هـ.

[الشعراء: ٣] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٧].

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: لا يتَّهمونك بالكذب في نفس الأمر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم، كما قال سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب، عن علي رضي الله عنه قال: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ورواه الحاكم، من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الوزير الواسطي بمكة، حدثنا بِشْر بن المُبَشِّر الواسطي، عن سلام بن مسكين، عن أبي يزيد المدني؛ أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصافحه، قال له رجل: ألا أراك تصافح هذا الصابئ؟! فقال: والله إني لأعلم إنه لنبي، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعًا؟! وتلا أبو يزيد: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

قال أبو صالح وقتادة: يعلمون أنك رسول الله ويجحدون.

وذكر محمد بن إسحاق، عن الزهري، في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي ﷺ من الليل، هو وأبو سفيان صَخْر بنِ حَرْب، والأخْنَس بن شريْق، ولا يشعر واحدٌ منهم بالآخر. فاستمعوها إلى الصباح، فلما هَجَم الصبح تَفرَّقوا، فجمعتهم الطريق، فقال كل منهم للآخر: ما جاء بك؟ فذكر له ما جاء له ثم تعاهدوا ألا يعودوا، لما يخافون من علم شباب قريش بهم، لئلا يفتتنوا بمجيئهم، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظَنًّا أن صاحبيه لا يجيئان، لما تقدم من العهود، فلما أجمعوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا، ثم تعاهدوا ألا

يعودوا. فلما كانت الليلة فلما أصبح الأخنس بن شَرِيق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حَنْظَلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعتُ أشياء أعرفها وأعرف ما يُراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه في بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تَجاثينا على الرُّكَب، وكنا كَفَرَسي رِهَان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس. وروى ابن جرير، من طريق أسباط، عن السُّدِّي، في قوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شَرِيق لبني زهرة: يا بني زهرة، إن محمدًا ابن أختكم، فأنتم أحق من كفَّ عنه. فإنه إن كان نبيًّا لم تقاتلوه اليوم، وإن كان كاذبًا كنتم أحق من كف عن ابن أخته قفوا هاهنا حتى ألقى أبا الحكم، فإن غُلِبَ محمد رجعتم سالمين، وإن غَلَب محمد فإن قومكم لم يصنعوا بكم شيئًا. فيومئذ سُمِّي الأخنس، وكان اسمه «أُبيّ» فالتقى الأخنس وأبو جهل، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد: أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قُصيّ باللواء والسقاية والحجابة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ فآيات الله: محمد ﷺ.

وقوله ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ

أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصروا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا، كما لهم النصر في الآخرة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، كما قال: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢ - ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا علموا فالآية صريحة في ذلك، فإنهم يعرفون صدقه وأمانته ولكنهم يجحدون لما في نفوسهم من الهوى والفساد والشر ومحبة الرياسة. نسأل الله العافية. مثلما ذكر عن أبي جهل، وهذا أعظم في العقوبة وأعظم في الإثم والعاقبة الوخيمة، كون الإنسان يجحد الحق لهوى، لرياسة، لطمع في الدنيا، هذا أعظم وأقبح ممن يجحده جهلًا وتقليدًا ونحو ذلك. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: من خبرهم كيف نُصِروا وأُيدوا على من كذَّبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾؛ أي: إن كان شق عليك إعراضهم عنك ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: النَّفقُ: السِّرَب، فتذهب فيه بآية أفضل مما آتيتهم به، فافعل.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، قال علي بن أبي طلحة،

عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ قال: إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول.

مداخلة: أحسن الله إليك. في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، هل توجيه للنبي ﷺ أو حث..؟.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يبيِّن له أنه لا يستطيع، ليس في قدرته شيء، هذا نص ليس بيده إلا الصبر، لا يستطيع أن يذهب نفقًا في الأرض ولا يتخذ سلمًا في السماء، ليس هناك إلا الصبر كما صبر الرسل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه، كقوله: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠]، وقوله: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾، يعني بذلك الكفار؛ لأنهم موتى القلوب، فشبَّههم الله بأموات الأجساد فقال: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وهذا من باب التهكم بهم، والازدراء عليهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا كله في الحقيقة يدعو العاقل إلى الإصغاء والاستماع والإنصات، وسؤال الله التوفيق، فكم من عاقل سميع بصير حاذق ولم يوفق، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] يعني: الذين يوفقهم الله لسماع الحق والرضا به. فجدير بالمؤمن أن يسأل ربه التوفيق والهداية حتى يقبل الحق، حتى يستجيب للداعي..

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٧ ـ ٣٩][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين أنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾؛ أي: خارق على مقتضى ما كانوا يريدون، ومما يتعنتون كما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الآيات [الإسراء: ٩٠].

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: هو تعالى قادر على ذلك، ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك؛ لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا، لعاجلهم بالعقوبة، كما فعل بالأمم السالفة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

وقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ﴾ قال مجاهد: ؛ أي أصناف مُصَنَّفة تُعرَف بأسمائها. وقال قتادة: الطير أمة، والإنس أمة، والجن أمة. وقال السُّدِّي: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ﴾؛ أي: خلق أمثالكم.

وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ﴾؛ أي: الجميع علمهم عند الله، ولا ينسى واحدًا من جميعها من رزقه وتدبيره، سواء كان بريًّا أو بحريًا،

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢٨ ـ ٣ ـ ١٤١٢هـ، وفجر الأربعاء ٦ ـ ٨ ـ ١٤١٩هـ.

كما قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]؛ أي: مُفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها، وحاصر لحركاتها وسكناتها، وقال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد، حدثني محمد بن عيسى بن كيسان، حدثنا محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: قَلّ الجراد في سنة من سِني عمر رضي الله عنه، التي ولي فيها، فسأل عنه فلم يخبر بشيء، فاغتم لذلك. فأرسل راكبًا إلى كذا، وآخر إلى الشام، وآخر إلى العراق يسأل: هل رؤي من الجراد شيء أم لا؟ فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة جراد فألقاها بين يديه، فلما رآها كبَّر ثلاثًا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خَلَق الله عز وجل، ألف أُمَّة، منها ستمائة في البحر، وأربعمائة في البرِّ. وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قُطع سِلكه**»(١)، وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن أبيه، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال: حَشْرها الموتُ.

وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد، عن مسروق، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: موتُ البهائم حَشْرُها. وكذا رواه العَوفِيّ، عنه.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد والضحاك، مثله.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، والحكيم وأبو يعلى وابن عدي وأبو الشيخ في العظمة كنز العمال (٣١٤٨٤)، وضعفه الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية ١/ ٣٠)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٣). قال الهيثمي (٧/ ٣٢٢): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف.

والقول الثاني: إن حشرها هو بعثها يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن مُنْذِر الثوري، عن أشياخ لهم، عن أبي ذرٍّ؛ أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان، فقال: «**يا أبا ذر، هل تدر فِيمَ تنتطحان؟**» قال: لا. قال: «**لكن الله يدري، وسيقضي بينهما**» ورواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الأعمش، عمن ذكره عن أبي ذر قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عَنزان، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون فِيمَ انتطحتا؟**» قالوا: لا ندري. قال: «**لكن الله يدري، وسيقضي بينهما**»(١). رواه ابن جرير، ثم رواه من طريق منذر الثوري، عن أبي ذر، فذكره وزاد: قال أبو ذر: ولقد تَركَنا رسول الله ﷺ وما يُحرِّك طائر بجناحيه في السماء إلا ذكَّرنا منه عِلمًا(٢).

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه: حدثني عباس بن محمد وأبو يحيى البزار قالا: حدثنا حجاج بن نُصير، حدثنا شُعْبَة، عن العَوَّام بن مَراجم ـ من بني قيس بن ثعلبة ـ عن أبي عثمان النَّهْدي، عن عثمان ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الجَمَّاء لتقتص من القرناء يوم القيامة**»(٣).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن جعفر بن بُرْقَان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة في قوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ مِن عَدْل الله يومئذ أن يأخذ للجمَّاء من القرناء. قال: ثم يقول: كوني ترابًا. فلذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، وقد روي هذا مرفوعًا في حديث الصُّور.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٦٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٧٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا سند صحيح، سند عبد الرزاق جيد. وهذا لا يقال من جهة الرأي، له حكم الرفع. نعم. فالله ﷻ هو الحكم العدل، يقضي بين عباده ويقتص للمظلوم من الظالم، ثم يبقى الحساب والجزاء فيما يتعلق بالجنة والنار في المكلفين من الجن والإنس، والبقية تكون ترابًا. والله المستعان.

وهذا من كمال عدله ﷻ بين خلقه ﷻ، أنه يجمع الجميع من المكلفين وغير المكلفين من الحيوانات، فيقتص للمظلوم من الظالم، ويعطي المعتدى عليه حقه، ثم تكون ترابًا ويبقى المكلفون من الجن والإنس، هم الذين للجنة والنار، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يعني: يجمعون، (فالدواب) دابة نكرة في سياق النفي تعم كل دابة، وهكذا الطائر، والطيور دواب؛ لأنها أيضًا تدب على الأرض لكن بين نوعها ﷻ، فقال: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ لما كان الطائر له دبيبه في الأرض وله طيرانه في الهواء، نبه عليه ليبين دخوله في الدابة، وأنه داخل في الدواب. ومن ذلك: أنه يقتص للشاة الجلحاء (الجماء) من الشاة القرناء، فإذا كان يقتص من بهائم فكيف بحال المكلفين، المكلفون أمرهم أعظم، ولذلك يقتص للمظلوم من الظالم، ويجازي الظالم بما يستحق من العقاب، مع القصاص.

● **س**: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾، **عفا الله عنك!**

○ **الجواب**: يجمعون، يعني: يجمعون..

مداخلة: كل الخلق أم..... البهائم..؟

الشيخ: كل شيء. نعم. البهائم والمكلفون.

القاري: أحسن الله إليك! وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ!

الحكم على حديث: (هلاك أمة الجراد):

الشيخ: علق على حديث الجراد، علق عليه مثلما عندك.

مداخلة: حديث الجراد: في إسناده عبيد بن واقد ومحمد بن كيسان وهما ضعيفان كما في التقريب.

مدى ورود هلاك أمة الذباب بدل الجراد:

● **س: جاءت الرواية ـ يا شيخ ـ: بدل الجراد الذباب.**

○ **الجواب** ما أعرفها: جاء رواية عند أبي يعلى الذباب بدل الجراد.

الشيخ: في إسناده عبيد بن واقد ومحمد بن كيسان وهما ضعيفان كما في التقريب.

● **س: هناك نوع من الحليب ـ يباع بالسوق ويوضع داخل العلبة نقود، فهل يجوز شراء هذا الحليب أم لا؟ يوضعون داخله نقود إما عشرة ريال وإلا خمسمائة ريال وإلا.. على الحفظ يعني، هل يجوز شراء هذا الحليب؟**

○ **الجواب**: يعني ينبهون ويقولون حتى يغرون الناس يعني؟

مداخلة: نعم؟

○ **الجواب**: يعني حتى يغروا الناس يقولون لهم؟

مداخلة: يقولون: هذا يوجد نقود داخل العلبة، قد يجد الإنسان عشرة ريال، قد يجد خمسمائة ليرغبوا الناس في الشراء.

○ **الجواب**: لا ما يصلح هذا، هذا من الميسر، مخاطرة..

مداخلة: لكن.

○ **الجواب**: ما يجوز لهم ولا يجوز الموافقة على هذا الشيء..

مداخلة: لكن من اشترى ـ ـ ووجد النقود يتصدق فيها يتخلص منها وإلا ماذا يفعل فيها؟

○ **الجواب**: إذا شرى على هذه الصفة البيع ما هو بصحيح، إذا اشترى على هذه الصفة.

مداخلة: هو ما يدري، بس ما اشتراه والقصد هذا، لكن اشتراه ووجد..

○ **الجواب**: إن كان ما قالوا له شيء.

مداخلة: لا. هل يتخلص منها وإلا..

○ **الجواب**: ما شرى على أن قولهم له كذا وكذا؟

مداخلة: لا، ما اشتراه، ما قصده، قصده الحليب فقط.

○ **الجواب**: يعني ما سمع كلامهم ولا شرى من أجل من هذا؟

مداخلة: لا.

○ **الجواب**: نعم؟.

مداخلة: لا.

○ **الجواب**: والله الذي يظهر ينبهون لأنهم قد يكونوا غلطانين في وضع الدراهم، لا بد من.. لأنهم إنما وضعوا هذا لتغرير الناس والدعوة إلى المسابقة إلى الشراء منهم.

مداخلة: مكتوب على العلبة ـ يا شيخ ـ أن العلبة فيها دراهم، علبة الحليب مكتوب عليها: العلبة فيها.

○ **الجواب**: هذا وجه التغرير، أقول: هذا وجه التغرير...

مداخلة: لكن يتخلص منها من أخذها؟

○ **الجواب**: نعم..

مداخلة: من وجدها يتخلص منها وإلا يأخذها؟ شخص يقول: اشتريته ووجدت النقود داخله خمسمائة ريال، فهل آخذ النقود هذه أم أتخلص منها؟

○ **الجواب**: وهو ما شراها من أجل النقود؟

مداخلة: لا، ما شراها.

الشيخ: الظاهر والله أعلم أن الصدقة بها أولى سدًّا لباب التهاون والموافقة على المغامرة، إذا كان ما عنده خبر.

مداخلة: إذا طمست الكتابة التي بخارج العلبة، طمستها أو وضعت عليها لاصق وبعته على أنه حليب، هل فيه شيء؟

○ **الجواب**: ما يتصور هذا أن يبيع علبة فيها دراهم اشترها ثم وضع هذا لأجل المغامرة، لأجل حث الناس على الشراء، إذا كان ما أراد المغامرة ما هو بواضع الدراهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾؛ أي: مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم - وهو الذي لا يسمع - أبكم - وهو الذي لا يتكلم - وهو مع هذا في ظلام لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق، أو يُخْرج مما هو فيه؟ كما قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧، ١٨]، وكما قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]؛

ولـهـذا قـال تـعـالـى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: هو المتصرف في خلقه بما يشاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا لا ينافي الأسباب، كونه سبحانه يشاء هذا وهذا، ولكن لهذا أسباب ولهذا أسباب، من أقبل على الله وطلبه الهداية، ورغب إليه وصدق في ذلك، فهو حري بالتوفيق، وحري بالإجابة، وحري بالهداية، ومن أعرض واستكبر ولم يرد الحق ولم يطلبه، فهو حري بالإبعاد والطرد والإضلال، نسأل الله العافية.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٠ ـ ٤٥][١].

يخبر تعالى أنه الفعَّال لما يريد، المتصرِّف في خلقه بما يشاء، وأنه لا مُعقِّب لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه؛ بل هو وحده لا شريك له، الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء؛ ولهذا قال:

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: أتاكم هذا أو هذا ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾؛ أي: لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على دفع ذلك سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾؛ أي: في اتخاذكم آلهة معه.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾؛ أي: في وقت الضرورة لا تدعون أحدًا سواه وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الآية [الإسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾، يعني: الفقر والضيق في العيش ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وهي الأمراض والأسقام والآلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾؛ أي: يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون.

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾؛ أي: فهلا إذ ابتليناهم بذلك تضرَّعوا إلينا وتمسكنوا إلينا ﴿وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: ما رقَّت ولا خشعت ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: من الشرك والمعاصي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه دعوة من الرب جَلَّ وَعَلَا لهم ليستقيموا، وليتضرعوا، ولينتبهوا، وليحذروا، وألا يستمروا في الطغيان والعناد والباطل، فيحل بهم عقاب الله، أو يأخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون إليه، ولعلهم يرجعون وينيبون إلى الحق، هذه البأساء والضراء تذكرة، ما يصيب الناس من الفقر والحاجة والأمراض فيها تذكرة لمن أراد الله هدايته، حتى ينتبه وحتى يعد العدة، لكن أكثر الخلق هذه الأمور عادية لا تؤثر عليه، أكثر الخلق تمر عليه كأنها لم تمر؛ لأنه رآها عادة ليس عنده يقظة ولا انتباه،

ولا إعداد للقاء ربه، كالجمل الذي ينيخه أهله ويعقلونه ثم يطلقونه ويثيرونه، ليس عنده يقظة من شيء ولا انتباه من شيء، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: ما زادهم الابتلاء والامتحان بالضراء والسراء إلا القسوة والغفلة والإعراض، وعدم الانتباه لما يراد بهم، ولما وعدهم الله وأوعدهم به، ثم فتحت عليهم الأبواب، أبواب النعم استدراجًا وزيادة في البلاء، هذا بما نسوا ما ذكروا به، يعني: تركوه وأعرضوا عنه، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من النعم والخيرات؛ حتى أمنوا مكر الله، وحتى استمروا في طغيانهم وضلالهم حلت بهم العقوبات، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾، فهو وعيد عظيم يوجب الحذر والانتباه، كل واحد بنفسه، كل واحد يراقب ربه وينظر حاله، ويجاهد نفسه، وما أعطاه الله من النعم والخيرات، فهل اتقى فيها ربه، هل جاهد فيها نفسه، هل أدى حقها، هل استعان بها في طاعة الله، الأمر يحتاج إلى جهاد وصبر ومصابرة ويقظة وانتباه، ليست الأمور بمجرد العادة، لله فيها حكم، فانتقالك من فقر إلى غنى، ومن غنى إلى فقر، ومن ذل إلى عز، ومن عز إلى ذل، ومن كونك أعزب ليس عندك شيء، إلى كونك ذا زوجة أو زوجات وذا أولاد، كل هذه الأمور تحتاج إلى يقظة وانتباه، وشكر لله على ما أعطاك من النعم، وصرف من النقم، قبل أن تؤخذ بغتة. ومن أعظم العقوبات بسبب هذه الأمور: قسوة القلوب، وأن القلب يقسو، يزداد قسوة ما ينتبه، يزداد بعدًا عن الله، يزداد سوادًا وغفلة واستكبارًا عن الحق، هذه عقوبة عاجلة نسأل الله العافية. فيأخذهم الله بغتة: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يعني: آيسون من كل خير؛ لأنها حلت بهم العقوبة وهم مفرطون مضيعون، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه

وراء ظهورهم ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياذًا بالله من مكره؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾؛ أي: من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾؛ أي: على غفلة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: آيسون من كل خير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩]، ولا سيما في عصرنا هذا وما حصل فيه من النعم العظيمة والخير الكثير، وما بلي به الناس من الغفلة والإعراض، وما حصل من الشبه والشهوات، وما حصل من دعاة الباطل وقلة دعاة الحق، إلى غير هذا من أسباب الخطر، نعم لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الوالبي، عن ابن عباس: المبلس: الآيس.

وقال الحسن البصري: من وسَّع الله عليه فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له. ومن قَتَر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قال الحسن: مكر بالقوم ورب الكعبة؛ أُعطوا حاجتهم ثم أخذوا. رواه ابن أبي حاتم.

وقال قتادة: بَغَت القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم وغرَّتهم ونعيمهم فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون. رواه ابن أبي حاتم أيضًا.

وقال مالك، عن الزهري: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: إرخاء الدنيا وسترها.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غَيْلان، حدثنا رِشْدِين ـ يعني ابن سعد أبا الحجاج المهري ـ عن حَرْمَلَة بن عمران التُّجِيبي، عن عُقْبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: **«إذا رأيت الله يُعْطِي العبدَ من الدنيا على مَعاصيه ما يُحِبُّ، فإنما هو اسْتِدْرَاج»**[(١)]. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث حَرْمَلة وابن لَهِيعة، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عِرَاك بن خالد بن يزيد، حدثني أبي، عن إبراهيم بن أبي عَبْلة، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«إن الله تبارك وتعالى إذا أراد الله بقوم بقاء ـ أو: نماء ـ رزقهم القصد والعفاف، وإذا أراد الله بقوم اقتطاعًا فتح لهم ـ أو فتح عليهم ـ باب خيانة»**[(٢)]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ كما قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا حول ولا قوة إلا بالله، نعوذ بالله من البلاء، نعوذ بالله من العقوبات، نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك!

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٤٥).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين سنده ضعيف للانقطاع بين ابن أبي عبلة وعبادة بن الصامت.

الأثر المذكور في رواية . . .؟ حديث: «**إذا رأيت العبد يعطيه الله**».

الشيخ: السند الأول ضعيف الذي فيه رشدين، والسند الثاني فيه ابن لهيعة، لكن قد يتقوى أحدهما بالآخر. لكن ذكر فيه ابن لهيعة حرملة، يحتاج مراجعة سنده في ابن جرير، لكن على كل الآية كافية، نسأل الله العافية، الآية صريحة، لا حول ولا قوة إلا بالله. إذا رأيت الله يعطي عبده على معاصيه ما يحب فاعلم أنه استدراج، هذا نص الآية، الآية واضحة شاملة، أن استمرار الإنسان على المعاصي مع كونه في نعم وفي خير، هذا استدراج نسأل الله العافية.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [**الأنعام: ٤٦ ـ ٤٩**](١).

يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: قل لهؤلاء المكذبين المعاندين: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ أي: سلبكم إياها كما أعطاكموها فإنه ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي؛ ولهذا قال: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾، كما قال: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١]، وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقوله: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾؛ أي: هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه؛ ولهذا قال عز شأنه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: نبيِّنها ونوضحها ونفسِّرها دالة على أنه لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: ثم هم مع هذا البيان يعرضون عن الحق، ويصدون الناس عن اتباعه.

قال العوفي، عن ابن عباس ﴿يَصْدِفُونَ﴾؛ أي يعدلون. وقال مجاهد، وقتادة: يعرضون، وقال السُّدِّي: يصدُّون.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾؛ أي: وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم.

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾؛ أي: ظاهرًا عيانًا ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾؛ أي: إنما: كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله ﷻ وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ أي: مبشِّرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات. ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾؛ أي: فمن آمن قلبه بما جاءوا به وأصلح عمله باتباعه إياهم، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: بالنسبة إلى ما يستقبلونه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ أي: بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها، الله وليهم فيما خلَّفوه، وحافظهم فيما تركوه.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾؛ أي: ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل، وخرجوا عن أوامر الله وطاعته، وارتكبوا محارمه ومناهيه وانتهاك حرماته.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٠ ـ ٥٤][(١)].

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لست أملكها ولا أتصرف فيها، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾؛ أي: ولا أقول: إني أعلم الغيب إنما ذاك من علم الله ﷻ، لا أطّلع منه إلا على ما أطلعني عليه، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾؛ أي: ولا أدَّعي أني ملك، إنما أنا بشر من البشر، يُوحى إليَّ من الله ﷻ، شرفني بذلك، وأنعم عليّ به؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾؛ أي: لست أخرج عنه قِيد شبر ولا أدنى منه.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١١ ـ ٥ ـ ١٤١٢هـ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾؛ أي: هل يستوي من اتبع الحق وهُديَ إليه، ومن ضل عنه ولم ينقد له؟ ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، وهذه كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

وقوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ أي: وأنذر بهذا القرآن يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] والذين ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: يوم القيامة. ﴿لَيْسَ لَهُم﴾؛ أي: يومئذ ﴿مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ أي: لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾؛ أي: أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله ﷻ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه.

وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾؛ أي: لا تُبعِد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك؛ بل اجعلهم جلساءك وأخِصَّاءك، كما قال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾؛ أي: يعبدونه ويسألونه ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ قال سعيد بن المسيب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: المراد بذلك الصلوات المكتوبات.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: أتقبل منكم.

وقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾؛ أي: يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم، فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات.

وقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ كما قال نوح ﷺ في جواب الذين قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١)﴾ قال: ﴿...وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١، ١١٢]؛ أي: إنما حسابهم على الله ﷻ، وليس عليَّ من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء.

وقوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)﴾؛ أي: إن فعلت هذا والحالة هذه.

قال الإمام أحمد: حدثنا أسباط ـ هو ابن محمد ـ حدثنا أشعث، عن كُرْدُوس، عن ابن مسعود

قال: مرَّ الملأ من قريش على رسول الله ﷺ، وعنده: خَبَّاب، وصُهَيْب، وبلال، وعمار. فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء؟ فنزل فيهم القرآن: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

ورواه ابن جرير، من طريق أشعث، عن كردوس، عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش برسول الله ﷺ، وعنده: صهيب، وبلال، وعمار، وخباب، وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم من بيننا؟ ونحن نكون تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ إلى آخر الآية

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي، حدثنا أسباط بن نصر، عن السُّدِّي، عن أبي سعيد الأزدي ـ وكان قارئ الأزد ـ عن أبي الكنود، عن خباب في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قال: جاء

الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: «نعم». قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا، قال: فدعا بالصحيفة ودعا عليًّا ليكتب، ونحن قعود في ناحية، فنزل جبريل فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة، ثم دعانا فأتيناه.

ورواه ابن جرير، من حديث أسباط، به.

وهذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر.

وقال سفيان الثوري عن المقدام بن شريح، عن أبيه قال: قال سعد: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ، منهم ابن مسعود، قال: كنا نسبق إلى النبي ﷺ، وندنو منه ونسمع منه، فقالت قريش: يدني هؤلاء دوننا، فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾.

رواه الحاكم في مستدركه من طريق سفيان، وقال: على شرط الشيخين. وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدام بن شريح، به

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾؛ أي: ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض ﴿لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ كان غالب من اتبعه في أول البعثة، ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل، كما قال قومُ نوح لنوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ الآية [هود: ٢٧]، وكما قال هرقل ملك الروم لأبي سفيان حين

سأله [عن تلك] المسائل، فقال له: فهل اتبعه ضعفاء الناس أو أشرافهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فقال: هم أتباع الرسل. والغرض: أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم، ويعذبون من يقدرون عليه منهم، وكانوا يقولون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾؟؛ أي: ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير ـ لو كان ما صاروا إليه خيرًا ـ ويدَعَنا، كما قالوا: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ [مريم: ٧٣].

قال الله تعالى في جواب ذلك: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾ [مريم: ٧٤]، وقال في جوابهم حين قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾؛ أي: أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم، فيوفقهم ويهديهم سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إليه صراطًا مستقيمًا، كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وفي الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم: حدثنا الحسين، حدثنا حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن عِكْرِمة في قوله: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ الآية، قال: جاء عُتْبَة بن رَبيعة، وشَيْبَة بن ربيعة، ومُطعِم بن عَدِيّ، والحارث بن نَوْفَل، وقَرَظَة بن عبد عمرو بن نوفل، في أشراف من بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، لو أن ابن أخيك محمدًا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا، فإنما هم عبيدنا

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

وعتقاؤنا، كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه، وتصديقنا له. قال: فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بذلك، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو فعلت ذلك، حتى تنظر ما الذي يريدون، وإلى ما يصيرون من قولهم؟ فأنزل الله عز وجل، هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾، ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ قال: وكانوا بلالًا وعمار بن ياسر، وسالمًا مولى أبي حذيفة، وصبيحًا مولى أسيد، ومن الحلفاء: ابن مسعود، والمقداد بن عمرو، ومسعود بن القاري، وواقد بن عبد الله الحنظلي، وعمرو بن عبد عمرو، وذو الشمالين، ومرثد بن أبي مرثد ـ وأبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ـ وأشباههم من الحلفاء. ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى في هذا: أن قريش، يعني: كبارهم.. رؤساؤهم أرادوا أن النبي ﷺ يطرد عنه الضعفاء من الفقراء والعتقاء من مجلسه، وألا يشتركوا مع الكبراء في المجلس حتى يجالسوه ويسمعوا منه، فوقع في نفس النبي ﷺ من هذا شيء لتأليفهم ودعوتهم، ورجاء أن يسلموا، فأنزل الله الآية، وهي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾، فنهي عن طردهم، وأن يقبل من جاء مسلمًا راغبًا في الخير فقيرًا أو غنيًّا، وأن ينذرهم ويحذرهم ويدعوهم إلى الله جل وعلا، ويشرح لهم أمور الإسلام، سواء كانوا أغنياء أو فقراء، والهادي هو الله يهدي من يشاء سبحانه وتعالى، ولهذا

قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾، وفي آية الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما نزلت، أقبل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فاعتذر من مقالته، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ﴾؛ أي: فأكرمهم برد السلام عليهم، وبَشِّرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم؛ ولهذا قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾؛ أي: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلًا منه وإحسانًا وامتنانًا ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ قال بعض السلف: كل من عصى الله، فهو جاهل.

وقال معتمر بن سليمان، عن الحكم بن أبان، عن عِكْرِمة في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ قال: الدنيا كلها جهالة. رواه ابن أبي حاتم.

﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾؛ أي: رجع عما كان عليه من المعاصي، وأقلع وعزم على ألا يعود وأصلح العمل في المستقبل، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من فضل الله ورحمته: أن من تاب إليه وأناب فالله غفور رحيم، وإنما الشأن في التوبة والصدق فيها، إذا صدق في التوبة وأصلح فالله غفور رحيم، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ

وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

فالمقصود أنه إذا تاب توبة صادقة تاب الله عليه، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، فالمؤمن يبادر بالتوبة، ويعلم أنه مسئول، وأنه قد جهل وأخطأ فيبادر بالتوبة، كل الذنوب جهالة، كل من عصى الله فهو جاهل في ما عصى الله فيه، فالواجب البدار والمسارعة إلى التوبة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾، فالتوبة هي سبب السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، فينبغي للمؤمن أن يلزمها ويحرص عليها؛ لأنه خطَّاء، كل بني آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون، وهي ندم على الماضي من السيئات وإقلاع منها وحذر منها وعزم أن لا يعود فيها، خوفًا من الله وتعظيمًا له وإخلاصًا له، مع رد الحقوق إلى أهلها إن كان هناك شيء يتعلق بالمخلوقين إعطاؤهم حقوقهم، أو تحللهم منها. فينبغي للمؤمن أن يكون في جميع أوقاته على توبة، على حذر، على صدق، وانتباه، فإن هذه الدار هي دار العمل، وهي دار التوبة، وهي دار المسارعة إلى الخيرات، وهي دار المحاسبة.

● **س: عفا الله عنك! ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ﴾ مع أنهم هم الذين أتوا هل يلقي هو السلام عليكم يقول: السلام عليهم؟**

○ **الجواب**: يعرض عليه القرآن، يعني: يخاطبهم بالتي هي أحسن، يسلم عليهم، قد يبدؤهم وقد يبدءونه.

● **س: عفا الله عنك يا شيخ! تبديل السيئات المقصود بها أن يوفق إلى أعمال صالحة أخرى أم نفس السيئات تبدل إلى حسنات؟**

○ **الجواب**: التوبة تجبُّ ما قبلها، وإذا كان معها عمل صالح بدَّل الله سيئاته حسنات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا مَعْمَر، عن همَّام بن منبِّه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهْوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**». أخرجاه في الصحيحين[1]. وهكذا رواه الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ورواه موسى بن عقبة عن الأعرج، عن أبي هريرة. وكذا رواه الليث وغيره، عن محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولولا سبق رحمته غضبه لهلك الناس، ولكن من رحمة الله: أن رحمته تغلب غضبه، ولهذا قال ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾، والحديث الصحيح: «**ورحمتي سبقت غضبي**»، وقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١]، في الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، ولكن حلمه ﷻ وجوده وكرمه وإمهاله وإنظاره اقتضى عدم معاجلة الكافر والعاصي بالعقوبة، يمهل وينظر كثيرًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ويقول ﷻ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، قد يملي للظالم على كفره وضلاله، ولا يعاقب في الدنيا ويعاقب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ برقم (٣١٩٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥١).

في الآخرة، يكون أشد في العقاب وأعظم، تجمع عليه سيئاته وشروره، ويكون عقابه أشد، نسأل الله العافية

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روى ابن مَرْدُوَيه، من طريق الحكم بن أبان، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق، أخرج كتابًا من تحت العرش: إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقًا لم يعملوا خيرًا، مكتوب بين أعينهم: عُتَقَاء الله**»(١).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن عاصم بن سليمان، عن أبي عثمان النَّهْدِي، عن سلمان في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قال: إنا نجد في التوراة عطفتين: أن الله خلق السماوات والأرض، وخلق مائة رحمة ـ أو: جعل مائة رحمة ـ قبل أن يخلق الخلق، ثم خلق الخلق، فوضع بينهم رحمة واحدة، وأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة. قال فبها يتراحمون، وبها يتعاطفون، وبها يتباذلون وبها يتزاورون، وبها تحِنّ الناقة، وبها تَثِجُّ البقرة، وبها تثغو الشاة، وبها تَتَابعُ الطير، وبها تَتَابع الحيتان في البحر. فإذا كان يوم القيامة، جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده، ورحمته أفضل وأوسع.

وقد روي هذا مرفوعًا من وجه آخر وسيأتي كثير من الأحاديث الموافقة لهذه عند قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ومما يناسب هذه الآية الكريمة من الأحاديث أيضًا قوله ﷺ لمعاذ بن جبل: «**أتدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه لا يشركوا به**

---

(١) سنده حسن إذ له شواهد في سابقه في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في آخر الصحيح كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ برقم (٧٤٣٩).

شيئًا»، ثم قال: «**أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ ألا يعذبهم**» وقد رواه الإمام أحمد، من طريق كميل بن زياد، عن أبي هريرة رضي الله عنه[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا الحق تفضل وإحسان، هذا من رحمته أن لا يعذبهم، وهذا من رحمته التي أشار إليها المؤلف، فحقهم عليه حق تفضل وإحسان، أما حقه عليهم فحق افتراض وإيجاب، فيلزمهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ومن فضله ورحمته وإحسانه أن جعل لهم حقًّا فضلًا منه وهو أن لا يعذبهم إذا أخلصوا له العبادة وتابوا إليه وأنابوا إليه، الموحد على كل حال، الموحد المؤمن له النجاة، لكن إن كان قد استقام على أمر الله فله النجاة من أول وهلة، لا يدخل النار، أما إن كان عنده معاصي مات عليها فهذا معرض للوعيد وعلى خطر، فإن دخل النار بذنوبه لم يخلد؛ بل له نهاية وله أمد ينتهي إليه، فإذا انتهى الأمد أخرجه الله فضلًا منه وأدخله الجنة. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الشفعاء يشفعون، ويشفع النبي ﷺ ويبقى بقية في النار، يبقى بقية في النار من أهل التوحيد، فيخرجهم الله جل جلاله فضلًا منه وإحسانًا بعدما امتحشوا، بعدما عذبوا، فتفضل عليهم وأخرجهم سبحانه فضلًا منه إلى الجنة، ولا عد يبقى في النار إلا من حكم عليه القرآن بالخلود وهو المشرك، نسأل الله العافية.

مداخلة: عفا الله عنك! المراد في الحديث: إنا نجد في التوراة عطفتين، المراد بالعطفتين، عفا الله عنك!

○ **الجواب**: الله أعلم.

*

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٧٩).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٥ ـ ٥٩](١).

يقول تعالى: وكما بَيَّنَّا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد، وذم المجادلة والعناد، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾؛ أي: التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾؛ أي: ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل، وقرئ: «وليستبين سبيل المجرمين»؛ أي: وليستبين يا محمد ـ أو يا مخاطب ـ سبيل المجرمين.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها إلي ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: بالحق الذي جاءني من عند الله ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾؛ أي: من العذاب، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: إنما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عَجَّل لكم ما سألتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجَّلكم؛ لما له في ذلك من الحكمة العظيمة. ولهذا قال ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾؛ أي: وهو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين الحاكمين بين عباده.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١١ ـ ٥ ـ ١٤١٢هـ.

وقوله: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: لو كان مرجع ما تستعجلون به إلي، لأوقعت بكم ما تستحقونه من ذلك ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾

فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية، وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وَهْب، عن يونس، عن الزهري، عن عُرْوَة، عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، وهذا لفظ مسلم[(١)].

فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم، فاستأنى بهم، وسأل لهم التأخير، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئًا. فما الجمع بين هذا، وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾؟

○ **فالجواب** ـ والله أعلم ـ: أن هذه الآية دلَّت على أنه لو كان إليه

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين برقم (٣٢٣١)، ومسلم في كتابه الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين برقم (١٧٩٥).

وقوعُ العذاب الذي يطلبونه حالَ طَلبهم له، لأوقعه بهم. وأما الحديث، فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم؛ بل عرض عليه مَلَك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين ـ وهما جبلًا مكة اللذان يكتنفانها جنوبًا وشمالًا ـ فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم.

وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ قال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله**»[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي حديث عمر ﷺ أن جبريل حين تبدَّى له في صورة أعرابي فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، قال له رسول الله ﷺ فيما قال له: «**خمس لا يعلمهن إلا الله**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الظاهر والله أعلم أنه يعني: ليس بتعمد العناد وإلا عندهم علم، ولكن ما هو بقصد العناد والمكابرة، مثلما في الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] فالأقرب والله أعلم أنهم جهلًا منهم، وعدم تبصر، وتساهل في الأمور، فالله ﷻ يقبل منهم التوبة، أما المعاند والمكابر فهو على خطر من أن يحال بينه وبين ذلك، وأن يطبع على قلبه ويزيغ نسأل الله العافية: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] والناس

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ برقم (٤٦٩٧).

قسمان في المعاصي وإن كانوا على علم بها: منهم من يعملها عن تساهل وجهالة بعواقبها وما يترتب عليها من الشر، هو يدري أنها معصية، لكن ما عنده فيها مبالاة، وقسم آخر عنده مكابرة وعناد للحق وتكبر عن قبوله، فالثاني أخطر، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾؛ أي: يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات، بَريها وبحريها لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وما أحسن ما قال الصَّرْصَريّ:

فَلا يَخْفَى عليه الذَّر إمَّا   تَرَاءَىَ لِلنَواظِر أو تَوَارى

وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾؛ أي: ويعلم الحركات حتى من الجمادات، فما ظنك بالحيوانات، ولا سيما المكلفون منهم من جنِّهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا استحضار هذا يوجب الحذر، على المؤمن أن يستحضر أن ربه يعلم حركاته وسكناته، فليستحي من الله أن يتقدم إلى معصيته أو يتأخر عن ما أوجب عليه وهو يعلم أن ربه يعلم حاله وينظر إليه ولا تخفى عليه خافية، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، فجدير بالمؤمن وجدير بالعاقل أن ينتبه، وأن يحذر الإصرار على المعصية أو التقدم إليها أو

التأخر عن ما أوجب الله، والله يعلم حاله ويشاهد حاله، ولا تخفى عليه منه خافية، ليستحي من الله أن يطمس قلبه وأن يعمي بصيرته، وأن يعاقبه بالطبع على قلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ليحذر، ليكن دائم الحذر فإن ربه له بالمرصاد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] ﷻ.

وأما قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، فالمراد يعني قبل أن يخلق، أما إذا خلق قد يطلع عليه كما هو الآن، إذا خلق الجنين اطلعوا عليه بالمناظير المعروفة يعرفون حاله، فهو يعلم ما في الأرحام قبل أن يخلق وبعد أن يخلق، فبعد أن يخلق يشترك معه الملك الذي جرى على يده التخليق، وقد يطلع عليه الخلق الآخرون، لكن قبل ذلك لا يعلمه لا ملك ولا غيره.

مداخلة: تسمية الإنسان بالحيوان.

الشيخ: هو حيوان؛ لكن حيوان ناطق.

● **س: عفا الله عنك! ابن عباس يتلقى عن بني إسرائيل؟**

○ **الجواب**: نعم، قد يروي، عبد الله بن عمرو وابن عباس وجماعة رضي الله عنهم.

● **س: أحسن الله إليك! سائل يقول: هل ورد في فضل سورة المُلك وقراءتها في كل ليلة حديث صحيح؟**

○ **الجواب**: ما أعلم شيئًا.

● **س: أحسن الله إليك! هذا تاجر عنده بضاعة ويعطيها بعض أصدقائه ويقول: بيعوها بالسعر الفلاني، وإن أخذتم مكسبًا فهو لكم، أهم شيء تعطوني المكسب الفلاني.**

○ **الجواب**: ما في بأس، إذا سمح لهم لا بأس، تبيعونها بمائة ريال وإن زاد شيء فهو لكم لا بأس.

مداخلة: أحسن الله إليك! تطويعها من الاستفسار هذه الآية.

الشيخ: هذا ما ثبت صحته هذا جسم ما يحتمل شيء.

• س: أحسن الله إليك يا شيخ! ما صحة الدعاء: «اللَّهُمَّ إني أشكو إليك ضعف حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، يا رب المستضعفين..» إلى آخر الحديث(١).

○ **الجواب**: ما أدري عن صحته، لكن معناه لا بأس به، أنا ما أعرف حال سنده، هذا يروى أنه قاله لما انصرف من الطائف، والمعروف أن سنده ضعيف، ولكن معناه صحيح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن الرَّبيع، حدثنا أبو الأحْوَص، عن سعيد بن مسروق، عن حسان النمري، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال: ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملَك موكل بها، يكتب ما يسقط منها.

وقوله: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ قال محمد بن إسحاق، عن يحيي بن النضر، عن أبيه، سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن ما لو أنهم ظهروا ـ يعني لكم ـ لم تروا معهم نورًا، على كل زاوية من زوايا الأرض خاتم من خواتيم الله ﷻ، على كل خاتم مَلَك من الملائكة يبعث الله ﷻ، إليه في كل يوم ملكًا من عنده: أن احتفظ بما عندك.

---

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/ ٣٥) قال الهيثمي: فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، وأخرجه أيضًا ابن عدي (٦/ ١١١، في ترجمة محمد بن إسحاق بن يسار) وقال: هذا حديث أبي صالح الراسبي لم نسمع أن أحدًا حدث بهذا الحديث غيره ولم نكتبه إلا عنه. والضياء من طريق الطبراني (٩/ ١٧٩ رقم ١٦٢).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن المِسوَر الزهري: حدثنا مالك بن سُعَيْر، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحَارث قال: ما في الأرض من شجرة ولا مغْرَز إبرة إلا عليها ملك موكل يأتي الله بعلمها: رطوبتها إذا رطبت، ويَبَسها إذا يبست.

وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني، عن مالك بن سعير، به.

ثم قال ابن أبي حاتم: ذُكر عن أبي حذيفة، حدثنا سفيان، عن عمرو بن قيس، عن رجل عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: خلق الله النون ـ وهي الدواة ـ وخلق الألواح، فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق، أو رزق حلال أو حرام، أو عمل بر أو فجور، وقرأ هذه الآية: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ إلى آخر الآية.

قال محمد بن إسحاق، عن يحيي بن النضر، عن أبيه، سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن ما لو أنهم ظهروا ـ يعني لكم ـ لم تروا معهم نورًا، على كل زاوية من زوايا الأرض خاتم من خواتيم الله ﷻ، على كل خاتم مَلَك من الملائكة يبعث الله ﷻ، إليه في كل يوم ملكًا من عنده: أن احتفظ بما عندك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الأثر الأخير من أخبار بني إسرائيل، لأن عبد الله بن عمرو بن العاص عنده زاملتان تلقاهما من أخبار أهل الكتاب يوم اليرموك، صار يحدث منهما من أخبار بني إسرائيل. والمقصود من هذه الآية بيان إحاطة علم الله بكل شيء، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم كل شيء ولا يخفى عليه خافية،

وعنده مفاتح الغيب، وهي خمس لا يعلمهن إلا الله، وهو العالم بكل ما في الوجود، وكل ما يأتي في آخر الزمان، وكل ما يأتي بعد ذلك، كما قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال ﷻ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فهو سبحانه قد أحاط علمه بكل شيء من الحيوانات والجمادات، وما هو موجود وما هو غائب، وما سيكون يوم القيامة إلى غير ذلك، فالعلم محيط بكل شيء.

فالواجب على المكلف أن يحذر إقدامه على ما حرم الله، أو تفريطه في ما أوجب الله، فإن الله ﷻ يحصي عليه أعماله وأقواله وجميع ما يصدر منه، فيجازيه على ذلك، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كما قال ﷻ في كتابه العظيم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ﴾ [الأنبياء: ٤٧] يعني: قليلًا ولا كثيرًا: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهذا يدل على سعة العلم، أنه لا يخفى عليه خافية ﷻ من أعمالك وغير ذلك، فعليك أن تؤمن بالله، وأن تعمل على مقتضى هذا العلم، بالمسابقة إلى الخيرات، وبالحذر من السيئات، وبالثبات على الحق، والتعاون على البر والتقوى. وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، يعني: ما يكون في الأرحام من الأجنة، فلا يعلم ما يقع في الرحم سواه ﷻ، لكن متى تخلق في الرحم قد يعلم الإنسان بواسطة الأجهزة والآلات التي هداهم الله لها، قد يعلم ما هناك من وراء الحائل، وأما أصل ما في الرحم فلا يعلمه إلا الله ﷻ، ولهذا قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ﴾ [لقمان:

٣٤]. وهكذا نزول الغيث لا يعلمه إلا هو سبحانه، فإذا انعقدت أسبابه وظهرت علاماته، استدل بذلك من يخبره ويتتبعه على ما قد يقع، وقد يصيب وقد يخطي، قد يصيب بظهور العلامات، قد يخطي فلا يقع ما ظن، وهكذا ينظر في الأرحام بعد وجود الأجنة، الأطباء قد يخطئون وقد يصيبون فيما يتعلق بالأجهزة التي يستعملونها، أما قبل التخليق فلا يعلم ما يقع في الأرحام من هذه النطف والعلقات، ما يعلم ماذا تصير إليه إلا هو سبحانه وتعالى.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٠ ـ ٦٢](١).

يخبر تعالى إنه يتوفى عباده في منامهم بالليل، وهذا هو التوفي الأصغر كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، فذكر في هذه الآية الوفاتين: الكبرى والصغرى، وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفاتين الصغرى ثم الكبرى، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار. وهذه جملة معترضة

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله. في مغرب الأحد ١٨ ـ ٥ ـ ١٤١٢هـ.

دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه في ليلهم ونهارهم، في حال سكونهم وفي حال حركتهم، كما قال: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]؛ أي: في النهار، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠، ١١]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: ما كسبتم بالنهار ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في النهار. قاله مجاهد، وقتادة، والسُّدِّي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الوفاة الصغرى من الدلائل على الوفاة الكبرى، هذا النوم وفاة وموت، وهو يدل على ما وراءه من الموت الأكبر والوفاة الكبرى، التي بها تنتهي حركاته وشعوره بكل شيء، حتى يبعثه الله جَلَّ وَعَلَا، هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلقه، وهو الذي يميته ويحييه. فالواجب على المكلف أن يعد العدة لهذه الوفاة والوفاة الأخرى، فلا بد من وفاة يحاسب بعدها ويجزى على أعماله، كما أنه يشاهد هذه الوفاة الصغرى التي هو يشعر بها في نومه في ليله ونهاره، يذهب شعوره ويكون في عالم آخر، ثم يرد الله عليه روحه وترجع إليه الحياة، فالذي ذهب بالروح ثم ردها في هذه الدار في الوفاة الصغرى، هو الذي يذهب بها ويردها في الوفاة الكبرى. والوفاة الكبرى بعدها الحساب والجزاء في البرزخ، وفي الآخرة بعد البعث والنشور، فما أولاك يا عبد الله! بأن تعد لهذه الوفاة عدتها قبل أن تقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، أنت الآن في دار المهلة، في دار العمل، دار التمني، فبادر إلى الإعداد وأخذ الزاد ما دمت في هذه الدار دار المهلة ودار العمل، دار الكسب والجد، والموفق من وفقه الله، وأغلب الخلق يفرط

في هذه الحياة ويعرض عن الحياة الأخرى، ويشغل بعاجل حياته من شهواته ولذاته، حتى لا يفيق إلا وهو في عسكر الموتى، فيتمنى حين لا ينفعه التمني، ويود حين لا يكون هناك قدرة على العمل.

مداخلة: أحسن الله إليك! قوله في الأثر: (خاتم من خواتيم الله)، المقصود؟

الشيخ: الله أعلم.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أحد القولين في وفاة قصة عيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وأنها وفاة النوم، وقال آخرون: معنى متوفيك، يعني: قابضك، مثل ما يقال: توفى الكيل، وتوفى حقه من فلان، واستوفى حقه من فلان؛ أي: قبضه، يعني: قابضك ورافعك إلي؛ لأنه لم يمت، كما قال ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، ثم يموت في آخر الزمان بعد نزوله، بعد ما ينزل في آخر الزمان ويحكم بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ويمكث في الأرض ما بيَّنه الرسول ﷺ، بعد ذلك يتوفاه الله، الموتة التي كتبها الله عليه، أما رفعه إلى السماء، فهو قبض وليس بموت، وإنما هو قبض أطلق الله عليه وفاة، ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، يعني: قابضك، أو معنى متوفيك: قابضك نائمًا، يعني: رافعك نائمًا، كما أشار المؤلف هنا في هذا، وحمل على وفاة النوم، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، يعني: قابضك نائمًا، وكلا المعنيين صحيح، النوم معناه صحيح، ومعنى: قابضك صحيح أيضًا، والمقصود أنه ﷺ لم يمت، وسوف يموت بعد نزوله في آخر الزمان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جريج عن عبد الله بن كثير: أي في المنام.

والأول أظهر. وقد روى ابن مَرْدُوَيه بسنده عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه، ويُرد إليه. فإن أذن الله في قبض روحه قبضه، وإلا رد إليه**»[1]، فذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾، وقوله ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ﴾ يعني به: أجل كل واحد من الناس، ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾؛ أي: يوم القيامة، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾؛ أي: فيخبركم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣﴾؛ أي: ويجزيكم على ذلك إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ﴾؛ أي: هو الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الوفاة في الدنيا، وفاة النوم مذكرة وفاة الآخرة، والجدير بالعاقل أن يتذكر أن هذا الذي يتوفاه بالنوم هو القادر على أن يتوفاه بالموت، وأن الواجب عليه الإعداد لهذا الموت قبل أن ينزل به، هذا هو الواجب على كل مكلف أن يعد العدة قبل أن يهجم عليه الموت، فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، فالواجب أن يعد العدة، وأن يجتهد في طاعة ربه، وأن يحذر معصيته، وأن يلزم التوبة والاستغفار لعله ينجو، الله جعل هذا الموت الآجل وهو: النوم، تذكرة وراحة ونعمة، فعليك أن تستفيد من هذه النعمة العظيمة، وأن تتذكر، وأن تعد العدة للوفاة الكبرى وهي وفاة الموت، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾، يعني: كسبتم بالنهار، النهار لك معاش فاجتهد في هذا النهار لتعمل في طاعة ربك، فتحسن إلى عباده وتقوم بحقه، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وترشد الضال وتجبر الكسير، وتعين

---

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

المسكين، إلى غير هذا من وجوه الخير، يكون لك في هذا النهار مجال في الخير وتصرف ينفعك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾؛ أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه كما قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقال: ﴿...عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: إذا احتُضِر وحان أجله ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾؛ أي: ملائكة موكلون بذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يوجب للعاقل العناية ما دامت الملائكة تحصي عليه، وتكتب أقواله وأعماله، فجدير به أن يعد العدة، وأن يتحفظ، وأن لا يتكلم إلا بخير، وأن لا يعمل إلا خيرًا، يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، يعني ويكتبونه، ويقول جَلَّ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، جدير بك يا عبد الله! أن تصون نفسك، وأن تحفظ قولك وعملك، وأن لا تكتب عليك الملائكة إلا ما ينفعك لا ما يضرك، أنت محاط بالملائكة أينما كنت، في الطريق في البيت في السيارة في الطائرة في الفراش، في أي مكان معك الملائكة، تحصي عليك قولك وعملك، فجدير بك أن لا يصدر منك إلا ما ينفعك، وأن تحذر ما يضرك من قول وعمل.

- **س: النفس الخبيثة صاحب النفس المعاصي والا الكافر؟**

○ **الجواب**: لا، الكافر.

• **السؤال: بعض الأحاديث روت أنه يقعدانه في القبر، وفي حديث أبي هريرة يجلسانه، أيهما.. وما الفرق بين: يقعدانه أو يجلسانه؟**

○ **الجواب**: المعنى واحد، يجلسانه ويقعدانه المعنى واحد.

• **س: العاصي ما يدخل في الحكم يا شيخ؟! الحكم؟**

○ **الجواب**: العاصي يرجى له الخير، لكن على خطر، والا هو اتباع المسلمين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة، يخرجون الروح من الجسد، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم وسيأتي عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، الأحاديث المتعلقة بذلك، الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾؛ أي: في حفظ روح المتوفى؛ بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، إن كان من الأبرار ففي عليِّين، وإن كان من الفجار ففي سجِّين، عياذًا بالله من ذلك.

وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ قال ابن جرير: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟﴾، يعني: الملائكة ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾.

ونذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد [عن أبي هريرة في ذكر صعود الملائكة بالروح من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عَزَّ وَجَلَّ] حيث قال: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يَسَار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ**

اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ـ قَالَ ـ فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ مَنْ هَذَا فَيُقَالُ فُلَانٌ. فَيَقُولُونَ مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ـ قَالَ ـ فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ ﷻ وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ قَالُوا اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ فَلَا يَزَالُ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ مَنْ هَذَا فَيُقَالُ فُلَانٌ. فَيُقَالُ لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ. فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَيُقَال لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الأَوَّلِ وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السَّوْءُ فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الأَوَّلِ» هذا حديث غريب[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

غريب ولكن سنده جيد، وهذا هو الصحيح، وقد جاء معناه في حديث البراء وفي غيره، وأن العبد إذا حضره الأجل جاءته الملائكة، فإذا كان من الأخيار ومن المؤمنين قيل له: أبشر برحمة الله ورضوان، فيحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، وإذا كان بالعكس: النفوس الخبيثة، قال: أبشري بسخط الله وغضبه، فيكره لقاء الله ويكره الله لقاءه، وفي حديث البراء مثل ما تقدم في حديث أبي هريرة: أنها ترفع إلى السماء روح المؤمن، يشيعها من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء السابعة، حتى

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٦٢)، والإمام أحمد (٢/ ٣٦٤ و٦/ ١٣٩).

يوقف بها أمام الله ﷻ، فيقول: «**ارجعوا عبدي إلى قبره: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾** [طه: ٥٥]، **واكتبوا كتاب عبدي في عليين**»، والعكس الروح الأخرى نسأل الله العافية.

فالمقصود: أن المؤمن عند خروج روحه يبشر بالجنة والسعادة ورضا الرب ﷻ، والكافر بضد ذلك يبشر بغضب الله وعقابه، فجدير بالمؤمن وجدير بمن تعز عليه نفسه ويحب لها النجاة، جدير بذلك أن يعتني بهذا المقام، وأن يعد العدة الصالحة، وأن يتأهب للقاء الله قبل أن يهجم عليه الأجل وهو لا يدري، فالنفوس بيد الله، والآجال بيد الله، ولا يعلم متى يهجم الأجل إلا الله ﷻ، فالحزم كل الحزم هو العناية بهذا الأمر والإعداد له، وعدم الغفلة وعدم التسويف، فأنت لا تدري متى ينزل بك أمر الله، فعليك بالحزم والحيطة والاستعداد، ولزوم التوبة والاستقامة على العمل الصالح حتى تلقى ربك، كما قال الله للنبي ﷺ وهو أفضل الخلق: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الإمام أحمد حيث قال: . . . .].

الشيخ: نعم؟

مداخلة: في عندنا تعليق على قول ابن جرير.

الشيخ: يأتي.

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يعني: الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة، فيحكم فيهم بعدله، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وقال: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٧ ـ ٤٩]؛ ولهذا قال: ﴿مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الأظهر، هذا القول هو الأظهر: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، يعني: الخلائق ليس المراد به الملائكة، الملائكة عند ربهم ويرجعون إليه، لكن المراد المتوفين هم الذين يردون إلى الله، تتوفاهم الملائكة ثم يردون إلى ربهم جَلَّ وَعَلَا فيجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها، ويجازيهم بعدله وفضله، لا بعدله فقط بل بعدله وفضله، يجازي أهل الكفر بالله بعدله، ويجازي أهل الإيمان بفضله وإحسانه وكرمه وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو موضوع سياق الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٠ ـ ٦٢]، . . . حتى لو كان كله في الأموات، المقصود أنها في الخلائق، في المكلفين.

الأسئلة:

● **س: أحسن الله إليك! تشمل الملائكة؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: ما تشمل الملائكة؟ وإن كان السياق في الخلائق.

○ **الجواب:** عمل الملائكة أمر معلوم، يأتون لحاجة ويرجعون، معروف أمرهم، يأتون لقبض روحه ثم يرجعون، يعني: رجوعهم أمر معلوم.

مداخلة: يا شيخ؟

الشيخ: نعم!

● **س: هل العبد يرى روحه عند الخروج؟**

○ **الجواب**: يقول النبي ﷺ: «**إنَّ الرُّوحَ إذَا قُبِضَ تَبعَهُ البصَرُ**»، هكذا رواه مسلم(١).

في الصحيح من حديث أم سلمة في قصة موت أبي سلمة: «**دخل على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، وقال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر**».

الشيخ: (السماء التي فيها الله)، يعني: في العلو، جنس العلو، ولأن الله فوق السماء فوق العرش، مثل قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، إلى السماء التي فيها الله، يعني: إلى العلو الذي فيه الله، وهو الذي فوق العرش سبحانه وتعالى.

❊

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ **[الأنعام: ٦٣ ـ ٦٥]**(٢).

يقول تعالى ممتنًّا على عباده في إنجائه المضطرين منهم ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: الحائرين الواقعين في المهامه البرية، وفي اللجج البحرية إذا هاجت الريح العاصفة، فحينئذ يفردون الدعاء له وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا

(١) في كتاب الجنائز، باب إغماض الميت والدعاء له إذا حضر برقم (٩٢٠).
(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في فجر الأحد ٢٤ ـ ٨ ـ ١٤١٩هـ.

نَجَّنكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود: من هذا أن المشركين في حال الشدائد يخلصون لله العبادة، عند اضطراب الأمواج وشدة الأمر، وإذا جاء الرخاء أشركوا بالله، وهذا من جهلهم وضلالهم، فالذي ينجي في الشدائد هو الذي يستحق أن يعبد في الرخاء: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، هذا من الجهل العظيم، والإعراض الشديد، والظلم الأكبر. فالواجب على المؤمن، والواجب على كل مكلف أينما كان أن يخلص لله العبادة في الشدة والرخاء، كما لا ينجي في الشدة إلا هو فهكذا في الرخاء، فالواجب أن يعبد وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالواجب على جميع المكلفين جنًّا وإنسًا، وعربًا وعجمًا، وذكورًا وإناثًا، أن يكونوا عبيدًا لله، في الشدائد والرخاء جميعًا، فهذا هو الواجب على الجن والإنس، من العرب والعجم، والذكور والإناث، والأغنياء والفقراء، يجب عليهم أن يعبدوا الله وحده أينما كانوا، في شدة أو رخاء، في غيبة أو شهادة، في جميع الأحوال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، فلا يجوز لأحد أن يشرك بالله لا في الرخاء ولا في الشدة؛

بل يجب أن تكون العبادة لله وحده، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ولكن المشركين لجهلهم وضلالهم وإعراضهم، وقعوا في هذا البلاء العظيم، في الشرك في الرخاء، والإخلاص في الشدة.

مداخلة: حديث: «**تعرَّف إلى الله في الرخاء**» سنده.

الشيخ: الأصل حديث ابن عباس: «**احفظ الله يحفظك**»، في بعض الروايات، ما أعرف الزيادة. هذا حسن.

مداخلة: عندنا يا شيخ: إنجاء المضطرين منهم، أي: الحائرين الواقعين في المهامة البرية، وفي اللحج البحرية.

الشيخ: في اللجج ما هو في اللحج.

مداخلة: الأول صحيح؟

الشيخ: نعم، في اللجج البحرية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾؛ أي: جهرًا وسرًّا ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: من هذه الضائقة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾؛ أي: بعدها، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ﴾؛ أي: بعد ذلك ﴿تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾؛ أي: تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرى.

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، لما قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ عقبه بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾؛ أي: بعد إنجائه إياكم، كما قال في سورة سبحان: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن

تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٦ ـ ٦٩].

قال ابن أبي حاتم: ذكر عن مسلم بن إبراهيم، حدثنا هارون الأعور، عن جعفر بن سليمان، عن الحسن في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: هذه للمشركين[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن الذي نجّاكم من البحر، من الشدة التي خفتم منها، هو القادر على أن ينزل بكم عذابًا في البر، في محل الأمن، قد ينزل العذاب من فوق، أو الخسف من تحت، أو أنواعًا من العذاب الأخرى، فالذي أنجاكم من البحر، وخفتم وأخلصتم من أجل ذلك، جدير بكم أن تخافوا أن يبيِّتكم في البر أيضًا، بالخسف من تحت أرجلكم بالخسف، أو من فوق من أن ينزل عليهم من البلاء ما يهلكهم به، لكن القوم لا يعقلون، وإنما يتبعون أهواءهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ لأمة محمد ﷺ، وعفا عنهم[٢].

ونذكر هنا الأحاديث الواردة في ذلك والآثار، وبالله المستعان، وعليه التكلان، وبه الثقة.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه معلقًا، ووصله الطبري من طريق ابن المبارك عن هارون به، والصواب أنها عامة كما سيأتي «حكمت».

(٢) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيح به، وسنده صحيح.

عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ يلبسكم: يخلطكم، من الالتباس، يَلْبِسوا: يَخْلطُوا. شيعًا: فرقًا.

حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**». ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**». ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**هذه أهون** ـ أو قال: **هذا أيسر**»[(١)].

وهكذا رواه أيضًا في «كتاب التوحيد» عن قتيبة، عن حماد، به. ورواه النسائي أيضًا في «التفسير»، عن قتيبة، ومحمد بن النضر بن مساور، ويحيى بن حبيب بن عربي أربعتهم، عن حماد بن زيد، به.

وقد رواه الحميدي في مسنده، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، سمع جابرًا عن النبي ﷺ، به.

ورواه ابن حبان في صحيحه، عن أبي يعلى الموصلي، عن أبي خيثمة، عن سفيان بن عيينة، به.

ورواه ابن جرير في تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع، وسفيان بن وَكِيع، كلهم عن سفيان بن عيينة، به[(٢)].

ورواه أبو بكر بن مَرْدُوَيه، من حديث آدم بن أبي إياس، ويحيى بن عبد الحميد، وعاصم بن علي، عن سفيان بن عيينة، به.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ برقم (٤٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ﴾ [القصص: ٨٨] برقم (٧٤٠٦)، والسنن الكبرى للنسائي برقم (١١١٦٥)، ومسنده الحميدي برقم (١٢٥٩)، والإحسان برقم (٧٢٢٠).

ورواه سعيد بن منصور، عن حماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، كلاهما عن عمرو بن دينار، به.

طريق أخرى: قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسيره: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا مقدام ابن داود، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا بن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن أبي الزبير، عن جابر قال: لما نزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بالله من ذلك**»، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بالله من ذلك**»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ قال: «**هذا**[1] **أيسر**»، ولو استعاذه لأعاذه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ ما يقع من الفتنة والقتال، هذا واقع أن يلبسهم شيعًا إما يقع بينهم الاختلاط والفتنة والحروب.

مداخلة: أحسن الله إليك! لكن هذه.

الشيخ: فيحصل بها البلاء الكبير.

مداخلة: هذه الزيادة تكون صحيحة: «ولو استعاذه لأعاذه»؟

الشيخ: هذا من اجتهاد الراوي، لأنه قال: «عذابه من فوقهم أو من تحتهم أعوذ بوجهك بهما».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويتعلق بهذه الآية [الكريمة] أحاديث كثيرة:

أحدها: قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا أبو اليمان، حدثنا أبو بكر ـ هو ابن أبي مريم ـ عن راشد هو ابن سعد المقرئي عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال: «**أما**

(١) في سنده ابن لهيعة ويشهد له سابقه بدون: **ولو استعاذه لأعاذه.**

إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ»[١]. وأخرجه الترمذي، عن الحسن بن عرفة، عن إسماعيل بن عياش، عن أبي بكر بن أبي مريم، به ثم قال: هذا حديث غريب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا السند ضعيف، لأن أبا بكر بن أبي مريم، هذا ليس بشيء عندهم.

ولكن مثل ما تقدم من باب الوعيد، الله ﷻ توعد عباده بالوعيد الذي يدعوهم به إلى استقامتهم على طاعته، وتركهم معصيته، وهو أنه سبحانه هو القادر على أن يعذبهم من فوق ومن تحت، فالعذاب بنزول العذاب كالصواعق والأمطار الجارفة والرياح العاصفة وغير ذلك، (ومن تحتهم) بالخسف والعياذ بالله لا حول ولا قوة إلا بالله! (أو يلبسهم شيعًا) يجعل بأسهم بينهم كما قد وقع ولا يزال واقعًا من الاختلاف والنزاع والتناحر والقتال كل هذا واقع.

فالمقصود: انه يجب الحذر، وأخذ الأسباب التي تمنع من ذلك، فيجب على المكلفين الاستقامة على أمر الله، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق، والحذر من الاختلاف والنزاع الذي يسبب ويجعل بأسهم بينهم، فيتناحرون ويتقاتلون، فيجب أخذ الحيطة وذلك بالاستقامة على أمر الله، والتواصي بالحق والصبر عليه، والحذر من المعاصي والسكوت عنها، والتواصي بتركها، هكذا المؤمنون يتواصون ويتناصحون فيما ينفعهم ويرضي الله عنهم، ويبعد عنهم خطر العقوبة.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنعام برقم (٣٠٦٦)، والإمام أحمد (١/ ١٧٠).

مداخلة: راشد بن سعد المَقْرَئي: بفتح الميم وسكون القاف وفتح الراء بعدها همزة ثم ياء النسب.

مداخلة: الحمصي، ثقة كثير الإرسال.

الشيخ: المقرئي، نعم.

مداخلة: ثقة كثير الإرسال من الثانية، مات سنة ثمان، وقيل: ثلاث عشرة، البخاري في الأدب والأربعة.

الأسئلة:

- **س: يعني النقل عن ابن جرير ليس دقيق؟**

○ **الجواب**: نعم... فيه بعض التساهل، نعم.

حال رواية أبي الزبير عن جابر:

- **س: أقصد يا شيخ! رواية أبي الزبير عن جابر؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: رواية أبي الزبير عن جابر بن عبد الله.

○ **الجواب**: جيدة، لكن قد يكون فيها تدليس بعض الأحيان، وفي الصحيح محمولة على السماع، في صحيح مسلم محمول على السماع، وأبو الزبير رماه بعضهم بالتدليس إذا عنعن، ومسلم رحمه الله انتقى أحاديثه وروى عنها... سمعه من جابر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

حديث آخر: قال الإمام أحمد حدثنا يعلى هو ابن عبيد، قال: حدثنا عثمان بن حكيم، عن عامر بن سعيد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية، فدخل فصلى ركعتين، فصلينا معه، فناجى ربه عز وجل طويلًا، قال: **«سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ**

أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا» انفرد بإخراجه مسلم[١]، فرواه في كتاب الفتن، عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير كلاهما عن عبد الله بن نمير، وعن محمد بن يحيى بن أبي عمر، عن مروان بن معاوية، كلاهما عن عثمان بن حكيم به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا وقعت الفتن في عهد معاوية، في عهد عثمان وعلي، ومعاوية، وبعد ذلك من الفتن الكثيرة، لله الحكمة سبحانه في ابتلاء الناس، فيما ابتلاهم به حتى يتبين طالب الحق من غيره، وحتى يتبين أصحاب المقاصد السليمة من غيره، فبالفتن يبين ربي أحوال الناس، ويظهر بها المحق من المبطل، وطالب الخير من طالب الشر: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣]، الله أكبر، سبحان الله. . . .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: قرأت على عبد الرحمن بن مهدي عن مالك عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، أنه قال: جاءنا عبد الله بن عمر في حَرَّة بني معاوية قرية من قرى الأنصار فقال لي: هل تدري أين صلَّى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا؟ فقلت: نعم، فأشرت إلى ناحية منه، فقال: هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه؟ فقلت: نعم، فقال: وأخبرني بهن، فقلت: (دعا أن لا يظهر عليهم عدوًّا من غيرهم، ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما: ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمُنعها، قال: صدقت،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض برقم (٢٨٩٠).

فلا يزال الهرج إلى يوم القيامة)، ليس هو في شيء من الكتب الستة، وإسناده جيد قوي، ولله الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله المستعان.

مداخلة: . . . نقل في حاشية هنا، قول الهيثمي: رجاله ثقات، هذا السند.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: قال الهيثمي: رجاله ثقات، هذا السند.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عباد عن حُنَيف عن علي بن عبد الرحمٰن، أخبرني حذيفة بن اليمان قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية، قال: فصلَّى ثماني ركعات، فأطال فيهن، ثم التفت إليّ فقال: حبستك؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: إني سألت الله ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألته ألا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم، فأعطاني، وسألته ألا يهلكهم بغرق فأعطاني، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم، فمنعني.

رواه ابن مَرْدُوَيه من حديث ابن إسحاق(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبيدة بن حميد، حدثني سليمان الأعمش، عن رجاء الأنصاري، عن عبد الله بن شداد، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله ﷺ أطلبه فقيل لي: خرج قَبْلُ. قال: فجعلت لا أمر بأحد إلا قال: مر قبل. حتى مررت فوجدته قائمًا يصلي. قال: فجئت حتى قمت خلفه، قال: فأطال الصلاة، فلما قضى

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن نمير عن ابن اسحاق، المصنف (١٠/٣١٨)، وفي سنده عنعنة أبي اسحاق ويشهد له ما سبق.

صلاته قلت: يا رسول الله، لقد صليت صلاة طويلة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إِنِّي صَلَّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ سَأَلْتُ اللهَ ﷻ لأُمَّتِي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَرَدَّ عَلَيَّ وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَهُمْ غَرَقًا فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَرَدَّهَا عَلَيَّ»**[(١)].

ورواه ابن ماجه في «الفتن» عن محمد بن عبد الله بن نمير، وعلي بن محمد، كلاهما عن أبي معاوية، عن الأعمش، به[(٢)].

ورواه ابن مَرْدُوَيه من حديث أبي عَوَانة، عن عبد بن عُمَيْر، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ، بمثله أو نحوه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا عبد الله بن وَهْب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن بُكَيْر بن الأشج، أن الضحاك بن عبد الله القرشي حدثه، عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلَّى سُبْحَة الضحى ثماني ركعات. فلما انصرف قال: **«إِنِّي صَلَّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَبْتَلِيَ أُمَّتِي بِالسِّنِينَ فَفَعَلَ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَفَعَلَ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا فَأَبَى عَلَيَّ»**[(٣)]. ورواه النسائي في الصلاة، عن محمد بن سلمة، عن ابن وهب، به[(٤)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٥/ ٢٤٠) وفي سنده رجاء الأنصاري: مقبول كما في التقريب ويشهد له سبق وما لحق.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن برقم (٣٩٥١) وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٣/ ١٤٦)، وأخرجه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٣١٤). وأخرجه ابن خزيمة في الصحيح برقم (١٢٢٨).

(٤) أخرجه النسائي (٣/ ٢١٦).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، قال: قال الزهري: حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن خباب، عن أبيه خباب بن الأرت ـ مولى بني زهرة، وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ ـ أنه قال: وافيت رسول الله ﷺ في ليلة صلاها كلها، حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله ﷺ من صلاته، قلت: يا رسول الله، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت مثلها. فقال رسول الله ﷺ: «**أَجَلْ إِنَّهَا صَلَاةُ رَغَبٍ وَرَهَبٍ، سَأَلْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا ثَلَاثَ خِصَالٍ فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ لَا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الأُمَمَ قَبْلَنَا فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُ رَبِّي ﷻ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا غَيْرَنَا فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ لَا يُلْبِسَنَا شِيَعًا فَمَنَعَنِيهَا**»(١).

ورواه النسائي من حديث شعيب بن أبي حمزة، به ومن وجه آخر. وابن حبان في صحيحه، بإسناديهما عن صالح بن كيسان ـ والترمذي في «الفتن» من حديث النعمان بن راشد ـ كلاهما عن الزهري، به وقال: حسن صحيح.

الشيخ: عندك واو، عندك واو ومن وجه آخر؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: وجه واو عندكم واو.

مداخلة: نعم. يا شيخ!

الشيخ: وبوجه.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته برقم (٢١٧٥)، والنسائي (٣/ ٢١٦)، والإمام أحمد (٥/ ١٠٨)، وابن حبان في الصحيح (٩/ ١٨٠) برقم (٧٢٣٦).

مداخلة: نعم. أحسن الله إليك!

الشيخ: وروى، أعد سطر، ورواه من ماذا بعد فمنعنيها.

مداخلة: قوله: صلاها كلها قيام الليل؟

الشيخ: في بعض الأحيان يقوم الليل كله عليه الصلاة والسلام، لكنها نادر قليل.

مداخلة: عفا الله عنك في ما صح نهي (قيام الليل)؟

الشيخ: إذا صار لعارض، وإلا فالغالب مثل ما قال ﷺ لعبد الله بن عمرو قم ونم. وهكذا أبو الدرداء، السنة أنه لا يقوم الليل كله، هذا السنة، لكن إذا عرض عارض في بعض الأحيان وقام الليل كله لأمر مهم ما في حرج، مثلما قام العشر الأواخر كلها عليه الصلاة والسلام في رمضان.

مداخلة: أشار المحشِّي أحسن الله إليك إلى أن الرواية في مسند الإمام أحمد في ليلة صلاها رسول الله ﷺ ما في كل.

الشيخ: والذي عندكم؟

مداخلة: الذي في المتن (في ليلة صلاها كلها).

الشيخ: المعنى متقارب، نعم.

مداخلة

حديث آخر: قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره: حدثني زياد بن عبيد الله المزني، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا أبو مالك، حدثني نافع بن خالد الخزاعي، عن أبيه؛ أن النبي ﷺ صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود، فقال: «**قد كانت صلاة رَغْبَة ورَهْبَة، سألت الله، ﷻ، فيها ثلاثًا، أعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألت الله ألا يصيبكم بعذاب أصاب به من قبلكم، فأعطانيها. وسألت الله ألا يسلط**

عليكم عدوًّا يستبيح بيضتكم، فأعطانيها. وسألته ألا يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها». قال أبو مالك: فقلت له: أبوك سمع هذا من في رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله ﷺ(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله(٢):

وهذه من المصائب العظيمة التي قدرها سبحانه؛ لحكمة بالغة من جملة الابتلاء والامتحان، الخلاف بين الأمة، وجعل بأسهم بينهم، هذه من آيات الله التي ابتلى بها عباده، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. فالله جل وعلا يبتلي عباده بالسراء والضراء، والشدة والرخاء؛ ليمتحن صبرهم وشكرهم وثباتهم على الحق، ومن جملة ذلك الاختلاف، وما يقع من الحروب بينهم، وأول ذاك ما وقع في عهد عثمان، مقتل عثمان من البلية العظيمة، ثم بعد ذلك ما بين علي ومعاوية وأهل الجمل، ثم بعد ذلك الفتن الكثيرة التي وقعت بعد موت يزيد بن معاوية إلى غير ذلك من الفتن العظيمة، وكلها داخلة في قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ﴾ [الأنعام: ٦٥]، لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات (الإصابة ٣/ ٧٥)، وأخرجه البزار وحسَّنه الحافظ ابن حجر (مختصر زوائد البزار برقم ١٦٢٩). قال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير نافع بن خالد (مجمع الزوائد ٧/ ٢٢٥).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢ ـ ٦ ـ ١٤١٢هـ.

الأسئلة:

● **س: يا شيخ: الجماعات الإسلامية من التفرق في الدين؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الجماعات الإسلامية، هذا تبليغي وهذا كذا...

○ **الجواب:** نرجو ألا يكونوا من هذا الكلام نرجو، ما داموا كلهم على الحق وليس عندهم بدع، إنما هو تعاون على البر والتقوى ما يكون من هذا، التفرق المذموم: الذي تفرق على الشر والبدعة والمخالفة، أما إذا تجمعوا يتعاونوا على البر والتقوى، ويتساعدون على إقامة مدارس أو حلقات علم، أو ليتعاونوا على مساجد أو على دعوة فلا يضر هذا، مثل أنصار السنة في مصر، وأنصار السنة في السودان، والإخوان المسلمون إذا هداهم الله وتعاونوا على البر والتقوى، إلا كان المقصود التعاون على الخير، ليس المقصود أمرًا آخر فلا يضر، التعاون على البر والتقوى مطلوب، إنما يذم هذا التجمع إذا صار فيه أهداف أخرى.

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: (إنها صلاة رغب ورهب):

● **س: أقول الله يرعاك! وصفه عليه الصلاة والسلام بأنها صلاة رغب ورهب دون غيرها يعني؟**

○ **الجواب:** يعني: مبالغة، هذا المقصود يعني، كل الصلاة رغب ورهب، لكن كأن المقصود والله أعلم يعني: صلاة حصل فيها مبالغة في الرغب والرهب.

● **س: تعددت الحادثة من النبي ﷺ الحادثة، في هذه الأحاديث من بعضها صلاة؟**

○ **الجواب:** إي كأنها تعددت؛ لأنها وقعت مرات كثيرة منه عليه السلام، ولهذا اختلفت الدعوات.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق قال: قال

مَعْمَر، أخبرني أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أبي أسماء الرَّحْبي، عن شداد بن أوْس؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الله تعالى زَوَى لي الأرضَ حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلْك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر، وإني سألت ربي ﷻ ألا يهلك أمتي بسنَة بعامة وألا يسلط عليهم عدوًّا فيهلكهم بعامة، وألا يلبسهم شيعًا، وألا يذيق بعضهم بأس بعض. فقال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وألا أسلط عليهم عدوًّا ممن سواهم فيهلكهم بعامة، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، وبعضهم يقتل بعضًا، وبعضهم يسبي بعضًا»**. قال: وقال النبي ﷺ: **«وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلِّين، فإذا وضع السيف في أمتي، لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة»**[(١)].

ليس في شيء من الكتب الستة، وإسناده جيد قوي، وقد رواه ابن مَرْدُوَيه من حديث حماد بن زيد، وعباد بن منصور، وقتادة، ثلاثتهم عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثَوْبان، عن رسول الله ﷺ بنحوه، فالله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا غريب، بل أخرجه مسلم في صحيحه؛ لكن هذا غريب من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

مداخلة: أخرجه مسلم.

الشيخ: إلا الزيادة انظر: **«ويسبي بعضهم بعضًا»**، ماذا بعده.

القاري: **«واذا وضع السيف في أمتي لم يرفع»**.

الشيخ: الى هذا بعد: واذا وضع.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض برقم (٢٨٨٩).

القاري: وقال النبي ﷺ: «**إني لا أخاف على أمتي الا الأئمة المضلِّين**».

الشيخ: الذي قبله بكلمة

القاري: «**ويسبي بعضهم بعضًا**».

الشيخ: هذا هو رواية مسلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ

حديث آخر: قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه: حدثنا عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي وميمون بن إسحاق بن الحسن الحنفي قالا: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبي مالك الأشجعي، عن نافع بن خالد الخزاعي، عن أبيه قال ـ وكان أبوه من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان من أصحاب الشجرة ـ: كان رسول الله ﷺ إذا صلى والناس حوله، صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود. قال: فجلس يومًا فأطال الجلوس حتى أومأ بعضنا إلى بعض: أن اسكتوا، إنه ينزل عليه. فلما فرغ قال له بعض القوم: يا رسول الله، لقد أطلت الجلوس حتى أومأ بعضنا إلى بعض: إنه ينزل عليك. قال: «**لا ولكنها كانت صلاة رَغْبة ورهبة، سألت الله فيها ثلاثًا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة. سألت الله ألا يعذبكم بعذاب عذب به من كان قبلكم، فأعطانيها. وسألته ألا يسلط على أمتي عدوًّا يستبيحها، فأعطانيها. وسألته ألا يَلْبسَكم شِيعًا وألا يذيق بعضكم بأس بعض، فمنعنيها**»، قال: قلت له: أبوك سمعها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، سمعته يقول: إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابعي هذه، عشر أصابع[1].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يونس ـ هو ابن محمد

(١) تقدم تخريجه في الحديث السابق.

المؤدب ـ حدثنا ليث ـ هو ابن سعد عن أبي وهب الخولاني، عن رجل قد سمَّاه، عن أبي بَصْرَة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«سألت ربي ﷻ، أربعًا فأعطاني ثلاثًا، ومنعني واحدة. سألت الله ألا يجمع أمتي على ضلالة، فأعطانيها. وسألت الله ألا يُظهر عليهم عدوًّا من غيرهم، فأعطانيها. وسألت الله ألا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم، فأعطانيها. وسألت الله ﷻ، ألا يلبسهم شيعًا وألا يذيق بعضهم بأس بعض، فمنعنيها»**[١]، لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

حديث آخر: قال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا منجاب بن الحارث، حدثنا أبو حذيفة الثعلبي، عن زياد بن عِلاقة، عن جابر بن سَمُرَة السَّوَائي، عن علي رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، فقلت: يا رب، لا تهلك أمتي جوعًا فقال: هذه لك. قلت: يا رب، لا تسلط عليهم عدوًّا من غيرهم ـ يعني أهل الشرك ـ فيجتاحهم. قال ذلك لك قلت: يا رب، لا تجعل بأسهم بينهم»**. قال: **«فمنعني هذه»**[٢].

حديث آخر: قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد بن عاصم، حدثنا أبو الدرداء المروزي، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان، حدثني أبي، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«دعوت ربي ﷻ، أن يرفع عن أمتي أربعًا، فرفع الله عنهم اثنتين، وأبى عليّ أن يرفع عنهم**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٦/٣٩٦) وسنده ضعيف لإبهام شيخ أبي وهب الخولاني، ويتقوى بالشواهد السابقة واللاحقة.

(٢) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير (١/١٠٧) برقم (١٧٩). قال الهيثمي: وفيه أبو حذيفة الثعلبي ولم أعرفه (المجمع ٧/٢٢٢) ويشهد له ما سبق وما لحق.

اثنتين. دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء، والغرق من الأرض، وألا يلبسهم شيعًا، وألا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الرجم من السماء، والغرق من الأرض، وأبى الله أن يرفع اثنتين: القتل، والهَرج»[١].

مداخلة: الهرج، أليس هو القتل؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: التفريق بين الحديث، قال!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: الحديث ذكر أن يرفع اثنتين: القتل والهرج، الجمع بين القتل والهرج، مع أن الهرج.

الشيخ: قد يكون من باب التنوع، لأن الهرج يكون قبله اختلاف وشر كثير.

طريق أخرى عن ابن عباس أيضًا: قال ابن مَرْدُوَيه: حدثني عبد الله بن محمد بن زيد، حدثني الوليد بن أبان، حدثنا جعفر بن منير، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد، حدثنا عمرو بن قيس، عن رجل، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ﴾ قال: فقام النبي ﷺ فتوضأ، ثم قال: **«اللَّهُمَّ لا ترسل على أمتي عذابًا من فوقهم، ولا من تحت أرجلهم، ولا تلبسهم شيعًا، ولا تذق بعضهم بأس بعض»**، قال: فأتاه جبريل فقال: **«يا محمد، إن الله قد أجار أمتك أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم أو من تحت أرجلهم»**[٢].

---

(١) سنده ضعيف جدًّا لأن إسحاق بن عبد الله بن كيسان، ليَّنه أبو أحمد الحاكم، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان في الثقات: يتقى حديثه من رواية ابنه عنه (لسان الميزان ١/ ٣٦٥).

(٢) سنده ضعيف لإبهام شيخ عمرو بن قيس.

حديث آخر[١]: قال ابن مَرْدُوَيه: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزار، حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد، حدثنا عمرو بن محمد العَنْقَزِي، حدثنا أسباط، عن السُّدِّي، عن أبي المِنْهَال، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**سألت ربي لأمتي أربع خصال، فأعطاني ثلاثًا ومنعني واحدة. سألته ألا تكفر أمتي واحدة، فأعطانيها. وسألته ألا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم، فأعطانيها. وسألته ألا يظهر عليهم عدوًّا من غيرهم، فأعطانيها. وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها**». ورواه ابن أبي حاتم، عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطَّان، عن عمرو بن محمد العنقزي، به نحوه[٢].

الشيخ: ألا!

الملقي: ألا تكفر.

الشيخ: تكفر؟

القاري: نعم.

الشيخ: تكفر؟

الملقي: تكفر أمتي واحدة، فأعطانيها.

الشيخ: ألا تكفر أمتي، جميعًا يعني.

الملقي: (ألا تكفر أمتي واحدة فأعطانيها).

مداخلة: أحسن الله إليك: صفقة واحدة.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: قبل واحدة: صفقة.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٦ ـ ٦ ـ ١٤١٢هـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده نحوه، وسنده حسن. وله شواهد تقدمت.

الشيخ: عندكم: صفقة؟

مداخلة: نعم يا شيخ.

الشيخ: الذي رواه البزار

مداخلة: ابن مردويه.

الشيخ: إي، ضع صفقة واحدة، يعني: جميعًا، مثل: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

طريق أخرى: وقال ابن مَرْدُوَيه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا زيد بن الحُباب، حدثنا كثير بن زيد الليثي المدني، حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذُبَاب، سمع أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «**سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألته ألا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم فأعطاني. وسألته ألا يهلكهم بالسنين، فأعطاني. وسألته ألا يلبسهم شيعًا وألا يذيق بعضهم بأس بعض، فمنعني**».

مداخلة: في نسخة الشعب: ذباب، مولى آل أبي ذباب.

الشيخ: ذئاب؟

القاري: نعم.

الشيخ: بالراء؟

القاري: ذئاب بالذال.

الشيخ: بالذال؟

القاري: إي نعم.

الشيخ: وعندكم: ذئاب ولا ذياب؟

مداخلة: ذئاب.

مداخلة: ذباب أحسن الله إليك، مولى آل أبي ذباب.

الشيخ: ذباب بالباء؟

مداخلة: إي نعم.

الشيخ: كثير بن زيد ماذا؟

القاري: [كثير بن زيد الليثي المدني، حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذئاب].

الشيخ: انظر التقريب موجود؟

مداخلة: إي نعم يا شيخ.

الشيخ: انظر الوليد بن رباح

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم رواه ابن مَرْدُوَيه بإسناده عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، بنحوه.

الشيخ: عن سعد

القاري: عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري.

الشيخ: كذا عندكم؟

مداخلة: عندنا عن أبي سعيد.

مداخلة: عن سعد بن سعيد عن أبي سعيد المقبري.

مداخلة: أحسن الله إليك: عندنا عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه.

الشيخ: هذا غريب! المعروف سعيد بن أبي سعيد عن أبيه، يعني: زيادة سعد بن سعيد هذه كلكم عندكم: عن سعد بن سعيد

مداخلة: نعم.

مداخلة: عن سعد بن سعيد عن أبي سعيد

القاري: عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري

الشيخ: كذا عندكم، كذا؟

مداخلة: إي نعم. لا مختلف عندنا. نحن عندنا: عن سعد، هكذا.

الشيخ: سعد بن سعيد بن أبي سعيد.

مداخلة: إي نعم.

الشيخ: المقبري عن أبيه.

مداخلة: نعم.

الشيخ: نعم، عندكم خلافه؟

مداخلة: أي مختلف عندنا، عندنا: عن أبي.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: عن سعد بن سعيد عن أبي سعيد

مداخلة: إي أنا عندي كذلك: عن أبي سعيد

الشيخ: عن سعد بن سعيد

القاري: عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه

الشيخ: من هذا، ابن مردويه؟

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: سعد بن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه؟

مداخلة: نعم.

مداخلة: المقبري عن أبيه.

الشيخ: والآخرين عندهم سعد بن سعيد عن أبي سعيد كذا؟

مداخلة: نعم.

مداخلة: عن أبيه.

الشيخ: عن أبي سعيد عن أبيه؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: عن سعد بن سعيد عن أبي سعيد المقبري عن أبيه.

الشيخ: نعم سعد بن سعيد عن سعيد بن أبي سعيد.

مداخلة: نعم عن أبي سعيد.

الشيخ: المقصود عندكم: سعد بن سعيد لحاله، ثم عن سعيد بن أبي سعيد

مداخلة: نعم نعم.

الشيخ: نعم، هذا المعروف.

مداخلة: لا يا شيخ، عندهم: عن سعد بن سعيد عن أبي سعيد المقبري، هذا الذي عندهم عن أبيه، وعندنا: عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه.

الشيخ: طيب انظر: سعد بن سعيد.

مداخلة: الوليد بن رباح المدني الأول.

الشيخ: نعم.

مداخلة: الوليد بن رباح المدني صدوق من الثالثة.

الشيخ: المدني

مداخلة: المدني.

الشيخ: ما زاد شيء؟

مداخلة: ما زاد شيء.

الشيخ: في ثاني؟

مداخلة: ما في إلا الوليد بن رباح

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الوليد بن رباح... وهو رباح بن الوليد ، لكن...

الشيخ: ماذا بعده؟

مداخلة: فقط.

الشيخ: ماذا قال، انتهى؟

مداخلة: انتهى يا شيخ.

الشيخ: انظر سعد بن سعيد

مداخلة: هذا هو يا شيخ.

الشيخ: نعم.

مداخلة: سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري المدني أبو سهل، لين الحديث من الثامنة، ابن ماجه.

الشيخ: ابن ماجه.

مداخلة: نعم.

الشيخ: وعندك سعد بن سعيد.

القاري: عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه.

الشيخ: وانتم يا شيخ سلطان، عن سعد.

مداخلة: عندنا: سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مداخلة: مثله.

مداخلة: مثلما قرأ.

مداخلة: لا ، الاختلاف عندنا يا شيخ.

الشيخ: الجميع الذي عنده خلاف هذا، الآخرون.

مداخلة: عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه.

الشيخ: إي، بس عندكم: عن بدل من: ابن؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: هذا نعم، سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورواه البزار من طريق عمر بن سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه(١).

مداخلة: ترجمة عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

مداخلة: عمر يا شيخ؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قاضي المدينة، صدوق يخطئ من السادسة، قتل بالشام سنة اثنتين وثلاثين مع بني أمية، البخاري تعليق والأربعة.

الشيخ: وعمرو بالواو...؟

مداخلة: في ثلاثة عمرو.

الشيخ: نعم.

مداخلة: عمرو بن سلمة.

الشيخ: لا، ابن أبي سلمة.

مداخلة: عمرو بن أبي سلمة التنيسي: بمثناة ونون ثقيلة بعدها تحتانية ثم مهملة، أبو حفص الدمشقي مولى بني هاشم، صدوق له أوهام، من كبار العاشرة.

الشيخ: العاشرة؟

مداخلة: إي نعم، مات سنة ثلاث عشرة أو بعدها، الجماعة.

---

(١) مسند البزار كما في كشف الاستار (ح ٣٢٩٠) وله شواهد تقدمت.

الشيخ: هذا عمر بدون واو، ولد أبي سلمة بن عبد الرحمن، حفيد عبد الرحمن بن عوف رحمة الله عليه.

الشيخ: المقصود بالعذاب الذي استجاب الله فيه دعوة النبي ألا يقع بأمته.

مداخلة: ما جاء في الحديث أحسن الله إليكم، كون النبي ﷺ أعطي أنه لا يعذب من فوق ولا من تحت...

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما ورد مثل الحديث السابق: أن النبيَّ ﷺ أعطي اثنتين...

الشيخ: العذاب العام يعني.

مداخلة: ... يعني.

الشيخ: مرفوع عنهم العذاب العام، أما ما يقع من الفتن والعقوبات غير العامة هي المرفوعة، وأما ما يقع من الجزئيات تقع، الزلازل والصواعق والرياح وأشباهها، تصيب بعض الناس.

مداخلة: عمر بن سلمة أو ابن؟

الشيخ: ابن أبي سلمة، بدون واو.

مداخلة: أثابك الله! في الأثر الأول يا شيخ، قال سفيان: يعني الرجم والخسف، يعني: يقصد أنهما اللتان بقيتا، الأول الأثر يقول: وبقيت اثنتان.

الشيخ: الذي قبله، ماذا قال؟ أربع.

مداخلة: قال سفيان الثوري.

الشيخ: الذي قبل سفيان، الكلمة الذي قبل.

مداخلة: هذا أولًا.

مداخلة: هذا أول الأثر

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أثر آخر: قال سفيان، الثوري عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبَي بن كعب قال: أربعة من هذه الأمة: قد مضت ثنتان، وبقيت ثنتان: قال: الرجم. ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: الرجم. ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: الخسف. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال سفيان: يعني: الرجم والخسف[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: جعلها بعد ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ هو محل الاشتباه.

الشيخ: كذا عندكم هذا سفيان.

مداخلة: نعم يا شيخ.

الشيخ: في هذا المحل هذا؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: هذا غريب! الرجم والخسف ما هو بمعنى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، كأنما تقديم وتأخير، كل النسخ هكذا؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: ضع على قال سفيان إشارة.

القاري: نعم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والخلاصة من هذه الأحاديث الكثيرة: أن الاثنتين الأوليين واقعة في الأمة، ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: ما يقع من العقوبات من الرجم، ومن الصواعق الضارة، ومن الأمطار الضارة، إلى غير ذلك مما يقع من الرياح إلى غير ذلك، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: ما

---

(١) سنده جيد تقدَّمت في مقدمة التفسير.

يقع من الخسف والزلازل، فهذا كله واقع، وقع كثيرًا ويقع نسأل الله العافية قبل النبي وبعده عليه الصلاة والسلام، أما: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: هذا هو الاختلاف بين الأمة، وما يقع بينها من القتال والفتن، وهذا وقع، واقع لم يرفع عنها، إن استقامت على دين الله، وحافظت على ما يجب عليها، كفاها الله هذا الاختلاف فاستقام لها الأمر، وإن حصل فيما بينها من المعاصي والشرور والمخالفة لأمر الله، قاتل بعضهم بعضًا، وتعدى بعضهم على بعض. مثلما جاء في هذه الروايات الأخيرة، أول ما وقع بعد خمس وعشرين سنة لما قتل عثمان حصل ما حصل من الالتباس، وأذاق الله بعضهم بأس بعض، بما جرى بين المسلمين، بين علي ومعاوية، بين أهل العراق وأهل الشام، وما وقع بعد هذا من الفتن، كله داخل في قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: فهي أربع خلال، منها ثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، أُلبِسوا شيعًا، وذاق بعضهم بأس بعض، وبقيت اثنتان لا بد منهما واقعتان: الرجم والخسف. ورواه أحمد، عن وَكِيع، عن أبي جعفر(١).

الشيخ: أربعة وإلا أربع؟

مداخلة: أربعة.

مداخلة: أربع.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن وكيع به (المسند ٣٥/ ١٥١ ح ٢١٢٢٧)، وضعفه محققوه، وقال الهيثمي: رجاله ثقات (المجمع ٧/ ٢٤).

الشيخ: وأنتم...

مداخلة: أربع.

الشيخ: هذا الصواب: أربع، عندك في نسخة الشعب؟

مداخلة: أربعة.

الشيخ: كذا؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: يجوز، هذه نسخة: أربع وتلك أربعة، لأن الشيء إذا ما ذكر للتمييز يذكر ويؤنث، ستًّا من شوال، وإذا ذكر التمييز ستة أيام فهذه ستًّا تؤنث، أربع تؤنث، أربعة تذكر، لأن التاء تذكير، سهل ضع نسخة: أربع ونسخة أربعة.

القاري: قال سفيان الثوري عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب، قال: [أربعة في هذه الأمة، قد مضت اثنتان، وبقيت اثنتان.

الشيخ: يعني: أربعة أشياء، واللي عنده أربع، يعني: أربع خصال، نعم.

مداخلة: يا شيخ عفا الله عنك: في إسناد هنا عمرو وإلا عمر بن أبي سلمة.

الشيخ: الذي عندكم ماذا هو: بالواو ولا؟!

مداخلة: عن عمرو

الشيخ: بالواو؟

مداخلة: عندي عمرو بن أبي سلمة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا أحمد بن

إسحاق، حدثنا أبو الأشهب، عن الحسن، في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ الآية، قال: حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها، فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها[١].

وهكذا قال سعيد بن جُبَيْر، وأبو مالك ومجاهد، والسُّدِّي وابن زيد في قوله: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الرجم. ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: الخسف[٢]. وهذا هو اختيار ابن جرير.

ورواه ابن جرير، عن يونس، عن ابن وَهْب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يصيح وهو في المجلس ـ أو على المنبر يقول: ألا أيها الناس، إنه قد نزل بكم.

إن الله يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ لو جاءكم عذاب من السماء، لم يبق منكم أحدًا ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ لو خسف بكم الأرض أهلككم، لم يبق منكم أحدًا ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث[٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يصيح.

القاري: نعم: يصيح وهو في المسجد أو على المنبر يقول: ألا أيها الناس! إنه قد نزل بكم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.
(٢) أخرج الطبري هذه الآثار بأسانيد ثابتة وبعضها ضعيف يتقوى بما ثبت وبما تقدم عن أبي العالية عن أُبي بن كعب.
(٣) أخرجه الطبري وسنده ضعيف للانقطاع بين عبد الرحمن بن زيد وابن مسعود رضي الله عنه.

مداخلة: يصيح وهو في المجلس، أو على المنبر؟

الشيخ: ماذا عندكم؟

مداخلة: في المسجد.

الشيخ: في المسجد؟

مداخلة: عندنا: في المسجد.

مداخلة: شيخ أحسن الله إليك، يقول: وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي وابن زيد وغير واحد في قوله: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الرجم ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: كان عبد الله بن مسعود يصيح وهو في المسجد[١] أو على المنبر يقول: ألا أيها الناس! إنه قد نزل بكم، إن الله يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدًا، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ لو خسف بكم الأرض أهلككم ولم يبق منكم أحدًا، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ الآية، نزل بكم أسوأ الثلاث.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود من هذا: أن المرفوع عن الأمة، الذي أجاب الله دعوته فيه ﷺ العذاب العام من فوقنا أو من تحتنا، كما جرى على قوم هود وقوم نوح وقوم ثمود وقوم صالح من العذاب المستأصل العام نسأل الله العافية، هذا رفع عن هذه الأمة، لا تعذب عذابًا يستأصلها ولا يبقي منها أحدًا، أما يقع من بعض العقوبات على بعض الناس هذه باقية، قد

(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ضع نسخة في المجلس.

يعاقب بعض الناس بشيء من فوق ما يغرقهم، يغرق بعض الناس في بعض الديار، أو رياح تدمر عليهم أشجارًا وزروعًا وغير ذلك، أو أشياء أخرى من برد أو ما أشبه ذلك، هذا قد يقع لكن ما هو بعام، كذلك من تحتهم قد يقع، قد يخسف بعض البلاد، بعض القرى، قد يصيبها زلازل تدمرها، هذه ليست عامة.

مداخلة: أحسن الله إليك البراكين، تعتبر من..؟

الشيخ: والبراكين كذلك فيها، البراكين هي زلازل...

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قول ثان: قال ابن جرير وابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وَهْب، سمعت خلاد بن سليمان يقول: سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول: إن ابن عباس كان يقول في هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، فأما العذاب من فوقكم، فأئمة السوء ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فخدم السوء[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، ماذا؟

القاري: فأئمة السوء.

الشيخ: بالفاء؟

القاري: نعم.

مداخلة: نسخة الشعب: فأما العذاب من فوقكم فأئمة السوء.

الشيخ: نعم.

قال الحافظ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: فخدم السوء.

الشيخ: خدم السوء؟

القاري: نعم.

---

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم وفي سنده عامر بن عبد الرحمن لم أجد له ترجمة، وقد تابعه علي بن أبي طلحة في الرواية التالية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا التفسير بعيد، هذا لو صح تفسير بالمعنى يعني، ما هو الفوقية الحسية ولا التحتية الحسية، لو صح يعني: الفوقية المعنوية بالأئمة والأمراء، والتحتية الحسية من الخدم والأذناب، لكن الروايات المشهورة والتفسير المشهور هو مثل ما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: أمراءكم. ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: عبيدكم وسفلتكم(١).

وحكى ابن أبي حاتم، عن أبي سنان وعمير بن هانئ، نحو ذلك.

وقال ابن جرير: وهذا القول وإن كان له وجه صحيح، لكن الأول أظهر وأقوى.

وهو كما قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ، ويشهد له بالصحة قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٨]، وفي الحديث: «**يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ**»(٢)، وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة، وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾؛ أي: يجعلكم ملتبسين شيعًا فرقًا متخالفين.

---

(١) بل أخرجه ابن أبي حاتم من طريق حمزة بن إسماعيل عن أبي سنان، وحمزة بن إسماعيل عنه ابن أبي حاتم (الجرح ٣/٢٠٨)، وأما قول عمرو بن هاني فهو تابعي وقد ذكره ابن أبي حاتم حكاية، معلقًا.

(٢) أخرجه الترمذي من طريق ابن عمر في كتاب القدر، برقم (٢١٥٢) وقال: حسن صحيح.

الشيخ: عن أبي.

القاري: وحكى ابن أبي حاتم عن أبي سنان

الشيخ: بالنون: سنان؟

القاري: نعم.

القاري: وعمرو بن هانىء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا القول وإن كان له وجه صحيح، لكن الأولى أظهر وأقوى.

الشيخ: لكن، لكن الأول.

الملقي: [لكن الأول أظهر وأقوى].

الشيخ: صدق رَحِمَهُ اللَّهُ.

الأسئلة:

- **س: أحسن الله إليك: القذف الرمي بالحجارة؟**

○ **الجواب**: نعم، كما قال: الرجم يعني.

مداخلة: الرمي بالحجارة؟

الشيخ: نعم، مثلما جرى على قوم لوط.

وقال الوالبي، عن ابن عباس: يعني: الأهواء(١)، وكذا قال مجاهد وغير واحد(٢).

وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ أنه قال: **«سَتَفْتَرِقُ أمتي عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»**، وقوله: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال ابن عباس وغير

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح ثابت من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

واحد: يعني يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل[١].

وقوله: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: نبيِّنها ونوضحها ونُقِرُّهَا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ۝٦٥﴾ عَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ؛ أي: يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه.

قال زيد بن أسلم: لما نزلت: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدي كُفَّارًا يَضْرب بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ**»[٢]. قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟ قال: «**نعم**». فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدًا، أن يقتل بعضنا بعضًا ونحن مسلمون، فنزلت: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ۝٦٥﴾، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير[٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]:

وهذه الفتنة التي خافها النبي ﷺ وقعت من قديم، من عهد علي ومعاوية، أول فتنة وقعت في الأمة ما جرى بسبب مقتل عثمان في الفتنة العظيمة، انقسام الأمة إلى كتلتين، والحرب العظيم بينها، هذه من علامات النبوة ومن دلائل الرسالة، وأن الله ﷻ أعطاه الثنتين السابقتين، وهما: ألا يعذبهم بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا غيرهم يهلكهم،

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك مرفوعًا في كتاب الفتن، باب .... الأمم، برقم (٣٩٩٣) وصححه البوصيري في الزوائد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي المستدرك (١/١٢٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء برقم (١٢١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان معنى النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» رقم (٦٥).

(٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق زيد به، وسنده مرسل.

(٤) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٩ ـ ٦ ـ ١٤١٢هـ

وأما كونهم يتقاتلون بينهم، يكون بينهم الخلاف، ويكون بأسهم بينهم، هذه لم يعط إياها، بل قد قدَّر الله أن تقع ابتلاءً وامتحانًا، حتى يتبين الصادق من الكاذب، والراغب بالخير من المنحرف عنه، وطالب الحق من طالب الرياسة أو المال أو غير ذلك. فجعل، بل صار أول فتنة وقعت ما وقع بسبب مقتل عثمان ﵁، حتى انقسم الناس قسمين، أهل الشام وأهل العراق، معاوية في الشام وعلي في العراق بسبب هذه الفتنة العظيمة التي حصلت بمقتل عثمان، معاوية له شبهة، ومن معه يطلبون القتلة الذين قتلوا عثمان حتى يقتص منهم، وعلي ﵁ يقول: اصبروا حتى نتمكن من ذلك، لأن تسليمه للقتل ليس بالأمر السهل، وهم في جيش علي، وهم أمة كبيرة، ولهم أتباع ولهم أنصار، فلم يقدر ذلك حتى تمت المقتلة بينهم في يوم الجمل ويوم صفين بأسبابهم. والمقصود من هذا: أنه يجب الحذر من أسباب الخلاف وأسباب الفتن، والقضاء عليها حسب الطاقة والإمكان، لأنها قد تفضي إلى فتنة عظيمة ومقتلة عظيمة كما قد وقع.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما يحصل من تسلط بعض الدول الكافرة على المسلمين في بعض الأوقات!

الشيخ: هذا ما فيه استئصال، هذا يقع لكن ما فيه استئصال، أقول: ما في إلا أن ينالوا منهم مثل ما جرى على المسلمين في أوقات كثيرة، ينالون من عدوهم وينالون منهم سلطوا على النبي ﷺ فنالوا منه يوم أحد ويوم حنين، وكذلك سلطوا على المسلمين في مواقع عديدة، هذا يقع، لكن المقصود أنهم لا يسلطون تسليطًا يستبيح المسلمين، ويقضي عليهم مرةً واحدة.

مداخلة: أحسن الله إليك: ما وقع من التتار!

الشيخ: كذلك، بقي للمسلمين دولة ولهم سلطان، بقي لهم دولة مصر قائمة، ودول الغرب كلها قائمة المسلمون، ثم أهلكهم الله.

مداخلة: ألا يجمع أمتي على ضلال؟

الشيخ: على ضلالة، يعني: يبقى فيهم حق، يبقى فيهم طائفة منصورة، لا تجتمع كلها على ضلال.

مداخلة: يجمع أو يجمع؟

الشيخ: يجمع الرب ﷻ.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الآية [٦٥][١].

﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ [٦٥]: يخلطكم من الالتباس، ﴿يَلْبِسُوٓاْ﴾ [٨٢]: يخلطوا، ﴿شِيَعًا﴾ [٦٥]: فِرَقًا.

حدّثنا أبو النّعمان، حدّثنا حمّاد بن زيدٍ، عن عمرو بن دينارٍ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾»، قال رسول الله ﷺ: «**هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ هَذَا أَيْسَرُ**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

- **س: في الحديث دلالةٌ على أنّه يستعاذ بنفس الصّفة؟**

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ . . .إلخ برقم (٤٦٢٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مثل ما تقول: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ**»(١)، و«**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**»(٢).

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ۝٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٦٧ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٦٩﴾ [الأنعام: ٦٦ ـ ٦٩](٣).

يقول تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن الذي جئتهم به، والهدى والبيان. ﴿قَوۡمُكَ﴾ يعني: قريشا ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: الذي ليس وراءه حق ﴿قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ۝٦٦﴾؛ أي: لست عليكم بحفيظ، ولست بموكل بكم، كقوله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]؛ أي: إنما علي البلاغ، وعليكم السمع والطاعة، فمن اتبعني، سعد في الدنيا والآخرة، ومن خالفني، فقد شقي في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾. قال ابن عباس وغير واحد: أي لكل نبأ حقيقة؛ أي: لكل خبر وقوع، ولو بعد حين، كما قال: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [ص: ٨٨]، وقال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرعد: ٣٧].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث خولة بنت حكيم السلمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا في كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره برقم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٦).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٢٣ ـ ٦ ـ ١٤١٢هـ، وفجر الأربعاء ١٠ ـ ١٠ ـ ١٤١٩هـ.

وهذا تهديد ووعيد أكيد؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٦٧﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا، أنه ﷺ إنما عليه البلاغ، ليس وكيلًا عليهم، وإنما عليه أن يبلغهم: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ [الزمر: ٤١]، ولهذا يقول: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٦٧﴾، سوف يعلم الناس العاقبة، فالمتقون يفوزون بالسعادة والكرامة، والمكذبون يبوءون بالخيبة والندامة، والرسل إنما عليهم البلاغ: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، والتوفيق بيد الله، هو الذي يهدي من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نعم، وهكذا الدعاة إلى الله بعدهم عليهم البلاغ، والبيان وإقامة البراهين، وأما الهداية بيد الله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾؛ أي: بالتكذيب والاستهزاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(١):

وهذا لا شك أنه وعيد عظيم لمن كذب به وخالف ما جاءهم به، وهو ﷺ مبلِّغ ومنذر، وليس بوكيل ومسيطر عليهم؛ لأن هدايتهم بيد الله، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وإنما عليه البلاغ؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]. وهكذا الرسل جميعًا، وهكذا خلفاؤهم من الدعاة إلى الله والعلماء ليسوا وكلاء ولا حفاظ، ولكنهم مبلغون ومنذرون ومبشرون، والله هو الذي

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٣ ـ ٦ ـ ١٤١٢هـ.

يهدي من يشاء سبحانه، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، فالنبأ بأن من أطاع الرسول ﷺ واتبع ما جاء به فله الجنة، سوف يكون، سوف يحصل، وسوف يكون لهم الجنة ويستقرون فيها، وهكذا النبأ بأن من عصاه وخالف أمره واستكبر عن اتباعه فقد أنبئ بالنار وبالعاقبة السيئة، وسوف يكون هذا النبأ، وسوف يستقر بدخولهم النار وخسرانهم في الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾؛ أي: حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب، ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ والمراد بهذا كلّ فرد، فرد من آحاد الأمة، ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسيًا ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ بعد التذكر ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾، ولهذا ورد في الحديث: «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يقول الله جل وعلا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: قد فعلت، أخرجه مسلم في الصحيح، فليس للمؤمن أن يجلس مع المكذبين الخائضين في الباطل إلا أن ينكر عليهم، ويبين لهم بطلان ما هم عليه، وإلا فليقم: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، لكن إن جلس للبيان والإيضاح والدعوة، فإن أجدى وإلا انصرف. وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فالحاصل

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعًا في كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناس برقم (٢٠٤٥).

أن الواجب من حضر عند الخائضين في الباطل أن ينكر عليهم، فإن استجابوا فالحمد لله، وإلا فلينتقل ويفارقهم.

مداخلة: أحسن الله إليك! قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، يقتضي أنه إن كان مجلس كفر فهو كافر معهم؟

الشيخ: هذا من باب الوعيد، من باب الوعيد.

مداخلة: هل يجب الإنكار أم يكفي الإعراض؟

الشيخ: الإنكار لا بد منه مع الاستطاعة.

• **س: لكن لو جلس مع ناس يخوضون هل يكفي أن يغادر المجلس أم يجب إنكارهم ومغادرته....؟**

○ **الجواب**: إذا استطاع الإنكار ينكر، الله أوجب إنكار المنكر وأما إن لم يستطع يغادر المكان.

• **س: أحسن الله إليك! مائدة الخمر، إذا لم يكن إلا هذا الوقت للإنكار؟**

○ **الجواب**: ينكر عليه.

مداخلة: وهم على المائدة؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: والحديث.

• **س: حديث رسول الله ﷺ في قوله: «أنا بريء ممن من أقام على مائدة يدار عليها الخمر»؟**

○ **الجواب**: هذا إذا لم ينكر يعني، أما إذا دعاه ذلك إلى الإنكار ما جلس معهم رضى ولا موافقة؛ ولكن حضر؛ لينكر فقط.

• **س: إذا خاف على نفسه هل يعذر؟**

○ **الجواب**: لا ما هو بعذر يجب أن ينكر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السُّدِّي، عن أبي مالك وسعيد بن جُبَيْر في قوله: ﴿وَإِمَّا

يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ قال: إن نسيت فذكرت، فلا تجلس معهم. وكذا قال مقاتل بن حيان.

وهذه الآية هي المشار إليها في قوله: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾ الآية [النساء: ١٤٠]؛ أي: إنكم إذا جلستم معهم وأقررتموهم على ذلك، فقد ساويتموهم في الذي هم فيه.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾؛ أي: إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك، فقد برئوا من عهدتهم، وتخلصوا من إثمهم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشَجّ، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السُّدِّي، عن أبي مالك وسعيد بن جُبَيْر، قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ قال: ما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك؛ أي: إذا تجنبتهم وأعرضت عنهم.

وقال آخرون: بل معناه: وإن جلسوا معهم، فليس عليهم من حسابهم من شيء. وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية، وهي قوله: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾ [النساء: ١٤٠]. قاله مجاهد، والسُّدِّي، وابن جُرَيْج، وغيرهم. وعلى قولهم، يكون قوله: ﴿وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٦٩﴾؛ أي: ولكن أمرناكم بالإعراض عنهم حينئذ تذكيرًا لهم عما هم فيه؛ لعلهم يتقون ذلك، ولا يعودون إليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أن الواجب على من رأى قومًا يخوضون في الباطل ويستهزءون بكتاب الله ونحو ذلك وجب عليه البعد عنهم وعدم المشاركة، إذا لم يستطع الإنكار وإزالة هذا الباطل فإنه يتجنبهم حينئذ ويهجر هذه المجالس حتى يخوضوا في حديث غيره، يعني: حتى

يخوضوا في شيء لا محظور فيه فيحضر للمصلحة الشرعية؛ كالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو حاجة أخرى. أما إذا كانوا يخوضون في الباطل فلا يجلس معهم إذا لم يستطع إزالة باطلهم، ومتى جلس معهم وسكت فهو مثلهم؛ لأن ظاهره الإقرار والموافقة. فالواجب الحذر، إن استطعت أن تنكر المنكر وتزيل الباطل فافعل، وإلا فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

كيفية إنكار المنكر:

مداخلة: أحسن الله إليك! من قال ما يكفي في النجاة من العذاب الذي يحل بالظالمين عدم الجلوس معهم، بل لا بد من الإنكار عليهم؟

الشيخ: مع القدرة، هذه أخبار مكية، السورة مكية، سورة النساء مدنية، والمعنى أنه ينكر عليهم ذلك إذا استطاع، وأما إذا لم يستطع فلا يجلس معهم، ولا يحضر معهم؛ لأن النصوص يفسر بعضها بعضًا.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ!

الشيخ: نعم.

مداخلة:

● **س: كيف يجلس معهم مرة ثانية، وقد علم أنهم من الذين يخوضون في آيات الله ويتهمون..؟**

الشيخ: يعني: للمصلحة، الشرعية، إما لبيان الحق لهم ودلالتهم عليه، أو لأمر عارض؛ مثل شراء حاجة، أو بيع حاجة، أو سؤال عن حاجة، أو.. مثلما كان النبي ﷺ يمر على الكفار ويتحدث إليهم، فإن أجابوا وإلا انصرف عنهم.

● **س: الذي لا يستطيع ينكر وأعرض عنهم ما يكون زجر لهم أيضًا بالإعراض؟**

○ **الجواب**: بلى، لا يجالسهم، ولا يتخذهم أصحاب ولا

أخدان، لكن إذا جلس معهم في حديث آخر لمصلحة، غير ما يلتمسها في الدين، قد يحتاج الإنسان للكفرة في شراء أو بيع أو غير ذلك، غير الدعوة.

❊

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ **[الأنعام: ٧٠]**[١].

يقول تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلًا فإنهم صائرون إلى عذاب عظيم؛ ولهذا قال: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾؛ أي: وذكر الناس بهذا القرآن، وحذرهم نقمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة.

وقوله: ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾؛ أي: لئلا تُبسل. قال الضحاك عن ابن عباس، ومجاهد، وعِكْرِمة، والحسن، والسُّدِّي: تبسل: تُسْلَم.

وقال الوالبي، عن ابن عباس: تفتضح. وقال قتادة: تُحْبَس. وقال مُرَّة وابن زيد تُؤاخذ. وقال الكلبي: تُجازَى، وكل هذه العبارات متقاربة في المعنى، وحاصلها: الإسلام للهلكة، والحبس عن الخير، والارتهان عن درك المطلوب، كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٢٣ ـ ٦ ـ ١٤١٢هـ.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ أي: لا قريب ولا أحد يشفع فيها، كما قال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾؛ أي: ولو بذلت كلّ مبذول ما قبل منها كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١]، وهكذا قال هاهنا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

الشيخ: . . . بركة لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ **[الأنعام: ٧١ ـ ٧٣]**(١).

قال السُّدِّي: قال المشركون للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا، واتركوا دين محمد، فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في مغرب الأحد ١ ـ ٧ ـ ١٤١٢هـ.

عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾؛ أي: في الكفر ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ فيكون مثلُنا مثل الذي ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾ يقول: مثلكم، إن كفرتم بعد الإيمان، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق، فضل الطريق، فحيَّرته الشياطين، واستهوته في الأرض، وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: «**ائتنا فَإنَّا على الطريق**»، فأبى أن يأتيهم. فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام. رواه ابن جرير.

وقال قتادة: ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أضلته في الأرض، يعني: استهوته مثل قوله: ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ الآية. هذا مَثَل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى الله ﷻ، كمثل رجل ضل عن طريق تائهًا ضالًّا إذ ناداه مناد: «**يا فلان بن فلان، هلم إلى الطريق**»، وله أصحاب يدعونه: «**يا فلان، هلم إلى الطريق**»، فإن اتبع الداعي الأول، انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى، اهتدى إلى الطريق. وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان، يقول: مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله، فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت، فيستقبل الهلكة والندامة. وقوله: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هم «الغيلان»، يدعونه باسمه واسم أبيه وجده، فيتبعها وهو يرى أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في هلكة، وربما أكلته - أو تلقيه في مضلة من الأرض، يهلك فيها عطشًا، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تُعبَد من دون الله ﷻ. رواه ابن جرير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا كله: التنفير من عبادة الآلهة والأنداد، والتنفير من إجابة دعاة الباطل من شياطين الإنس والجن، وأنهم كالذي على

الصراط المستقيم، وعلى الطريق الواضح، فيدعونه إلى طرق الهلكة ومسالك الضلالة، والله ﷻ أمرهم بأن يعبدوه وحده، وخلقهم لذلك، وأرسل الرسل تدعوهم إلى وحدانية الله، وإلى عبادته وحده، وإلى طاعة أمره وترك نهيه. والشياطين التي تدعوا الناس إلى الضلالة يريدون إخراجه من هذا الطريق إلى طريق الهلاك، سواء كان الشياطين من شياطين الإنس أو من شياطين الجن، كما قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فالمقصود أن شياطين الإنس والجن يدعونه إلى الهاوية.. إلى الضلالة.. إلى طرق المهلكة، كالذي على الصراط الواضح، والطريق الواضح فيدعى إلى طرق تفضي به إلى الهلكة، إلى أراضي ليس فيها ماء ولا شراب ولا نجاة، فهؤلاء يدعونه إلى النار، وإلى الهلكة، وإلى البعد عن الله، فلا يليق بالعاقل أن يجيب دعاة الضلالة ويدع دعاة الحق. فهو ﷻ أرسل الرسل، وأنزل الكتب للهداية إلى الحق، وإيضاح الحق والإرشاد إليه، وأعداؤه سبحانه من الجن والإنس دعاة إلى ضد ذلك، دعاة إلى الضلالة وإلى الشرك به ﷻ وإلى مخالفة أمره، فهذا المدعو إلى طرق الضلالة ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١]. يعني: كالذي استهوته الشياطين وأضلَّته عن الطريق، فأصبح حيران في الأرض لا يدري أين يذهب؟ ولا يدري أين يسلك؟ قد اختلفت عليه الطرق والمعالم، وضل عن طريق الرشاد، فهو في حيرة وضلال حتى يهلك، أو يأخذ الله بيده إلى الحق في أن يوصله إلى طريق الهداية، وإلى دعاة الهداية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى

ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾ قال: رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق، وذلك مثل من يضل بعد أن هدي.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾ هو الذي لا يستجيب لهدى الله، وهو رجل أطاع الشيطان، وعمل في الأرض بالمعصية، وجار عن الحق وضل عنه، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى، ويزعمون أن الذي يأمرونه به هدى، يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس، يقول الله: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾ والضلال ما يدعو إليه الجن. رواه ابن جرير، ثم قال: وهذا يقتضي أن أصحابه يدعونه إلى الضلال، ويزعمون أنه هدى. قالت: وهذا خلاف ظاهر الآية؛ فإن الله أخبر أن أصحابه يدعونه إلى الهدى، فغير جائز أن يكون ضلالًا وقد أخبر الله أنه هدى.

وهو كما قال ابن جرير، فإن السياق يقتضي أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، وهو منصوب على الحال؛ أي: في حال حيرته وضلاله وجهله وجه المحجة، وله أصحاب على المحجة سائرون، فجعلوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثلى. وتقدير الكلام: فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم، ولو شاء الله لهداه، ولرد به إلى الطريق؛ ولهذا قال: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾.

كما قال: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾ [الزمر: ٣٧]، وقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧]، وقوله ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾؛ أي: نخلص له العبادة وحده لا شريك له.

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ﴾؛ أي: وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه في جميع الأحوال، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٧٢﴾؛ أي: يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾؛ أي: بالعدل، فهو خالقهما ومالكهما، والمدبر لهما ولمن فيهما.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ يعني: يوم القيامة، الذي يقول الله: ﴿كُن﴾ فيكون عن أمره كلمح البصر، أو هو أقرب.

﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب إما على العطف على قوله: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وتقديره: واتقوا يوم يقول كن فيكون، وإما على قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: وخلق يوم يقول كن فيكون. فذكر بدء الخلق وإعادته، وهذا مناسب. وإما على إضمار فعل تقديره: واذكر يوم يقول كن فيكون.

وقوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ جملتان محلهما الجر، على أنهما صفتان لرب العالمين.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يحتمل أن يكون بدلًا من قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ويحتمل أن يكون ظرفًا لقوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ كقوله ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وكقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، وما أشبه ذلك.

واختلف المفسرون في قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فقال بعضهم: المراد بالصور هاهنا جمع «صورة»؛ أي: يوم ينفخ فيها فتحيا.

قال ابن جرير: كما يقال سور ـ لسور البلد هو جمع سورة. والصحيح أن المراد بالصور: «القَرْن» الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، قال ابن جرير: والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته، ينتظر متى يُؤمَر فينفخ**»(١). رواه مسلم.

---

(١) ذكره الطبري بدون سند وتقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ٧٣ في مسند أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وقال سماحة الشيخ ابن باز: الحديث ليس في مسلم، والحديث في خارج مسلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والنفخ في الصور قد تكرر في القرآن الكريم، في سور كثيرة من القرآن الكريم، وبيَّن في سورة الزمر أنها نفختان: نفخة الفزع والصعق وهي: نفخة الموت، والنفخة الثانية: نفخة البعث والنشور، وكلتاهما حق. وقال قوم أنها ثلاث: نفخة الفزع: حين يفزع الناس حين يسمعونها، ثم نفخة الصعق، وهي الموت، ثم نفخة البعث والنشور، ولكن الأولى ليس فيها حديث ثابت، فيها حديث الصور وهو ضعيف، والذي في القرآن نفختان: نفخة الفزع: وهي يقال أنها نفخة الصعق، وهي نفخة طويلة يمدها إسرافيل، والناس في أعمالهم: في بيعهم وشرائهم، وأكلهم وشربهم وغير ذلك من أحوالهم، يمدها حتى إن الرجل يصغي ليتًا ويرفع ليتًا هكذا وهكذا يتسمع من أين هذا الصوت العظيم، ثم لا يزال الصوت يزداد ويرتفع حتى يموت الناس من شدة الأمر، فينفخ في الصور، والرجل يأكل فلا تصل لقمته إلى فمه من شدة الأمر والفزع، والآخر في يده البيع والشراء مع صاحبه يمد الثوب فلا يطويانه، والآخر يلوط حوض إبله فلا يسقيها، والآخر في يده الفسيلة ـ النخلة ـ يريد أن يغرسها، فلا يتمكن من غرسها، يسقط قبل ذلك، وهكذا هم في أعمالهم، كما قال جَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]. فالحاصل أنها نفخة طويلة عظيمة، وهي المذكورة في سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، أي: صاغرين. وأما النفخة الأخيرة: فهي نفخة البعث والنشور، التي بها يقوم الناس من قبورهم، ويجمعهم الله لحسابهم وجزائهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبينهما أربعون كما جاء في حديث ذكر أربعون قال: «**لا أدري أربعين شهرًا، أو أربعين سنة، أو أربعين يومًا**»، جاء في رواية البزار: أربعين خريفًا.

المقصود: أن بين النفختين مدة قدرها أربعون ولم يثبت تفسير الأربعين هل هي يومًا أو سنة أو شهرًا؟ ثم يبعث الله الناس، فيحشرهم ويجازيهم بأعمالهم سبحانه وتعالى.

● **س: عفا الله عنك! ما المراد بآية النمل هو النفخة الأولى نفخة الصعق؟**

○ **الجواب**: أي نعم، الصعق آية النمل، ويقال لها: الفزع، وهي المذكورة في سورة الزمر.

مداخلة: يكون لها عدة أسماء، أحسن الله إليك؟!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: يكون لها أسماء تسمَّى بالفزع وتسمَّى بالصعق؟

الشيخ: الصعق نعم.

مداخلة: لأنها ذكرت في النمل تسمى بالفزع.

الشيخ: نعم، وفي الزُّمَر غيرها الصعق.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا سليمان التيمي، عن أسلم العِجْلي، عن بِشْر بن شَغَاف، عن عبد الله بن عمرو قال: قال أعرابي: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**»(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقد روينا حديث الصور بطوله، من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني، في كتابه «المطوَّلات» قال: حدثنا أحمد بن الحسن المقري الأَبْلي، حدثنا أبو عاصم النبيل، حدثنا إسماعيل بن رافع، عن محمد بن

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب ذكر البعث والصدر برقم (٤٧٣٩)، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصدر برقم (٢٤٣)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٢ و١٩٢).

زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي، عن أبي هريرة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو في طائفة من أصحابه، فقال: «**إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض، خلق الصور فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخصًا بصرَه إلى العرش، ينتظر متى يؤمر**». قلت: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: «**القَرْن**». قلت: كيف هو؟ قال: «**عظيم، والذي بعثني بالحق، إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض. ينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين. يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ، فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات الأرض إلا من شاء الله. ويأمره فيديمها ويطيلها ولا يفتر، وهي كقول الله**: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص: ١٥]، **فيسيِّر الله الجبال فتمر مرَّ السحاب، فتكون سرابًا**».

مداخلة: عفا الله عنك! هذه المطولات، في نسخة الطوالات.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: كتاب الطبراني.

الشيخ: نعم.

مداخلة: الطوالات، لا المطولات.

الشيخ: كأن مراده يعني الأحاديث الطويلة، كأن مراده أنه يعني جمع فيه الأحاديث الطويلة.

مداخلة: ما تكون أقرب؟ عفا الله عنك!

الشيخ: يقال: مطول وطويل، طويل وطويل لا، طويل وطوال، يمكن يجمع طويلات، لكنه مذكر طويل، مذكر طوال.

مداخلة: نقول المعجم يعني؟

الشيخ: لا. غير المعجم، كأنه في الاسم المفرد.

مداخلة: عفا الله عنك! هو في ذيل الكبير، أقول: موجود في ذيل الطبراني الكبير.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول في ذيل الطبراني الكبير هو مطولات.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: آخر أجزاء المعجم الكبير هو مطولات.

الشيخ: ما عندي خبر يمكن يراجع، لكن ظاهر كلام المؤلف أنه كتاب مستقل، ظاهر كلام المؤلف أنه كتاب مستقل جعله مطولات، ويحتمل أنه أيضًا ضمه إلى المعجم يحتمل.

الشيخ: الذي ما عنده يراجعه، أقول: الذي ما عنده منكم يأخذه مني ويراجعه.

مداخلة: موجود يا شيخ!

الشيخ: معك الحين؟

مداخلة: لا.. لا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم ترتج الأرض بأهلها رجة فتكون كالسفينة المرمية في البحر، تضربها الأمواج، تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش، ترجرجه الرياح، وهي التي يقول: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٦ ـ ٨]، فَيَميدُ الناس على ظهرها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع، حتى تأتي الأقطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها، فترجع، ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمْر الله من عاصم، ينادي بعضهم بعضًا، وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢].

فبينما هم على ذلك، إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر، فرأوا

أمرا عظيمًا لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء، فإذا هي كالمُهْل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها، وانخسف شمسها وقمرها. قال رسول الله ﷺ: «**الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك**». قال أبو هريرة: يا رسول الله، من استثنى الله ﷻ، حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧]، قال: «**أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، وهم أحياء عند الله يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم، وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه**»، قال: وهو الذي يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١، ٢]، فيكونون في ذلك العذاب ما شاء الله، إلا أنه يطول.

ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فينفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا، وجاء ملك الموت إلى الجبار ﷻ، فيقول: يا رب، قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت. فيقول الله ـ وهو أعلم بمن بقي ـ: فمن بقي؟ فيقول: يا رب، بقيتَ أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت حملة العرش، وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت أنا. فيقول الله ﷻ: ليمت جبريل وميكائيل. فيُنْطِقُ الله العرش فيقول: يا رب، يموت جبريل وميكائيل!! فيقول: اسكت، فإني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان. ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار ﷻ فيقول: يا رب، قد مات جبريل وميكائيل. فيقول الله ﷻ ـ وهو أعلم بمن بقي ـ: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت حملة عرشك، وبقيت أنا. فيقول الله: ﷻ ليمُت حملة عَرْشي. فيموتوا، ويأمر الله العرش.

فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت، فيقول: يا رب، قد مات حملة عرشك. فيقول الله ـ وهو أعلم بمن بقي ـ: فمن بقي؟ فيقول: يا رب، بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت أنا. فيقول الله ﷻ: أنت خَلْق من خلقي، خلقتك لما رأيت، فمت. فيموت. فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، كان آخرًا كما كان أولًا طوى السموات والأرض طي السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات، ثم يقول: أنا الجبار، أنا الجبار، أنا الجبار ثلاثًا. ثم هتف بصوته: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ثلاث مرات، فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، يقول الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فيبسطهما ويسطحهما، ثم يمدهما مد الأديم العكاظي ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

ثم يزجر الله الخلق زجرة، فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله ﷻ عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يومًا، حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث ـ أو: كنبات البقل ـ حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله ﷻ: ليَحْيَا حملةُ عرشي، فيحيون. ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور، فيضعه على فيه، ثم يقول: ليحيا جبريل وميكائيل، فيحيان، ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورًا، وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها في الصور.

ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول: وعزتي وجلالي، ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في

الأرض إلى الأجساد، فتدخل في الخياشيم، ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ، ثم تَنْشَقّ الأرض عنكم وأنا أول من تَنْشَقّ الأرض عنه، فتخرجون سراعًا إلى ربكم تنسلون ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨] حُفَاة عُرَاة غُلْفًا غُرْلًا، فتقفون موقفًا واحدًا مقداره سبعون عامًا، لا يُنْظَر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دمًا وتَعْرَقون حتى يلجمكم العرق، أو يبلغ الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قُبُلًا؟ فيأتون آدم، فيطلبون ذلك إليه فيأبى، ويقول: ما أنا بصاحب ذلك. فيستقرءون الأنبياء نبيا نبيا، كلما جاءوا نبيًّا، أبى عليهم». قال رسول الله ﷺ: «**حتى يأتوني، فأنطلق إلى الفحص فأَخر ساجدًا**»، قال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الفَحْص؟ قال: «**قدام العرش حتى يبعث الله إليّ ملَكًا فيأخذ بعضُدي، ويرفعني، فيقول لي: يا محمد فأقول: نعم يا رب. فيقول الله، ﷻ: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة فشَفعني في خلقك، فاقض بينهم. قال الله: قد شفَّعتك، أنا آتيكم أقضي بينكم**».

قال رسول الله ﷺ: «**فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف، إذ سمعنا حسًّا من السماء شديدًا، فهالنا فنزل أهل السماء الدنيا بمثلَي من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت.**

ثم ينزل من أهل السماء الثانية بمثلَي من نزل من الملائكة، وبمثلَي من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا وهو آت.

ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار ﷻ، في ظُلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذ ثمانية ـ وهم اليوم أربعة ـ

أقدامهم في تخوم الأرض السفلى، والأرض والسموات إلى حُجْزَتَهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل في تسبيحهم، يقولون: سبحان ذي العرش والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سُبُّوح قدوس قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى، رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى، الذي يميت الخلائق ولا يموت، فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه، ثم يهتف بصوته يا معشر الجن والإنس، إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إلي، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ثم يأمر الله جهنم، فيخرج منها عنق مظلم ساطع، ثم يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ـ أو: بها تكذبون ـ شك أبو عاصم ـ ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٤] فيميز الله الناس وتجثوا الأمم. يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨] فيقضي الله ﷻ، بين خلقه، إلا الثقلين الجن والإنس، فيقضي بين الوحش والبهائم، حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن، فإذا فرغ من ذلك، فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها: كوني ترابًا. فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

ثم يقضي الله ﷻ بين العباد، فكان أول ما يقضي فيه الدماء، ويأتي كلّ قتيل في سبيل الله ﷻ، ويأمر الله ﷻ كلّ قتيل فيحمل رأسه تَشْخُب أوداجه يقول: يا رب، فيم قتلني هذا؟ فيقول ـ وهو أعلم ـ: فيم قتلتهم؟ فيقول: قتلتهم لتكون العزة لك. فيقول الله له: صدقت.

فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة.

ويأتي كل من قُتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه، فيقول: يا رب، فيم قتلني هذا؟ فيقول ـ وهو أعلم ـ: لم قتلتهم؟ فيقول: يا رب، قتلتهم لتكون العزة لك ولي. فيقول: تعست. ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها، ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء رحمه.

ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء.

فإذا فرغ الله من ذلك، ناد مناد يسمع الخلائق كلهم: ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله. فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عُزَير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم. ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى، ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذي يقول تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئته، فقال: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون. فيقولون: والله ما لنا إله إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فينصرف عنهم، وهو الله الذي يأتيهم فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون. فيقولون: والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره، فيكشف لهم عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم، فيخرون سجَّدًا على وجوههم، ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصي

البقر. ثم يأذن الله لهم فيرفعون، ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة ـ أو: كحد السيف ـ عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان، دون جسر دحض مَزَّلة، فيمرون كطرف العين، أو كلمح البرق، أو كمر الريح، أو كجياد الخيل، أو كجياد الركاب، أو كجياد الرجال. فناج سالم، وناج مخدوش، ومكردس على وجهه في جهنم.

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قُبُلًا؟ فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيذكر ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوح، فإنه أول رسل الله. فيؤتى نوح فيُطْلَب ذلك إليه، فيذكر ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بإبراهيم، فإن الله اتخذه خليلًا. فيؤتى إبراهيم، فيُطْلَب ذلك إليه، فيذكر ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول: عليكم بموسى فإن الله قرَّبه نَجيًّا، وكلمه وأنزل عليه التوراة. فيؤتى موسى، فيطلب ذلك إليه، فيذكر ذنبًا ويقول: لست بصاحب ذلك، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم.

فيؤتى عيسى ابن مريم، فيطلب ذلك إليه، فيقول: ما أنا بصاحبكم، ولكن عليكم بمحمد». قال رسول الله ﷺ: **«فيأتوني ـ ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن ـ فأنطلق فآتي الجنة، فآخذ بحلَقَة الباب، فأستفتح فيفتح لي، فأحيَّى ويرحب بي. فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت ساجدًا، فيأذن الله لي من حمده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد، واشفع تشفع، وسل تعطه. فإذا رفعت رأسي يقول الله ـ وهو أعلم ـ: ما شأنك؟ فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة»**.

وكان رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشئ الله ﷻ، وثنتين آدميتين من ولد آدم، لهما فضل على من أنشأ الله، لعبادتهما الله في الدنيا. فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة، على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ، عليها سبعون زوجًا من سندس وإستبرق، ثم إنه يضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها، ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مُخّ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبدها له مرآة، وكبده لها مرآة. فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله، ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء، ما يَفْترُ ذَكَرَهُ، وما تشتكي قُبُلها. فبينا هو كذلك إذ نودي: إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل، إلا أنه لا مَني ولا مَنِية إلا أن لك أزواجًا غيرها. فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما أتى واحدة له قالت: له والله ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك، ولا في الجنة شيء أحب إلي منك.

وإذا وقع أهل النار في النار، وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تجاوز ذلك، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذ جسده كله، إلا وجهه حرم الله صورته عليها». قال رسول الله ﷺ: «فأقول يا رب، من وقع في النار من أمتي. فيقول: أخرجوا من عرفتم، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد. ثم يأذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع، فيقول الله: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة الدينار إيمانًا. فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يشفع الله فيقول: أخرجوا من وجدتم في قلبه إيمانًا ثلثي دينار. ثم يقول: ثلث دينار. ثم يقول: ربع دينار. ثم يقول: قيراطًا. ثم يقول: حبة من خردل. فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرًا قط، ولا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع، حتى إن إبليس ليتطاول مما يرى من

رحمة الله رجاء أن يشفع له، ثم يقول: بقيت وأنا أرحم الراحمين. فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره، كأنهم حُمَم، فيلقون على نهر يقال له: نهر الحيوان، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ما يلقى الشمس منها أخيضر، وما يلي الظل منها أصيفر، فينبتون كنبات الطراثيث، حتى يكونوا أمثال الذر، مكتوب في رقابهم: «الجُهَنَّمِيُّون عتقاء الرحمٰن»، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب، ما عملوا خيرًا لله قط، فيمكثون في الجنة ما شاء الله، وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا الكتاب، فيمحوه الله ﷻ، عنهم»[1].

هذا حديث مشهور وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة. تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونصَّ على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفَلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.

قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جدًّا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقًا واحدًا، فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمع فيه كل الشواهد لبعض مفردات هذا الحديث[2]، فالله أعلم.

*

---

(١) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦) وسنده ضعيف جدًّا، وقد فصَّل الحافظ ابن كثير نقده سندًا ومتنًا.

(٢) ومن الشواهد ما رواه البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا مطولًا في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] برقم (٧٤٣٩ ـ ٧٤٤٠).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٤ ـ ٧٩][١].

قال الضحاك، عن ابن عباس: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزرُ، إنما كان اسمه تارح. رواه ابن أبي حاتم[٢].

وقال أيضًا: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، حدثنا أبي، حدثنا أبو عاصم شبيب، حدثنا عِكْرِمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ يعني بآزر: الصنم، وأبو إبراهيم اسمه تارح، وأمه اسمها مثاني، وامرأته اسمها سارة، وأم إسماعيل اسمها هاجر، وهي سُرِّيَّة إبراهيم.

وهكذا قال غير واحد من علماء النسب: إن اسمه تارح. وقال مجاهد والسُّدِّي: آزر: اسم صنم.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في مغرب الأحد ٢٧ ـ ٨ ـ ١٤١٢هـ، وفجر الأحد ٢١ ـ ١٠ ـ ١٤١٩هـ، وفجر الأربعاء ٢٤ ـ ١٠ ـ ١٤١٩هـ.

(٢) قال سماحته رَحِمَهُ اللهُ: الضحاك روايته عن ابن عباس منقطعة، وقد سمى الله أباه آزر فلا وجه للاعتراض لما سمَّاه الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولا يصح عن ابن عباس؛ لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس، وكيف يقول الله اسمه آزر، ويقال ليس اسمه آزر، هذا لا يليق بابن عباس ولا من غيره.

قلت: كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم، فالله أعلم.

وقال ابن جرير: وقال آخرون: «هو سب وعيب بكلامهم، ومعناه: مُعْوَج» ولم يسنده ولا حكاه عن أحد.

وقد قال ابن أبي حاتم: ذُكر عن مُعْتَمِر بن سليمان، سمعت أبي يقرأ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قال: بلغني أنها أعوج، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام.

ثم قال ابن جرير: والصواب أن اسم أبيه آزر. ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه تارح، ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان، كما لكثير من الناس، أو يكون أحدهما لقبًا وهذا الذي قاله جيد قوي، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا ليس بشيء، هذا مما تلقاها عن بني إسرائيل، وهذا غلط، اسمه آزر نعم؛ كما قد سمَّاه الله.

وهو المتعين، لا يجوز العدول عن نص القرآن، ما يجوز العدول عن نص القرآن لأقوال النسَّابين والمؤرخين، أعظم كلام في الصدق هو القرآن الكريم، ما هناك أصدق من القرآن: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، فلا يجوز العدول عن نص القرآن لقول أحد من الناس، لا من الأولين ولا من الآخرين.

مداخلة: أحسن الله إليك! القرطبي. يقول له اسمان كإسرائيل ويعقوب فهل يصح هذا التعبير.

الشيخ: المقصود ليس لدينا إلا ما سمَّاه الله، وأما أخبار بني إسرائيل لا يقول عليها.

● **س: ثم يذكر قول إبراهيم** عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، **يعني هذا قبل أن يمنع عن استغفاره؟**

○ **الجواب**: نعم، قبل أن يتبين له أنه عدو الله، قبل أن يموت على الكفر.

الحكم على حديث: (... فتجلَّى لي كل شيء وعرفت...):

● **س: الحديث صحيح هذا؟**

○ **الجواب**: هذا لا بأس به، لابن رجب رحمه الله شرح عليه مستقل(١).

مداخلة: سنده لا بأس به يا شيخ؟!

الشيخ: ما أعلم فيه علة ما أذكر فيه علة.

مداخلة: يا شيخ! أورده ابن القيم في زاد المعاد، وقال على لسان الترمذي: سألت عنه محمد بن إسماعيل البخاري؟ فقال: حديث صحيح، في زاد المعاد.

الشيخ: لا أعلم علة له، ابن رجب شرحه شرحًا مطولًا.

● **س: أحسن الله إليك! وجه شفاعة إبراهيم لأبيه مع أنه تبرأ منه.**

○ **الجواب**: لما طلب منه يوم القيامة، قال الله له: انظر: فإذا هو ذيخ، قلب الله صورته، ثم ألقي في النار.

مداخلة: شفاعة هذا المثال لشفاعة الأنبياء؟

الشيخ: كل مشرك ليس فيه شفاعة نسأل الله العافية: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، . . . لا تنفعه الشفاعة: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، نسأل الله العافية.

وقت حصول البيان لإبراهيم بعداوة أبيه لله:

● **س: أحسن الله إليك! فلما تبين له..؟**

○ **الجواب**: ﴿أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، تبرأ منه في الدنيا، ولكن طلب منه يوم القيامة لما اجتمعوا في الآخرة.

---

(١) هو كتابه اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى وهو مطبوع.

مداخلة: لكن. متى تبين له؟ أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم.

● **س: يا شيخ سلمك الله: رؤية الإمام أحمد بن حنبل لله ﷻ في المنام، هل تصح؟**

○ **الجواب**: ما أدري، الله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

واختلف القراء في أداء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ فحكى ابن جرير عن الحسن البصري وأبي يزيد المدني أنهما كانا يقرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ معناه: يا آزر، أتتخذ أصناما آلهة.

وقرأ الجمهور بالفتح، إما على أنه عَلَم أعجمي لا ينصرف، وهو بدل من قوله: ﴿لِأَبِيهِ﴾ أو عطف بيان، وهو أشبه.

وعلى قول من جعله نعتًا لا ينصرف أيضًا كأحمر وأسود.

فأما من زعم أنه منصوب لكونه معمولًا لقوله: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾ تقديره: يا أبت، أتتخذ آزر أصنامًا آلهة، فإنه قول بعيد في اللغة؛ لأن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله؛ لأن له صدر الكلام، كذا قرره ابن جرير وغيره. وهو مشهور في قواعد العربية.

والمقصود أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعظ أباه في عبادة الأصنام، وزجره عنها، ونهاه فلم ينته، كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾؛ أي: أتتأله لصنم تعبده من دون الله، ﴿إِنِّي أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾؛ أي: السالكين مسلكك ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾؛ أي: تائهين لا يهتدون أين يسلكون؛ بل في حيرة وجهل وأمركم في الجهالة والضلال بيِّن واضح لكل ذي عقل صحيح.

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ يَٰأَبَتِ

إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٨]، فكان إبراهيم عليه السلام، يستغفر لأبيه مدة حياته، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك، رجع عن الاستغفار له، وتبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأن من مات على الشرك لا يُستغفر له، كما قال عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، هكذا قيل للنبي ﷺ مع عمه أبي طالب حيث نهاه عن ذلك.

وثبت في الصحيح: أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له أبوه: يا بني، اليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: أي رب، ألم تعدني أنك لا تخزني يوم يبعثون، وأي خزى أخزي من أبي الأبعد؟ فيقال: يا إبراهيم، انظر ما وراءك. فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: تُغيَّر صورته، لا حيلة فيه نسأل الله العافية، تغير صورته إلى ذيخ، مثل الضباع متلطخ بروثه، نسأل الله العافية.

مداخلة: بذبح.

الشيخ: لا بذيخ.. بالذال والياء والخاء، يعني: تقلب صورته إلى ضبع مثل الضبع، متلطخ بالعجرة، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار، ليس فيه حيلة.. ولا فيه شفاعة، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: تبيَّن له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله، عَزَّ وَجَلَّ، في ملكه وخلقه، وإنه لا إله غيره ولا رب سواه، كقوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال: ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [سبأ: ٩].

فأما ما حكاه ابن جرير وغيره، عن مجاهد، وعَطاء، وسعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّي، وغيرهم قالوا ـ واللفظ لمجاهد ـ: فُرجت له السموات، فنظر إلى ما فيهن، حتى انتهى بصره إلى العرش، وفُرجت له الأرضون السبع، فنظر إلى ما فيهن ـ وزاد غيره ـ: فجعل ينظر إلى العباد على المعاصي فيدعو عليهم، فقال الله له: إني أرحم بعبادي منك، لعلهم أن يتوبوا وَيُرَاجِعُوا. وقد روى ابن مَرْدُوَيه في ذلك حديثين مرفوعين، عن معاذ، وعلي [بن أبي طالب] ولكن لا يصح إسنادهما، والله أعلم. وروى ابن أبي حاتم من طريق العَوْفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾، فإنه تعالى جَلَّ جَلَالُهُ له الأمر؛ سره وعلانيته، فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق، فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله: إنك لا تستطيع هذا. فردَّه الله ـ كما كان قبل ذلك[1] فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره، حتى رأى ذلك عَيانًا، ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه، وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات

---

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن العوفي به.

القاطعة، كما رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث المنام: «**أتاني ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري يا رب، فوضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلّى لي كل شيء وعرفت...**» وذكر الحديث(١).

وقوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ قيل: «الواو» زائدة، تقديره: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين، كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وقيل: بل هي على بابها، أي نريه ذلك ليكون عالمًا وموقنًا.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾؛ أي: تغشاه وستره ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾؛ أي: نجمًا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ﴾؛ أي: غاب. قال محمد بن إسحاق بن يسار: «الأفول» الذهاب. وقال ابن جرير: يقال: أفل النجم يأفلُ ويأفِل أفولًا وأفْلًا إذا غاب، ومنه قول ذي الرمة:

مصابيح ليست باللواتي تَقُودُها نُجُومٌ ولا بالآفلات الدوالك

ويقال: أين أفلتَ عنا؟ بمعنى: أين غبت عنا؟

قال: ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦﴾ قال قتادة: علم أن ربه دائم لا يزول، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾؛ أي: طالعًا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾؛ أي: هذا المنير الطالع ربي ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾؛ أي: جرمًا من النجم ومن القمر، وأكثر إضاءة. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾؛ أي: غابت، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾؛ أي: أخلصت ديني وأفردت عبادتي ﴿لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: خلقهما وابتدعهما على غير

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة ص برقم (٣٢٣٤).

مثال سبق. ﴿حَنِيفًاۖ﴾؛ أي: في حال كوني حَنِيفًا؛ أي: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾.

وقد اختلف المفسرون في هذا المقام، هل هو مقام نظر أو مناظرة؟ فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر، واختاره ابن جرير مستدلًّا بقوله: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾.

وقال محمد بن إسحاق: قال ذلك حين خرج من السَّرَب الذي ولدته فيه أمه، حين تخوفت عليه النمرود بن كنعان، لما أنْ قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكك على يديه، فأمر بقتل الغلمان عامئذٍ. فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها، ذهبت به إلى سَرَبٍ ظاهر البلد، فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك. وذكر أشياء من خوارق العادات، كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف.

والحق أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظرًا لقومه، مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبيَّن في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبيَّن في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرقهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة. فبيَّن أولًا أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالًا ولا تملك لنفسها تصرفًا؛ بل هي جرم من الأجرام

خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال. ومثل هذه لا تصلح للإلهية. ثم انتقل إلى القمر. فبين فيه مثل ما بيَّن في النجم.

ثم انتقل إلى الشمس كذلك. فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾؛ أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة، فكيدوني بها جميعًا ثم لا تُنظِرون، ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾؛ أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخِّرها ومقدِّرها ومدبِّرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وكيف يجوز أن يكون إبراهيم [الخليل ناظرًا في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ الآيات [الأنبياء: ٥١، ٥٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقد ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل مولود يولد على الفطرة**»، وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: إني خلقت عبادي حنفاء**»، وقال الله في كتابه العزيز: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ومعناه على أحد القولين، كقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠] كما سيأتي بيانه.

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل ـ الذي جعله الله ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] ناظرًا في هذا المقام؟!

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني شاكًّا، وإنما هو مُناظر لقومه محتج عليهم، موضح لهم الحق، يبين لهم بطلان شبههم، وأن ربهم هو المستحق للعبادة، وأن هذه آلهتهم التي يعبدون من دون الله كهذه المخلوقات لا قيمة لها من جهة العبادة، كالقمر والشمس والنجم وأشباه ذلك، كلها مخلوقات مربوبات مدبرة، فهكذا ما يعبدون من باب أولى، سواء كان ما يعبدون أمواتًا أو أصنامًا أو جنًّا أو غير ذلك. فالواجب إخلاص العبادة لله وحده والحذر من ما عبده المشركون، لأن الله خلقهم ليعبدوه وفطرهم على ذلك، فطرهم على أنهم مخلوقون مربوبون لرب واحد، وهو مالك السماوات والأرض، خالق الجميع، فهم مؤمنون بأن الله هو خالقهم ورازقهم، فالواجب أن يعبدوا هذا الذي خلقهم ورزقهم وفطرهم على أنه ربهم ومعبودهم..

مداخلة: أحسن الله إليك! يكون الصواب أنه كان مناظرًا؟

الشيخ: نعم، ما فيه شك.

● **س: النجوم والكواكب تموج يوم القيامة؟**

○ **الجواب**: كلها السماوات كلها تنشق وتنتثر النجوم كلها، تنفطر السماوات. ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾، ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾.

مداخلة: قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: ٧٥].

الشيخ: نعم، على ظاهرها. ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾. نعم، حتى تقوى حجته على قومه، وحتى تقوى مناظراته لهم. نعم.

● **س: عفا الله عنك يا شيخ! تسمية الأرض كوكب؟**

○ **الجواب**: ما له أصل، ليس بقوي، الأرض آية مستقلة ومخلوق مستقل، ليس من الكواكب، الكواكب في السماء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب. ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرًا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الشيخ: قف على: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾، اللّهم صلِّ وسلِّم عليه، شوف هذا شبيب، لعله الشيباني.. من عزا الحديث الأول؟

مداخلة: ابن أبي حاتم.

الشيخ: ضع على (شبيب) الذي عندكم على (شبيب)، نقول: لعله الشيباني.

مداخلة: أحسن الله إليكم!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما أظن يروي عن عكرمة.

أبو عاصم، تقدم.

الشيخ: نعم.

مداخلة: . . .

الشيخ: يحتمل أن. . . عن شبيب. . .، يحتمل، يراجع، اتركها حتى نراجعها. نعم. هو الذي عندك عن الضحاك، عن عكرمة عندكم؟

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: بعد الضحاك.

مداخلة: حدثنا. . . أبو عاصم عن شبيب.

مداخلة: عن الضحاك، عن ابن عباس.

الشيخ: انظر وفاة أبي عاصم، وفاته، وشوف وفاة عكرمة.

حكم من يقول: إن إبراهيم كان يمثل مع قومه عندما حاجهم؟

● **س: يا شيخ أحسن الله إليك! ما رأيك فيمن قال: إن قصة إبراهيم؟**

مع قومه كان يمثل تمثيل فقط؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: كان يمثل على قومه، وأنه لا. . . يعني لا. . . . .؟

○ **الجواب**: يأتي بحث في هذا إن شاء الله. .

مداخلة: من التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة أو بعدها.

الشيخ: يعني: ومائتين. . اثنتي عشرة ومائتين، طيب وعكرمة؟

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨٣](١).

يقول تعالى: وجادَله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد، وناظروه بشُبَه من القول، قال: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾؛ أي: تجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو، وقد بصَّرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه؟ فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة؟!

وقوله: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾؛ أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئًا، وأنا لا أخافها، ولا أباليها، فإن كان لها صنع، فكيدوني بها جميعًا ولا تنظرون؛ بل عاجلوني بذلك.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾ استثناء منقطع. أي: لا يضر ولا ينفع إلا الله ﷻ.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾؛ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء، فلا تخفى عليه خافية.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾؛ أي: فيما بينته لكم فتعتبرون أن هذه الآلهة باطلة، فتزجروا عن عبادتها؟ وهذه الحجة نظير ما احتج به نبي الله

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في فجر الأحد ٢٨ ـ ١٠ ـ ١٤١٩هـ.

هود عليه السلام، على قومه حيث يقول: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٣ ـ ٥٦].

وقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾؛ أي: كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدون من دون الله ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ﴾؟ قال ابن عباس وغير واحد من السلف: أي حجة وهذا كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾ [النجم: ٢٣].

وقوله: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١﴾؛ أي: فأي الطائفتين أصوب؟ الذي عَبَد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾؛ أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه بشارةٌ للمؤمنين، يبين سبحانه وتعالى أن الآمنين هم أهل السعادة، هم اللي اتقوا الله وراقبوه وعظموه فأخلصوا له العبادة، ولهذا قال: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١﴾، آلهة لا تنفع ولا تضر، وليس بيدها شيء، أم من عبد الله وحده، واستقام على دينه، واتقاه عز وجل، هؤلاء هم الآمنون: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم﴾، لم يخلطوا إيمانهم ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: بشرك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾، هؤلاء هم السعداء هم الآمنون في الدنيا والآخرة، هم أصحاب الجنة، هم الناجون

من النار، بخلاف عبَّاد الأصنام والأوثان، والجن وغير ذلك، فهم الخاسرون الهالكون: ﴿ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦]، نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك! أيش المراد بالأمن يا شيخ هنا؟

الشيخ: الأمن في الدنيا والآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عَدِيّ، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣][(١)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن عَلْقَمَة، عن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على الناس وقالوا: يا رسول الله، فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون! ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ إنما هو الشرك»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أن الظلم الذي يحصل معه عدم الأمن هو الشرك، من مات على الظلم الذي هو الظلم الأكبر، فله الخيبة والندامة، وله العاقبة الوخيمة، أما من سلم من الظلم الذي هو الشرك فله الأمن وله الهداية، لكنه على خطر إن كان مات على معاصي وعلى ظلم آخر، فهو تحت المشيئة، فالظلم أنواع ثلاثة: الظلم الأكبر: الشرك، والظلم الثاني: ظلم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ برقم (٢٦٢٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٧٨).

الناس في دمائهم وأموالهم، والظلم الثالث: المعاصي، فمن سلم منها كلها فله الأمن الكامل، والهداية الكاملة في الدنيا والآخرة، ومن سلم من الظلم الأكبر الذي هو الشرك، فله أصل الأمن وأصل الهداية، ولكنه على خطر من دخول النار، بسبب ظلم المعاصي وظلم الناس، فالأمن والهداية حاصل لمن سلم من الظلم الأكبر، بحيث لا يخلد في النار ولو دخلها، وإنما يخلد فيها من مات على الشرك، أما من مات على المعاصي وظلم العباد، فهو تحت مشيئة الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن دخلها لا يخلد، إن دخلها بزناه، أو شربه المسكر أو عقوقه لوالديه، أو ظلمه للناس فإنه لا يخلد فيها؛ بل له نهاية ينتهي إليها ثم يُخرج منها.

● **س: الشرك الأصغر عفا الله عنك: يدخل في المشيئة؟**

○ **الجواب**: الأقرب والله أعلم: أنه تبع الشرك الأكبر، يلحق بالشرك، لكن صاحبه لا يخلد في النار إذا دخل به كالمعاصي، وهو ملحق بالمعاصي من جهة أنه لا يخلد في النار، ولكنه لا يغفر على ظاهر النصوص، فإما أن يتوب منه، وإما أن يعذب على قدره، نسأل الله العافية.

● **س: ما المراد في الأمن في الدنيا الهداية يا شيخ! أو السعادة الناتجة من الإيمان؟**

○ **الجواب**: الأمن من عذاب الله الذي يعاقب به المشركين والكفار، أما ما يصيب الناس من الأمور العادية التي كتبها الله عليهم، يعم المسلم الطاهر: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**»[1]، هذه الدنيا دار الابتلاء، لكن له الأمن من أن يهلك وأن يدخل النار، وله الأمن من غضب الله وعقابه إذا استقام على دين الله.

---

(١) قال البخاري، باب أشد الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل. والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء برقم (٢٣٩٨) وحسَّنه. وابن ماجه برقم (٤٠٢٤)، والإمام أحمد (٦/ ٣٦٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع وابن إدريس، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس كما تظنون، إنما قال لقمان لابنه:** ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[(١)]».

وحدثنا عمر بن شَبَّةَ النمري، حدثنا أبو أحمد، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: «**بشرك**»[(٢)].

قال: ورُوي عن أبي بكر الصديق، وعمر، وأُبيّ بن كعب، وسلمان، وحذيفة، وابن عباس، وابن عمر، وعمرو بن شرحبيل، وأبي عبد الرحمٰن السُّلَمِي، ومجاهد، وعِكْرِمة، والنَّخَعِي، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي نحو ذلك[(٣)].

وقال ابن مَرْدُوَيه: حدثنا الشافعي، حدثنا محمد بن شَدَّاد المِسْمَعِيّ، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**قيل لي: أنت منهم**»[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف، حدثنا أبو جَناب، عن زاذان، عن جرير بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ: فلما برزنا من المدينة، إذا راكب يوضِع نحونا، فقال رسول الله ﷺ: «**كأن**

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٣) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند وقد أسند معظمها الطبري وليشهد له جميعًا ما تقدم وصح عن النبي ﷺ.

(٤) سنده ضعيف جدًّا بسبب محمد بن شداد المسمعي. روى أحاديث مناكير، وضعفه البرقاني والدارقطني «لسان الميزان» (٥/ ١٩٩).

هذا الراكب إياكم يريد». فانتهى إلينا الرجل، فسلم فرددنا عليه فقال له النبي ﷺ: «**من أين أقبلت؟**» قال: من أهلي وولدي وعشيرتي. قال: «**فأين تريد؟**»، قال: أريدُ رسول الله. قال: «**فقد أصبته**». قال: يا رسول الله، علِّمني ما الإيمان؟ قال: «**تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**». قال: قد أقررت. قال: ثم إن بعيره دخلت يده في جحر جُرْذَان، فهوى بعيره وهوى الرجل، فوقع على هامته فمات، فقال النبي ﷺ: «**عليَّ بالرجل**». فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه، فقالا: يا رسول الله، قُبض الرجل! قال: فأعرض عنهما رسول الله ﷺ، ثم قال لهما رسول الله ﷺ: «**أما رأيتما إعراضي عن الرجل، فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعًا**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**هذا من الذين قال الله** ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾»، ثم قال: «**دونكم أخاكم**». قال: فاحتملناه إلى الماء فغسَّلناه وحنَّطناه وكفناه، وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شَفِير القبر فقال: «**الحدوا ولا تشقوا، فإن اللحد لنا والشق لغيرنا**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود أن الأعمال بالخواتيم، من رزقه الله حسن الخاتمة، محا الله سيئاته السابقة، كالذي شهد أن لا إله إلا الله، كما في أحاديث بدر أو أحد، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ثم قاتل فقُتل، قال النبي ﷺ: «**عمل قليلًا وأُجر كثيرًا**»[2]، مات على التوحيد والإيمان فصار من أهل الجنة، ومحا الله ما مضى من شركه وكفره، الله أكبر نعم، فالأعمال بالخواتيم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل القتال برقم (٢٨٠٨)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد برقم (١٩٠٠).

● **س: إذا مات على التوحيد إذا مات على التوبة؟**

○ **الجواب**: محا الله سيئاته، الكفر وغيره، إذا شهد أن لا إله الله وأن محمد رسول الله صادقًا بريئًا من الشرك مقرًّا بالتوحيد تائبًا مما سلف: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

● **س: من مات على الشهادتين ولكن لم يتب من المعاصي؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول مات وصارت خاتمته الشهادتان لكن مات على المعاصي.

○ **الجواب**: على كل حال: من كانت خاتمته الشهادة صادقًا، نادمًا على ما مضى من تفريطه، دخل الجنة من أول وهلة، أما إن كان مصرًّا على السيئات هذا تحت المشيئة.

مداخلة: أحسن الله إليك! من قال: لا إله إلا الله قبل أن يموت تغفر له ذنوبه؟

○ **الجواب**: إذا كان قالها عن توبة وصدق وإخلاص.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر، عن عبد الحميد بن جعفر الفراء، عن ثابت، عن زاذان، عن جرير بن عبد الله، فذكر نحوه، وقال فيه: «هذا ممن عَمل قليلًا وأجر كثيرًا».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يوسف بن موسى القطان، حدثنا مِهْران بن أبي عمر، حدثنا علي بن عبد الأعلى عن أبيه، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره، إذ عرض له أعرابي فقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لقد خرجت من بلادي وتلادي ومالي لأهتدي بهداك، وآخذ من قولك، وما بلغتك حتى ما لي طعام إلا من خَضِر الأرض، فاعْرِضْ عَلَيّ.

فعرض عليه رسول الله ﷺ، فقبل فازدحمنا حوله، فدخل خف بَكْره في بيت جُرْذَان، فتردى الأعرابي، فانكسرت عنقه، فقال رسول الله ﷺ: **«صدق والذي بعثني بالحق، لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليهتدي بهداي ويأخذ من قولي، وما بلغني حتى ما له طعام إلا من خضر الأرض، أسمعتم بالذي عمل قليلًا وأجر كثيرًا هذا منهم! أسمعتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون؟»** فإن هذا منهم(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله، اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آله. وهذا يدل على أن من مات على الإيمان صادقًا مخلصًا كفّر الله سيئاته ولو في لحظة قليلة، كالذي يُسلِم ثم يموت أو يقتل هذا مصيره، عمل قليلًا وأجر كثيرًا، فالإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها والهجرة تجبُّ ما قبلها، هذا من رحمة الله وفضله، أما توبة العبد وصدقه وإخلاصه وإيمانه الصادق يمحو الله به خطاياه، ويكفر به سيئاته، فإذا أسلم إسلامًا صحيحًا ثم مات في الحال بقتل أو غيره كفر الله سيئاته، فالإسلام يجبُّ ما قبله، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، أجمع العلماء: على أن هذه الآية نزلت في التائبين، وأنهم متى تابوا غفر الله لهم ذنوبهم جميعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروى ابن مَرْدُوَيه من حديث محمد ابن معلَّى ـ وكان نزل الري ـ حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي داود عن عبد الله بن عمر قال: قال

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه أطول، وفي سنده علي بن عبد الله بن عامر الثعلبي وأخوه كلاهما، صدوق يهم، ولكنهما توبعا في الروايتين السابقين، فيكون سنده حسنًا لغيره.

رسول الله ﷺ: «**من أُعطي فشكر، ومُنع فصبر، وظُلم فاستغفر، وظَلم فغفر**» وسكت، قالوا: يا رسول الله ما له؟ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[(١)].

وقوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾؛ أي: وجَّهنا حجته على قومه.

قال مجاهد وغيره: يعني بذلك قوله: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ وقد صدَّقه الله، وحكم له بالأمن والهداية فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، ثم قال بعد ذلك كله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ قرئ بالإضافة وبلا إضافة، كما في سورة يوسف، وكلاهما قريب في المعنى.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾؛ أي: حكيم في أفعاله وأقواله ﴿عَلِيمٞ﴾؛ أي: بمن يهديه ومن يضله، وإن قامت عليه الحجج والبراهين، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهكذا أقام الحجة على جميع أعداء الرسل، بما بعث الله به الرسل، أوضحت الرسل وبيَّنت، فقامت الحجة على أقوامهم، فمنهم من هدى الله، ومنهم من استمر في الضلالة وهم الأكثرون: والله هو الحكيم العليم، يبيِّن الأدلة، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فالواجب على

---

(١) سنده ضعيف لضعف أبي داود وهو يقع الأعمى، وكذلك عبد الله بن سخبرة: مجهول كما في التقريب وقد أرسله وضعفه البيهقي (شعب الإيمان برقم ٤٤٣١)، والبيهقي (المجمع ١٠/ ٢٨٧).

المكلف أن يأخذ بالأدلة، وأن يتَّبع الرسل وأن يحذر اتباع الهوى، فالهوى يعمي ويهلك: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، والواجب على كل مكلف أن يتبع الحق، وأن ينقاد للحق، وأن يحذر اتباع الهوى، لمالٍ أو عَرَضٍ آخر، فالواجب هو إيثار الآخرة وإيثار ما جاءت به الرسل، والصبر والصدق، وإن دارت عليه المحن، وإن جرت عليه الخطوب، وإن تكلف وإن أوذي: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، قال الله لنبيِّه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فالأنبياء أفضل الخلق والرسل أفضل الخلق، وقد أوذوا وصبروا، فلك فيهم أسوة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فلا ينبغي للعاقل، أن يميل مع الباطل لأدنى أذى، أو أدنى شبهة؛ بل ينبغي أن يكون صبورًا قويًّا، قوي القلب قوي الإيمان، صبورًا عند المحن، حتى يلقى ربه، هذه الدار دار الابتلاء كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فالدار دار ابتلاء، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، فهذه دار الابتلاء والامتحان والاختبار.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢](١).

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا ابن أبي عديٍّ، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «لمّا نزلت:

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبيّن لنا أنّ الشّرك هو أخطر الأمور وأعظمها؛ ولهذا لما سمعوا هذا عظم عليهم ﷺ، وشقّ عليهم ذلك؛ وقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه. فبيّن لهم عليه الصّلاة والسّلام أنّ الظّلم الّذي في الآية ليس هو جنس الظّلم مطلقًا، ولكنه الشّرك؛ لأنّه يبطل الأعمال ويفسدها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: وحدوا الله، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم﴾؛ أي: لم يخلطوا إيمانهم بشركٍ؛ بل وحّدوه وأخلصوا لله وحده ﷻ، وحقّقوا ما يلتزم ذلك الإيمان وما يقتضيه ذلك الإيمان، من أداء واجبِ الله، وترك محارم الله؛ ولهذا قال بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فمن سلم إيمانه من الظّلم فله الأمن والهداية، لكن إن كان سلم من أنواع الظّلم الأخرى من المعاصي والتعدّي على النّاس صار أمنه كاملًا واهتداؤه كاملًا.

وإن كانت عنده مظالم للنّاس، أو ظلمٌ لنفسه بالمعاصي صار الأمن ناقصًا والهداية ناقصةٌ ولكنه. . .[1].

فلهذا صدق على الموحّدين أنّ لهم الأمن ولهم الهداية، لكن من سلم من أنواع الظّلم كلّها صارت له الكفاية التّامّة والأمن التامّ، والهداية التّامّة والسّعادة الأبدية.

ومن خلط إيمانه بشيءٍ من المعاصي أو من ظلم العباد نقص أمنه ونقصت هدايته بحسب ذلك.

وهذا تدلّ عليه النّصوص الأخرى من الآيات والأحاديث.

---

(١) عبارة غير واضحة.

يعني: أنّ أعظم الظّلم هو الشّرك بالله، فمن لم يلبس إيمانه بالشّرك فهو من أهل الأمن والهداية، لكن إن كان سلم من الظّلم كلّه صار الأمن كاملًا والهداية كاملةً، فالّذي لم يظلم نفسه بالشّرك ولا بالمعاصي، ولم يظلم النّاس صار له الأمن كاملًا والهداية كاملةً ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

أمّا إذا كان عنده ظلمٌ لنفسه بالمعاصي أو للنّاس؛ فإنّ الأمن والهداية فيهما نقصٌ، وهو على خطرٍ حتّى يدع الظّلم للنّاس، والظّلم لنفسه بالمعاصي؛ فإذا لقي الله سالمًا من أنواع الظّلم الثّلاثة: ظلم الشّرك، وظلم المعاصي، وظلم النّاس؛ صار له الأمن الكامل والهداية الكاملة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

أمّا إذا سلم من الشّرك فله أصل الأمن، وأصل الهداية، ولن يخلّد في النّار لو دخلها؛ لأنّ معه التّوحيد، لكن على خطرٍ من ذنوبه.

• **س: أحسن الله إليك: المقصود الشّرك الأكبر والأصغر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يشمل هذا وهذا، لكن الأظهر هو الشّرك الأكبر، جمعٌ من أهل العلم يرون أنّه يدخل فيه الشّرك الأصغر إلّا أن يتوب أو ترجح حسناته.

• **س: أحسن الله إليك: وجه كون الشّرك ظلمًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأنّه وضعٌ للشيء في غير موضعه، وضع الشّيء في غير محلّه؛ الواجب عبادة الله وحده، فمن أشرك بالله فقد وضع العبادة في غير محلّها، وصرفها إلى غير أهلها؛ لأنّ الظّلم وضع الشّيء في غير موضعه.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ **[الأنعام: ٨٤ ـ ٩٠]**[١].

يخبر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق، بعد أن طَعَن في السن، وأيس هو وامرأته «سارة» من الولد، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط، فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك، وقالت: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]، وبشَّروه مع وجوده بنبوَّته، وبأن له نسلًا وعَقِبًا، كما قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، وهذا أكمل في البشارة، وأعظم في النعمة، وقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]؛ أي: ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده، فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يُعْقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم «يعقوب»، الذي فيه اشتقاق العقب

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في فجر الأحد ٥ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ. ومغرب الأحد ٨ ـ ١١ ـ ١٤١٢هـ

والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله عز وجل، عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه، لتقر بهم عينه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]، وقال هاهنا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾، وقوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾؛ أي: من قبله، هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذرية صالحة، وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه السلام، فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به ـ وهم الذين صحبوه في السفينة ـ جعل الله ذريته هم الباقين، فالناس كلهم من ذرية نوح، وكذلك الخليل إبراهيم عليه السلام، لم يبعث الله عز وجل، بعده نبيًّا إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية [العنكبوت: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ﴾ [الحديد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾؛ أي: وهدينا من ذريته ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ الآية، وعود الضمير إلى «نوح»؛ لأنه أقرب المذكورين، ظاهر. وهو اختيار ابن جرير، ولا إشكال عليه. وعوده إلى «إبراهيم»؛ لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل على ذلك «لوط»، فإنه ليس من ذرية «إبراهيم»؛ بل هو ابن أخيه مادان بن آزر؛ اللَّهُمَّ إلا أن يقال: إنه دخل في الذرية تغليبًا، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فإسماعيل عمه، ودخل في آبائه تغليبًا.

وكما قال في قوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١] فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود، وذُمَّ على المخالفة؛ لأنه كان قد تشبه بهم، فعومل معاملتهم، ودخل معهم تغليبًا، وكان من الجن وطبيعتهم النار والملائكة من النور. وفي ذكر «عيسى» عليه السلام، في ذرية «إبراهيم» أو «نوح»، على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجال؛ لأن «عيسى» عليه السلام، إنما ينسب إلى «إبراهيم» عليه السلام، بأمه «مريم» عليها السلام، فإنه لا أب له.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا سهل بن يحيى العسكري، حدثنا عبد الرحمٰن بن صالح، حدثنا علي ابن عابس عن عبد الله بن عطاء المكي، عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يَعْمُر فقال: بَلَغَني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ، تجده في كتاب الله، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال: أليس تقرأ سورة الأنعام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ حتى بلغ: ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾؟ قال: بلى، قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم، وليس له أب؟ قال: صدقت.

فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته، أو وقف على ذريته أو وهبهم، دخل أولاد البنات فيهم، فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه، واحتجوا بقول الشاعر العربي:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون: ويدخل بنو البنات فيه أيضًا، لما ثبت في صحيح البخاري، أن رسول الله ﷺ قال للحسن بن علي: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[(١)] فسمَّاه ابنًا، فدل على دخوله في الأبناء.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «**إن ابني هذا سيد**» إلخ برقم (٢٧٠٤).

وقال آخرون: هذا تجوُّز.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا كله: أن الذرية تشمل أولاد البنين وأولاد البنات، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، إلى أن قال: ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٥]، وعيسى إنما هو من ذريته من جهة مريم، وليس له أب عليه الصلاة والسلام، فإذا أوصى أو أوقف على الذرية، المحتاج منهم أو فقيرهم دخل أولاد البنين، وأولاد البنات جميعًا، وأما أن يخص البنين فلا يجوز أن يخص البنين؛ لأن هذا حيف، والرسول ﷺ يقول: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»، فليس له أن يوقف على البنين دون البنات، أو على بني البنين؛ بل يعم الجميع، إذا أراد الوقف يقول: ذريتي أو أولادي ذكورهم وإناثهم، والأفضل أن يقول: المحتاج الفقير؛ حتى لا يظن أنه إرث، ويعاملون معاملة الورثة؛ بل يقول: هذا وقف في وجوه البر وأعمال الخير، ويعطى منه ذريتي أو أولادي إذا احتاجوا، أو يعطى الفقير من ذريتي وأولادي، أو ما أشبه ذلك؛ حتى لا يظن ظان أنه إرث، وأنهم يعاملون معاملة الورثة، فينبغي أن يصرح أنهم إنما يعطون إذا احتاجوا افتقروا.

● **س: أحسن الله إليك! يدخل فيه بنو البنين وبنو البنات وإن نزلوا؟**

○ **الجواب**: نعم، وإن نزلوا إلا أن يقول: الأقرب فالأقرب، يقول: الأقرب فالأقرب، يخص الأقرب فالأقرب، نعم. الطبقة الأولى ثم الطبقة الثانية ثم الطبقة الثالثة، وهكذا، إذا... هذا محتمل من ذريته؛ الأقرب فالأقرب، يخص الأقرب فالأقرب.

مداخلة: لو قال: الأحفاد؟ أحسن الله إليك!

الشيخ: الأحفاد والأسباط. نعم، لكن لا يخصه باسم الذرية أو

الأولاد؛ بل يقول: المحتاج والفقير منهم؛ حتى لا يكون هنالك حيف، والورثة لا يوصى لهم، الورثة يكفيهم ما قسم الله لهم من الإرث.

• **س: أحسن الله عملك! إذا قال: لكل من أراد أن يستكمل دراسته مع أن أولاده أغنياء، هل له ذلك؟ أن يحبس هذا؟ مع أنه أبقى مال كثير لهم؟**

○ **الجواب**: الذي يظهر ليس له ذلك، لا إكمال دراسة ولا غيرها، إنما يوصي للفقراء، والمساكين والمحتاجين، نعم. وإذا قال: طلبة العلم منهم الفقراء، طلبة العلم الفقراء لا بأس.

• **س: إذا أوقف مزرعة على أضحية له؟، فباقي المال يقسم قسمة.؟**

○ **الجواب**: يصرف في وجوه البر وأعمال الخير.

مداخلة: يعني ما يقسم على الورثة؟

○ **الجواب**: لا، إذا جعلها وقف في أضحية، فالفاضل يوزع في وجوه الخير وأعمال الخير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ ذكر أصولهم وفروعهم. وذوي طبقتهم، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم؛ ولهذا قال: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملابسته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية [الزمر: ٦٥]، وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، وكقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:

١٧]، وكقوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ﴾؛ أي: أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم، ولطفا منا بالخليقة، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾؛ أي: بالنبوة. ويحتمل أن يكون الضمير عائدا على هذه الأشياء الثلاثة: الكتاب، والحكم، والنبوة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا أن قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ [الزمر: ٦٥]، مو معناه أنه تجويز وقوع الشرك منه، إنما هذا شرط يبين حكمه، أنه لو وقع لكان الحكم كذا، وإلا فقد عصمه الله من ذلك، وعافى الأنبياء من ذلك، وعصمهم من أن يشركوا، وجعلهم خير الناس، وأفضل الناس عليهم الصلاة السلام.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم.

● **س: إذا أوقف على المحتاج من ذريته وفيهم ذكور وإناث، هل يقسم بينهم قسمة ميراث أو بالسوية؟**

○ **الجواب**: على حسب الحاجة.

مداخلة: حسب الحاجة؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: دخول أبناء البنات.

الشيخ: نعم داخلين، الصواب: داخلين فيه، على حسب الحاجة، إذا قال: على فقرائهم ومحتاجيهم.

مداخلة: إذا تساوى الابن والبنت في الحاجة؟

الشيخ: يساوى بينهم في العطية، في غير الإرث.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعني: أهل مكة. قاله ابن عباس، وسعيد بن المُسَيَّب، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي. ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾؛ أي: إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم، ومليين وكتابيين، فقد وكلنا بها قومًا ﴿ءَاخَرِينَ﴾، يعني: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة، ﴿لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾؛ أي: لا يجحدون شيئًا منها، ولا يردُّون منها حرفًا واحدًا؛ بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها، جعلنا الله منهم بمنِّه وكرمه وإحسانه.

ثم قال تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾؛ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾؛ أي: اقتد واتبع. وإذا كان هذا أمرًا للرسول ﷺ، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به.

قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني سليمان الأحول، أن مجاهدًا أخبره، أنه سأل ابن عباس: أفي (ص) سجدة؟ فقال: نعم، ثم تلا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ إلى قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ ثم قال: هو منهم - زاد يزيد بن هارون، ومحمد بن عبيد، وسهل بن يوسف، عن العوام، عن مجاهد قال: قلت لابن عباس، فقال: نبيكم ﷺ ممن أُمِرَ أن يَقْتَدي بهم.

وقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ﴾؛ أي: لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن ﴿أَجْرًاۖ﴾؛ أي: أجرة، ولا أريد منكم شيئًا، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾؛ أي: يتذكرون به فَيُرْشَدُوا من العمى إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الكفر إلى الإيمان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وخطابه ﷺ بهذا لا يلزم منه جواز وقوعه منه، فإن الله قد عصمه من ذلك وحفظه من ذلك، لكن لبيان عظم الأمر، لو فرض وقوع الشرك من النبي ﷺ لحبط عمله، فكيف بغيره! والمقصود الحذر من ذلك، المقصود التحذير والترهيب من الشرك، بجميع أنواعه؛ لأنه ضد التوحيد وضد الإيمان، وضد العبادة، فهو يحبطها، ولو كان من أكبر الطبقة، ومن أعظم شخص؛ لأنه... الربوبية، وتنقُّص للألوهية، وسوء ظن بالله ﷻ، فالله سبحانه هو الواحد الأحد، المستحق العبادة، فلا يجوز أن يعبد معه سواه، فإذا أشرك بالعبادة غير الله فقد أتى أعظم الذنوب وأعظم الإثم، ولهذا لما قال ابن مسعود رضي الله عن حديث النبي ﷺ: «يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[1]، هو أعظم الذنوب، وأخطرها وأسوأها عاقبة الشرك.

وهو أنواع كثيرة وأصناف متعددة، ومن ذلك: صرف بعض العبادة لغير الله، كالصلاة والسجود والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة بالأصنام بالأموات بالملائكة بالجن بالأشجار بالنجوم إلى غير ذلك، وسمي شركًا لأنه جعل بعض العبادة لغير الله، المشرك جعل بعضها لغير الله، فصار بذلك مشركًا، قد شرك بين الله وبين غيره في العبادة، ويسمى كفرًا لأنه جحد الحق وستره، الحق توحيد الله وإخلاصه لله، والشرك جحد لهذا الحق، وستر له بالتغطية فسمِّي كفرًا، وسمي إلحادًا؛ لأنه ميل بالحق عن جهته، وعدول بالحق عن جهته؛ إذ الحق إفراد العبادة بالله وحده وتخصيصه بها، ووقوع الشرك إلحاد وميل عن الحق إلى الباطل، ويسمى ظلمًا: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، يسمى ظلمًا؛ لأنه وضع

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٧٩)، (٧/ ٢٦٣).

العبادة في غير محلها، والظالم يضع الأمور في غير محلها، والشرك أعظم الذنوب: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وأما ما يتعلق بالذرية، فلا شك أن ذرية البنات ذرية للشخص، كما أخبر الله عن عيسى بأنه من ذرية إبراهيم، من ذرية نوح، وهو ولد مريم، وليس له أب، والصواب أنه إذا أطلقت الذرية في الأوقاف والوصايا دخلت فيها أولاد البنات، إلا أن يخرجهم بنص، يقول: على ذريتي، من صلبي أو من أبنائي، ونص على ذلك خرج أولاد البنات، وإلا هم داخلون: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، إلى أن قال: ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٥]. ويلحق بالشرك كل جميع أصناف الكفر، كل ما يعتبر ناقضًا من نواقض الإسلام يسمى كفرًا ويسمى شركًا، وإن لم يكن صرف هذه العبادة لغير الله، بل مجرد كونه إلحادًا في الدين، وإنكارًا للحق الذي دلت عليه الأدلة، وأجمع عليه المسلمون يكون كفرًا أكبر، ويسمى شركًا، يسمى صاحبه مشرك، فلو أن إنسانًا جحد وجوب الصلاة، أو جحد وجوب الزكاة، أو جحد وجوب صوم رمضان، أو جحد وجوب الحج مع الاستطاعة صار كافرًا مشركًا، وإن كان ما صرف العبادة لغير الله، لكن كونه جحد الحق، وأنكر الحق المعلوم بإجماع المعلوم من الدين بالضرورة، مكذب لذات الله، صار هذا مكذب لله، مكذب لرسوله، وصار كافرًا لجحده الحق، مشركًا لكونه أطاع هواه في هذه الباب، وشرك هواه وشيطانه في طاعته، بدلًا من طاعة الله ﷻ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»(١)، وقال: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢)، سمَّاه كافر، وسمَّاه مشرك. وسمَّى أنواع المشركين كفار وسمَّاهم مشركين، شركًا لأنهم شركوا في

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

(٢) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

العبادة غير الله، كفرًا لأنهم جحدوا الحق، وتابعوا الهوى، فصاروا كفارًا بذلك.

والشرك الأصغر لما كان دون الشرك الأكبر، لكن فيه نوع التشريك لغير الله فيما يختص بالله من الحلف بغير الله، قول: ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، صار نوع شرك؛ لأن فيه نوع من التشريك، لكنه أصغر، ليس من جنس الذبح لغير الله، والصلاة لغير الله ونحو ذلك. وهكذا أنواع الكفر الأصغر، فيه نوع جحد وتغطية للحق فسمي كفرًا من هذه الحيثية، لقوله ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»(١)، «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٢).

الأسئلة:

• **س: يا شيخ! إن أبناء البنات لا يدخلون في الذرية؛ لأن عيسى ليس كغيره من الناس، والبيت المشهور: بنونا بنو أبنائنا.. إلخ؟**

○ **الجواب**: هذا بإطلاقة، إطلاق الابن ويراد به مطلق الابن، والمراد به من الصلب، هذا الغالب؛ ولهذا قال العلماء: إذا قال: أبنائي اختص بأبناء الصلب، قول النبي ﷺ للحسن: «**إن ابني هذا سيد**»، قاله ﷺ بيانًا لأنه من نسله، وأنه ابن ابنته فاطمة، وليس المقصود أنه ابنه عند الإطلاق، لكن من باب التجوز في تسميته ابنًا، وهو ليس ابنه وإنما هو ابن بنته، خلاف الذرية، الذرية أوسع، من الذرأ وهو الخلق والإيجاد، العرب إذا أطلقت الأبناء، أطلقتهم على أبناء الصلب، والشريعة جاءت بلغة العرب، إن كانت الذرية فإنهم أوسع، إطلاق الذرية أوسع من إطلاق البنين..

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ في كتاب الإيمان، إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة برقم (٦٧).
(٢) سبق تخريجه في (٦/ ١٢٢).

الحكم على حديث: «ألا أخبُركُمْ بِما هُو أخوفُ عَلَيكُم عِنْدِي من المَسيحِ الدَّجَّالِ..»، ما صحته[(١)]؟

○ **الجواب**: رواه أحمد ولا أتذكر عن سنده، رواه أحمد،ذكره الشيخ في باب التوحيد يحتاج مراجعته.

● **س: رعاك الله! الامتثال لبعض الأحكام القانونية؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: أقول: الامتثال لبعض الأحكام القانونية مثلًا: في بعض البلدان، إذا كان طالب يدرس هناك أو.. وحكم عليه قانونيًّا، مخالفة لنص شرعي، الامتثال له...؟

○ **الجواب**: ليس هو بهواه.. هو لا يجوز له أن يرضى بذلك، وإذا استطاع التخلص من ذلك بالطرق التي لا يترتب عليها شر.. تظلم وأبدى ما عنده، ولا يرضى بحكم غير الله، لكن إذا ألزم به... حتى يتخلص من ذلك، الإثم على من ألزمه، والتفصيل في الحاكم هل يكفر أو ما يكفر هذا التفصيل، الحاكم إذا حكم بغير ما أنزل الله يستحل ذلك كفر، أما إذا حكم وهو لا يستحل لهوًى أو رشوة أو نحو ذلك صار كفرًا دون كفر.

مداخلة: وهل هذا يدخل في الإكراه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ﴾ [النحل: ١٠٦]؟

الشيخ: ما حكم محكوم عليه؟

مداخلة: محكوم عليه.

الشيخ: مثله مثل المقتول، المقتول محكوم عليه بالقتل ظلمًا، ما في يده شيء، الإثم على من حكم عليه بالقتل ظلمًا أو بالضرب أو بأخذ المال..

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب في الرياء والسمعة برقم (٤٢٠٤)، والإمام أحمد (٣/ ٣٠).

● **س: حديث الذباب عفا الله عنك؟**

○ **الجواب**: لا بأس به.

مداخلة: ألم يكره الرجل هذا ودخل النار؟

الشيخ: هذا ما فيه إكراه، قال: ما عندي شيء أقرب اعتذر بس، ما امتنع، تساهل، ما عندي شيء أقرب لم يمتنع.

مداخلة: درجة الحديث؟

الشيخ: لا بأس به. رواه الإمام أحمد وغيره(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقال: أشباه، ويقال: أتباع، والمراد... يعني شابهوهم في الحق والخير، وإن كانوا ليسوا بأنبياء، لكن شابهوهم في اتباع الحق والانقياد له، والثبات عليه والسير عليه، فصاروا أتباعًا لهم وأشباهًا لهم فيما فعلوا من الخير، فاستحقوا النجاة والسلامة.

وهذه من أدلة القول الصحيح أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يأت شرعنا بخلافه، ما حكى الله عن الأنبياء الماضيين وسكت عنه، ولم يأت بالشرع ما يخالف المحمدي يكون شرعًا لهذه الأمة، نعم. مثل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ [المائدة: ٤٥]، إلى آخره وأشباهه.

● **س: سنِّية السجود في السجدة التي في سورة (ص)؟**

الشيخ: وقد سجد فيها ﷺ، قد سجد في (ص)، صارت سنة، السجود فيها سنة في الصلاة وخارجها، وقول بعض الفقهاء: إنها سجدة شكر لا يسجد فيها للصلاة ليس بجيد. الصواب: أنه يسجد فيها كما سجد فيها النبي ﷺ، رواه البخاري في الصحيح عن ابن عباس أنه سجد فيها، اللّهم صلِّ عليه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (ص٢٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الجهاد (٧/ ٦٤٢، برقم ٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٠٣).

• **س: قول ابن عباس: ليست من عزائم السجود؟**

الشيخ: ليست من عزائمه، ليست من المؤكدات، هذا منه اجتهاده رضي الله عنه، يسجد فيها سواء قيل: من العزائم أو من غير العزائم، المقصود أنها سنة يسجد بها مطلقًا، أما تسميتها بأنها ليست من العزائم محل نظر، وهذا هو من اجتهاده، منه رضي الله عنه، وقد سجد فيها ﷺ يكفينا أنها من السنن.

الحكم على حديث: (سجد بها داود ونسجدها شكرًا):

مداخلة: حديث: (سجد بها داود توبة ونسجدها شكرًا)؟

الشيخ: كذا معنى واحد.

مداخلة: صحيح؟

الشيخ: ما أذكر حال سنده، ولا أذكر فيه شيء من الطعن، ما ذكر، في سنده شيئًا، بكل حال سجودها سنة اتباعًا للأنبياء وشكرًا لله عز وجل، حيث منّ على داود بالتوبة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أنشأ العباد وهم الإنس من نفس واحدة: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، في الآية الأخرى يقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، (مِنْ ذَكَرٍ): هو آدم، (وَأُنثَى): وهي زوجه حوى، كل هذا العالم من بني آدم من هذين الشخصين من آدم وحوى، وأما الجان والجن فهم ولد الجان، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥]. فالإنسان هو أصل بني آدم، والجان هو أصل الجن، وفي الإنس صالحون وطالحون: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وهكذا الجن فيهم الصالحون والطالحون، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]، وقال فيهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾

فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

ثم بعد ذلك مستقر ومستودع، ثم بعد ذلك صار بني آدم بين ذكر وأنثى من ماء مهين، كلاهما من ماء مهين، أصله من ماء الزوج وماء المرأة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]، فالمقصود: أن ذريته جميعهم من هذا الماء المهين الضعيف: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠].. ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، كل بني آدم من هذا الماء، وله مستقر وله مستودع، فمستقره الرحم رحم المرأة ومستودعه صلب الرجل، وينزل من صلب الرجل إلى رحم المرأة: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٦، ٧]، صلب الرجل وترائب المرأة، فيجتمع الماءان في المستقر وهو الرحم، وينشئ الله من الماءين الولد بقدرته العظيمة ﷻ. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، مضى عليه دهور ما... إنسان موجود ثم خلقه الله، (هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ)، يعني: قد أتى على الإنسان حين لم يكن شيئًا مذكورًا، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، خلق من نطفة هذا الولد بعد آدم وحوى، (أَمْشَاجٍ): أخلاط، ماءين مختلطين يوجد منهما بنو آدم الذكر والأنثى، وقد لا تحبل، يفسد هذا الماء ولا تحبل، وقد تسقطه صغيرًا، وربك على كل شيء قدير ﷻ.

مداخلة: مستقر يشمل ذلك أرحام النساء، وكذلك على ظهر الأرض وفي بطنها، مستقر يشمل ذلك يا شيخ؟

الشيخ: محتمل، الأقوال متعددة أقربها مثلما رجحها الحافظ ابن كثير.

المستقر، يعني: ينزل هذا الماء ويستقر في الرحم حتى يتكون جنينًا، وأصله في الصلب صلب الرجل ماء ضعيف، فينزل في هذا

المستقر، ولكن مستودع المستودع يؤخذ منه ما. . . في المستودع، ثم ينزل إلى الرحم فيبقى فيه ما شاء الله، ويحتمل المستقر هو المستودع. . . يعني: أقوال أخرى، لكن هذا أقرب للسياق؛ لأنه قال بعده: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]،

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والقول الأول أظهر، والله أعلم.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٨٦﴾ [الأنعام: ٨٦][1].

حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا ابن مهديٍّ، حدّثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية، قال: حدّثني ابن عمّ نبيّكم؛ يعني: ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[2].

حدّثنا آدم بن أبي إياسٍ، حدّثنا شعبة، أخبرنا سعد بن إبراهيم قال: سمعت حميد بن عبد الرّحمن بن عوفٍ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبيّ ﷺ قال: «**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[3].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر يوم الأحد ١٩ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ برقم (٣٣٩٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ وقول النبي ﷺ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى**» برقم (٢٣٧٧).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩﴾ برقم (٣٤١٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ذكر يونس برقم (٢٣٧٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن الله ابتلاه ثم اجتباه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨ ـ ٤٩]. كما اجتبى أولياءه وأهل طاعته، ومثل ما اجتبى آدم ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وهكذا يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ اجتباه وجعله من الصّالحين، بعد ما حصل له ما حصل؛ فلا يليق لأحدٍ أن يقول: (**أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**)؛ لأنه من رسل الله وأنبيائه.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠][1].

حدّثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشامٌ أنّ ابن جريجٍ أخبرهم قال: أخبرني سليمان الأحول أنّ مجاهدًا أخبره أنّه سأل ابن عبّاسٍ: أفي (ص) سجدةٌ؟ فقال: «نعم» ثمّ تلا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾، ثم قال: «هو منهم»، زاد يزيد بن هارون، ومحمّد بن عبيدٍ، وسهل بن يوسف عن العوّام، عن مجاهدٍ: قلت لابن عبّاسٍ فقال: «نبيّكم ﷺ ممّن أمر أن يقتدي بهم»[2].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ برقم (٤٦٣٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا سجد عليه الصّلاة والسّلام، ثبت عنه أنّه كان يسجد في (ص) عليه الصّلاة والسّلام. والصّواب: أنّها من سجدات القرآن، وهي الخمس عشرة من سجدات القرآن.

جاء عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّه سجد...[1]، وأنّها ثابتةٌ عن رسول الله ﷺ أنّه سجد، كما رواه البخاريّ رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، فهي من السجدات الّتي ثبت فعلها عن النّبيّ ﷺ عند قوله: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٤، ٢٥]. سجد عند قوله: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ ثم يقوم.

بعض الناس يسجد عند: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾، الأولى أن يكمل ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ ثم يسجد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود: أنّها سجدةٌ من سجدات القرآن، وهي الثانية عشرة من السجدات قبل المفصّل، وفي المفصّل ثلاثٌ: سجدة «النجم»، وسجدة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وسجدةُ ﴿ٱقْرَأْ﴾؛ فالجميع خمس عشرة.

- **س:** ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هدى الأنبياء؛ يعني: وهو منهم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- **س: الراجح في شرع من قبلنا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصّحيح: أنّه شرعٌ لنا ما لم يأت شرعنا بخلافه، شرع من قبلنا

---

(١) لعلها في سجدة ص.

من الرّسل شرعٌ لنا، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ ما لم يأت شرعنا بخلافه.

• **س: عفا الله عنك، الكلام في تقديم آية السّجدة يترتّب عليها شيء، إذا قدّم أو أخّر قبلها آية أو بعدها آية إذا سجد في** ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الّذي ينبغي أن يتحرّى ما قاله العلماء في هذا؛ لأنّهم أعلم بهذا.

• **س: لو فعل هذا جاهلًا أو ناسيًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأمر في هذا واسعٌ ـ إن شاء الله ـ لكن تحرّي ما أوضحه أهل العلم مع مراعاة كمال الآيات المتعلقة بالموضوع، مثل: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٧، ٣٨]. بعض الناس يسجدون قبلها عند: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾، والأولى أن يتبعها بما بعدها، ثم السجود حتى يتم الكلام.

• **س: جميع السجدات جاء فيها حديثٌ مرفوعٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بعضها جاء فيها أحاديث مرفوعةٌ، وبعضها يتلقّى عن الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

• **س: ما في أحد جمع السجدات في رسالةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عبد العزيز بن محمّد السّدحان، جمع فيها رسالةً، قرأ عليّ منها جملةً وما بعد كمّلها، ما أتذكّر شيئًا عن الأوّلين ـ العلماء الماضين ـ ما أتذكّر شيئًا، لكن من أبنائنا الشّباب عبد العزيز، يكتب فيها الآن، جمع فيها ما تيسّر.

ومنها سجدة الأعراف وليس فيها حديثٌ مرفوعٌ ثابتٌ، فيها حديثٌ

ضعيفٌ، وإنّما تلقيت عن الصّحابة ﷺ تعدّ من السجدات عن ابن عبّاسٍ وابن عمر وجماعةٍ، وابن مسعودٍ ﷺ.

• **س: سجدة (ص) من أقوى ما ورد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

رواها البخاريّ رَحِمَهُ اللهُ، وفي السّنن أيضًا، أنّه سجد فيها عليه الصّلاة والسّلام سجدة (ص)، وسجدة يوم الجمعة، وهي سجدة سورة السجدة، وكذلك في «الصّحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّه سجد في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾، و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، وسجوده في النجم كذلك في «الصحيحين».

• **س: في إحدى المساجد سجدوا في سورة (ص)، فأفتاهم مفتٍ بأن يعيدوا الصلاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا غلطٌ؛ لأنّه قول بعض الفقهاء الحنابلة أنّها سجدة شكرٍ، وأنّها تبطل الصّلاة. وهذا غلطٌ قبيحٌ، الله المستعان.

• **س: سجدة «ص» في الصّلاة وغيرها أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الصواب، النّبيّ سجد فيها اللّهمّ صلّ عليه وسلّم. رواه البخاريّ في «الصّحيح»(١).

• **س: أحسن الله إليك: المميز دون البلوغ هل يقطع الخلوة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الأحوط ألّا يكتفى به، لا بدّ من ممّن يهاب حتّى يتقى من وجوده الشّرّ، المشهور عند العلماء أنّه البالغ.

*

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة ص برقم (٤٨٠٧).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩١ ـ ٩٢][1].

يقول تعالى: وما عظموا الله حق تعظيمه، إذ كذبوا رسله إليهم، قال ابن عباس، ومجاهد، وعبد الله بن كثير: نزلت في قريش. واختاره ابن جرير، وقيل: نزلت في طائفة من اليهود؛ وقيل: في فنحاص رجل منهم، وقيل: في مالك بن الصيف.

﴿قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾ والأول هو الأظهر؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش ـ والعرب قاطبة ـ كانوا يُبعدون إرسال رسول من البشر، كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ [يونس: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤، ٩٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والآية عامة تعم قريشًا وغيرهم، كل من قال هذه المقالة: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾، يعم جميع الكفرة، الذين قالوا هذا المقالة من قريشٌ وغيرها، ما عظموا الله حق تعظيمه،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الأربعاء ٨ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ.

وما قدروه حق قدره، إذ اتهموه بأنه أهمل الناس، وترك الناس على ضلالهم وعماهم من غير رسل ولا كتب؛ بل هذا من ظن السوء، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، فالواجب على كل المكلف، أن يعلم أن الله ﷻ أرسل الرسل، وأنزل الكتب وأقام الحجة وقطع المعذرة، وأن الواجب على جميع المكلفين أن يتفقهوا وأن يتعلموا وأن يسألوا، ولو بالرحلة من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد حتى يتفقهوا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال هاهنا: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾؟ أي: قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله، في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، يعني: التوراة التي قد علمتم ـ وكل أحد ـ أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورًا وهدى للناس؛ أي: ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدى بها من ظلم الشبهات.

وقوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾؛ أي: يجعلها حَمَلَتُها قراطيس؛ أي: قِطَعًا يكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديهم ويحرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويتأولون، ويقولون: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩]؛ أي: في كتابه المُنزل، وما هو من عند الله؛ ولهذا قال: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾.

وقوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾؛ أي: ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق، ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك أنتم ولا آباؤكم.

قال قتادة: هؤلاء مشركو العرب. وقال مجاهد: هذه للمسلمين.

وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي:

قل: الله أنزله. وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة، لا ما قاله بعض المتأخرين، من أن معنى ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا يكون خطاب لهم إلا هذه الكلمة، كلمة: «الله».

وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرًا بكلمة مفردة من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها.

وقوله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾؛ أي: ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون، حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة، أم لعباد الله المتقين؟.

وقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني: مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من أحياء العرب، ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**أعطيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنّ أحد من الأنبياء قبلي**» وذكر منهن: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً، وبعثت إلى الناس عامة**»(١)؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: كل من آمن بالله واليوم الآخر آمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآن، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾؛ أي: يقومون بما افترض عليهم، من أداء الصلوات في أوقاتها.

*

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟...﴾ برقم (٣٣٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب برقم (٥٢١).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٣ ـ ٩٤][(١)].

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: لا أحد أظلم ممن كذب على الله، فجعل.

له شريكًا أو ولدًا، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يكن أرسله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ قال عِكْرِمة وقتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب لعنه الله.

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتريه من القول، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]، قال الله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: في سكراته وغمراته وكُرُباته، ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بالضرب كما قال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ الآية [المائدة: ٢٨]، وقال: ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ الآية [الممتحنة: ٢].

وقال الضحاك، وأبو صالح: ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بالعذاب.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتُضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنَّكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمٰن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾؛ أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله.

وقد وردت أحاديث متواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر، وهي مقررة عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقد ذكر ابن مَرْدُوَيه هاهنا حديثًا مطولًا جدًّا من طريق غريبة، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعًا، فالله أعلم

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: يقال لهم يوم معادهم هذا، كما قال: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الكهف: ٤٨]؛ أي: كما بدأناكم أعدناكم، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه، فهذا يوم البعث.

وقوله: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾؛ أي: من النعم والأموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس».

وقال الحسن البصري: يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَج فيقول الله ﷻ له: أين ما جمعت؟ فيقول يا رب، جمعته وتركته أوفر ما كان، فيقول: فأين ما قدمت لنفسك؟ فلا يراه قدم شيئًا، وتلا هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدار الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، ظانين أن تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثَمَّ معاد، فإذا كان يوم القيامة تقطعت الأسباب، وانزاح الضلال، وضل عنهم ما كانوا يفترون، ويناديهم الرب ﷻ، على رؤوس الخلائق: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ﴾ [الأنعام: ٢٢] وقيل لهم: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢، ٩٣]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾؛ أي: في العبادة، لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قُرئ بالرفع، أي شملكم، وقُرئ بالنصب؛ أي: لقد انقطع ما بينكم من الوُصُلات والأسباب والوسائل ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾؛ أي: وذهب عنكم ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ من رجاء الأصنام، كما قال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقال: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ الآية [القصص: ٦٤]،

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢ ـ ٢٤]، والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ **[الأنعام: ٩٥ ـ ٩٧]**(١).

يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى؛ أي: يشقه في الثرى فتنبت الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب، والثمار على اختلاف أشكالها وألوانها وطعومها من النوى؛ ولهذا فسّر قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ بقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾؛ أي: يخرج النبات الحي من الحب والنوى، الذي هو كالجماد الميت، كما قال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٥].

وقوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ معطوف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ ثم فسَّره ثم عطف عليه قوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ وقد عبروا عن هذا [وهذا] بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى، فمن قائل: يخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، من قائل: يخرج الولد الصالح من الكافر، والكافر من الصالح، وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الأربعاء ١٥ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فاعل هذه الأشياء هو الله وحده لا شريك له ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥﴾؛ أي: فكيف تصرفون من الحق وتعدلون عنه إلى الباطل فتعبدون مع الله غيره.

وقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾؛ أي: خالق الضياء والظلام، كما قال في أول السورة: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح، فيضيء الوجود، ويستنير الأفق، ويضمحل الظلام، ويذهب الليل بدآدئه وظلام رواقه، ويجيء النهار بضيائه وإشراقه، كما قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]، فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه، فذكر أنه فالق الإصباح وقابل ذلك بقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾؛ أي: ساجيًا مظلمًا تسكن فيه الأشياء، كما قال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١، ٢]، وقال ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]، وقال: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٣، ٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا: البيان أنه ﷻ المتصرف في خلقه والمدبر لهم، وأنه المستحق لأن يعبد، فينبه عباده على نعمه العظيمة، وآياته العظيمة، من كونه فالق الحب والنوى، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، كل هذا من آياته العظيمة، الدالة على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، فالواجب: أن يُعبد وحده لا شريك له، وأن يطاع أمره، وأن تتبع رسله، وأن يحذر ما نهى عنه؛ لأنه أعلم بمصالح عباده؛ ولأنه مستحق لأن يعظم، ويطاع أمره، فالذي فعل هذه الأشياء، وأوضح لكم هذه الأشياء، هو المستحق لأن تعبدوه وتطيعوه وتتبعوا رسله وتنقادوا لشرعه؛ حتى تفوزوا بنعيمه وجنته وكرامته، الله المستعان!

مداخلة: عفا الله عنك! صحيح تفسير: يخرج الولد الصالح من الكافر؟

الشيخ: الكافر بمنزلة الميت، والمسلم بمنزلة الحي، لكن الأمر الحسي: البيضة من الدجاجة، البيضة في حكم ميتة جماد، والدجاجة حي، والعكس، هذه البيضة الميتة التي في حكم الموت يخرج منها الفرخ الصغير.

● **س: عفا الله عنك! هذا ما يخالف قول: «إن لنفسك عليك حق، ولأهلك عليك حق»؟**

○ **الجواب**: لا، الصواب ما أمر به النبي ﷺ، الإنسان يأخذ من الليل قسطًا، ويجعل بقيته مع أهله، **«إن لأهلك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولضيفك عليك حقًّا، ولبدنك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه»**[(١)]، ما يسهر.

مداخلة: ويكون هذا من اجتهاد صهيب رضي الله عنه؟

الشيخ: من اجتهاده رضي الله عنه، وعفا الله عنه! مثلما قال بعض الصحابة، لما سألوا عن أعمال النبي ﷺ في السر، وأخبروا بها كأنهم تقالُّوها، فقال بعضهم: أما أنا فأصلي ولا أنام، وقال آخر: وأما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: وأما أنا فلا أتزوج النساء، وقال آخر: أما أنا لا آكل اللحم، فبلغ النبي ﷺ، وخطب الناس وذكرهم، وقال: **«ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله، وأخشاكم له، وإني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[(٢)]، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ٦٣ برقم (٢٤١٣).

(٢) سبق تخريجه في (٧/ ٤٤٤).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لامرأته وقد عاتبته في كثرة سهره: إن الله جعل الليل سكنًا إلا لصهيب، إن صهيبًا إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه، رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾؛ أي: يجريان بحساب مقنن مقدر، لا يتغير ولا يضطرب؛ بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولًا وقصرًا، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ الآية [يونس: ٥]، وكما قال: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وقال: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾؛ أي: الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وكثيرًا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر، يختم الكلام بالعزة والعلم، كما ذكر في هذه الآية، وكما في قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٧، ٣٨].

ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيهن في أول سورة ﴿حمٓ﴾ السجدة، قال: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال بعض السلف: من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب

على الله: أن الله جعلها زينة للسماء ورجومًا للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

وقوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: قد بينَّاها ووضَّحناها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾؛ أي: يعقلون ويعرفون الحق ويجتنبون الباطل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل هذا من آياته ﷻ، في إقامته الحجة، وقطع المعذرة، فالذي خلق هذه الأشياء ونظمها ودبرها لمصالح عباده؛ هو المستحق لأن يعبد، وأن يطاع أمره، وأن يجتنب نهيه، وأن يوقف عند حدوده؛ رجاء رحمته وإحسانه، وحذر غضبه وعقابه. نعم، الله المستعان!

الملقي: أحسن الله إليك! ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾.

الشيخ: بركة، سم، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: الله المستعان!

- **س: الساتر من أسماء الله**

○ **الجواب**: جاء في الحديث: (ستِّير)، أما ساتر ما بلغني، جاء: **«إن ربكم حي ستير يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه يردهما صفرًا»**، وهو لا بأس به. رواه أبو داود[(١)] والجماعة.

مداخلة: لكن.

○ **الجواب**: صيغة مبالغة.

مداخلة: لكن من حيث المعنى.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥٥٦)، وابن ماجه، باب رفع اليدين في الدعاء برقم (٣٨٦٥).

الشيخ: ومن حيث المعنى هو الساتر، وهو الستار من حيث المعنى، لكن ما أعرف ورد في شيء من الأحاديث، وذلك لأنه في المعنى هو الستار، وهو الساتر سبحانه وتعالى.

❊

تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٨ ـ ٩٩](١).

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء: ١].

وقوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ اختلفوا في معنى ذلك، فعن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي عبد الرحمٰن السلمي، وقيس بن أبي حازم ومجاهد، وعطاء، وإبراهيم النخعي، والضحاك وقتادة والسُّدِّي، وعطاء الخراساني: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾؛ أي: في الأرحام قالوا ـ أو: أكثرهم ـ: ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾؛ أي: في الأصلاب.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه وطائفة عكسه، وعن ابن مسعود أيضًا وطائفة: فمستقر في الدنيا، ومستودع حيث يموت. وقال سعيد بن جُبَيْر:

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في فجر الأحد ١٩ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ.

﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الأرحام وعلى ظهر الأرض، وحيث يموت. وقال الحسن البصري: المستقر الذي [قد] مات فاستقر به عمله. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ومستودع في الدار الآخرة.

والقول الأول هو الأظهر، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى أن الله جل وعلا خلق العباد من نفس واحدة وهي آدم عليه الصلاة والسلام، وانتشر هذا العالم من هذه النفس الواحدة، وهذه من آيات الله عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ جل وعلا [يس: ٨١]، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]، مستقر: في أرحام النساء، ومستودع: في أصلاب الرجال، أو العكس، هذا هو الأظهر، والله أعلم كما قال المؤلف، فجعل الذرية التي هي لهذه النفس في أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات طبقة بعد طبقة وقرنًا بعد قرن، يُخلق النطفة في الرجل وفي المرأة ثم يجمع بينهما في رحمها، فالأصل صلب الرجل وترائب المرأة ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٧]، فالله خلق هذا النسل وهذا العالم من هذه النفس الواحدة، ثم جعل النسل من ماء الرجل وماء المرأة إلى يوم القيامة، ما عدا عيسى عليه الصلاة والسلام فإن الله خلقه من أنثى بلا ذكر خاصة، وما سواه فمن ذكر وأنثى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالناس أقسام أربعة: قسم لا من ذكر ولا من أنثى وهو آدم، خلقه الله من تراب، ليس من ذكر ولا أنثى، القسم الثاني: من ذكر وليس من أنثى وهي حواء، خلقها الله من آدم من ذكر: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، القسم الثالث: من أنثى بلا ذكر وهو عيسى عليه الصلاة والسلام، والقسم الرابع: بقية الناس، من ذكر وأنثى، جميع بني آدم من ذكر وأنثى ما عدا هذه الأقسام الثلاثة: آدم من تراب، وحواء من

ذكر، وعيسى من أنثى، وما سوى ذلك من ذكر وأنثى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، خلقهم ليعبدوه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فجدير بك يا عبد الله، وجدير بكل أمة من إماء الله التدبر لهذا الأمر والتعقل لهذا الأمر، والاستعداد للآخرة والحذر من الركون إلى الدنيا، وأن يستقيم على ما خُلق له وأُمر به من توحيد الله وطاعته، وأن يحذر الركون إلى الدنيا وشهواتها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾؛ أي: يفهمون ويَعُون كلام الله ومعناه.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾؛ أي بقدر مباركًا، رزقًا للعباد وغياثًا للخلائق، رحمة من الله لخلقه ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾؛ أي: زرعًا وشجرًا أخضر، ثم بعد ذلك يخلق فيه الحب والثمر؛ ولهذا قال: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾؛ أي: يركب بعضه بعضًا، كالسنابل ونحوها ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾؛ أي: جمع قِنو وهي عُذُوق الرّطب ﴿دَانِيَةٌ﴾؛ أي: قريبة من المتناول، كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي، عن ابن عباس: ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾، يعني بالقنوان الدانية: قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض. رواه ابن جرير.

قال ابن جرير: وأهل الحجاز يقولون: قِنْوان، وقيس يقولون: قُنْوان، وقال امرؤ القيس:

فَـأَثَّـت أعـالـيـه وآدت أصـولـهُ ... ومَـالَ بقنْوانٍ من البُسر أحْمَرَا

قال: وتميم يقولون قُنْيَان بالياء ـ قال: وهي جمع قنو، كما أن صنوان جمع صنو وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾؛ أي: ونخرج منه جنات

من أعناب، وهذان النوعان هما أشرف عند أهل الحجاز، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا، كما امتن تعالى بهما على عباده، في قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، وكان ذلك قبل تحريم الخمر.

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ [يس: ٣٤].

وقوله: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ قال قتادة وغيره: يتشابه في الورق، قريب الشكل بعضه من بعض، ويتخالف في الثمار شكلًا وطعمًا وطبعًا.

وقوله: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾؛ أي: نضجه، قاله البراء بن عازب، وابن عباس، والضحاك، وعطاء الخراساني، والسُّدِّي، وقتادة، وغيرهم. أي: فكروا في قُدْرة خالقه من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حَطَبًا صار عِنبًا ورُطَبًا وغير ذلك، مما خلق تعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح، كما قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كلها آيات، ما خلقه الله للعباد من الحبوب والثمار المتنوعة كلها من آياته العظيمة الدالة على قدرته العظيمة، وأنه مستحق أن يُعبد جَلَّ وَعَلَا، فهذه الأعناب وهذه الأنواع من الفواكه من الرمان والتين والخوخ والزيتون وغير هذا من الأنواع التي لا نعلمها كلها من فضله جَلَّ وَعَلَا وإحسانه. فجدير بكل مكلف: أن يعبد الله وحده، وأن يستعين بنعم الله على طاعته، وأن يحذر صرف هذه النعم فيما يسخط مولاه جَلَّ وَعَلَا الذي خلقه وخلق له هذه النعم، ليستعين بها في شئون الحياة، وليستعين بها على طاعة ربه وعبادته، فليحذر أن تكون هذه النعم عونًا له على ما فيه

هلاكه، ليحذر وليحرص أن تكون هذه النعم عونًا له على طاعة ربه، وعلى أسباب النجاة.

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ: اسم حواء يا شيخ: هل ورد فيه شيء غير الروايات الإسرائيلية؟

الشيخ: الله أعلم.

مداخلة: ما ورد في البخاري: (لولا حواء لم تخن أنثى زوجها).

○ **الجواب**: نعم نعم نعم؛ بل صحيح، اسمها يعني، قصدك اسم حواء، ثابت في النص.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال هاهنا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾؛ أي: دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾؛ أي: يصدقون به، ويتبعون رسله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا شك أن هذا فيه آيات بينات؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]، فيها دلائل هذه المخلوقات من النخيل والأعناب والزيتون والرمان، وسائر الزروع والأشجار كلها من آيات الله العظيمة الدالة على قدرته العظيمة وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يعبد، فالقادر على هذه الأشياء هو المستحق لأن يعبد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. أخرج لعباده هذه الأرزاق الكثيرة، وهذه النعم العظيمة، فضلًا منه وإحسانًا، وقد عمها بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

أما من لا يؤمن ولا يفكر فهو مثل البهيمة لا يعقل شيئًا، كما قال تعالى عن هؤلاء: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا

﴿كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان: ٤٤]، (إِنْ) نافية، يعني: ما هم إلا كالأنعام، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، لا يعقلون شيء ولا يفهمون، كالبهائم الراعية السائبة تأكل وتشرب وتنكح، وليس عندها شيء غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، يعني: أردى وأضل من البهيمة، أغلب الكفرة بل الكفرة كلهم على هذا السبيل؛ أضل من الأنعام؛ ولهذا بعدوا عن الهداية ولم يستجيبوا لداعي الحق، لما وقع في قلوبهم من القسوة والجفاء والإعراض، حتى أشبهوا من لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق، نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك! هل يطلق على الكفار: عقلاء؟

الشيخ: عقلاء في أمر الدنيا، في أمور دنياهم وبيعهم وشرائهم، أعطاهم الله حجة عليهم؛ لكن لا يعقلون فيما يتعلق بالآخرة، ولو عقلوا لآثروا الآخرة.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٠][(١)].

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا في عبادة الله أن عبدوا الجن، فجعلوهم شركاء الله في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الأربعاء ٢٢ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ. ومغرب الأحد ٢١ ـ ٥ ـ ١٤١٣هـ.

فإن قيل: فكيف عُبدت الجن وإنما كانوا يعبدون الأصنام؟

○ **فالجواب**: أنهم إنما عبدوا الأصنام عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك، كما قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١١٧ ـ ١٢٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى أن الجن زينت لهم عبادة الأصنام والأوثان وغرَّتهم، وربما كلمتهم حتى ظنوا أن الأصنام كلمتهم، كما كان يقع ذلك عند العزَّى واللات ومناة، ولهذا قال جَلَّ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فالجن هي التي زينت لهم الشرك، وزينت لهم الباطل ودعتهم إليه، فهم في الحقيقة عبدوهم من دون الله، وإلا فالأصنام جماد، الأصنام والأشجار والنجوم وأشباهها جماد ليس في أيديها شيء، لا حل ولا عقد ولا كلام، ولكن الشياطين تكلمهم وتزين لهم وتدعوهم، فنسبت العبادة إليهم. نسأل الله العافية. وهذا هو الواقع عند المشركين، ولهذا لما هجم خالد على العزى يوم الفتح أمره الرسول ﷺ أن يرجع قال: حتى ما قتلتها، فرجع فإذا جنية ناثرة شعرها، فعمها بالسيف فقتلها.

المقصود: أن الشياطين زينت لهم الباطل ودعتهم إلى الشرك مع اللات والعزى، ومع غيرهما من الأصنام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال إبراهيم لأبيه: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٢ ـ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١]، وتقول الملائكة يوم القيامة: ﴿سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ﴾؛ أي: وقد خلقهم، فهو الخالق وحده لا شريك له، فكيف يعبد معه غيره، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿...أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

ومعنى الآية: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المستقل بالخلق وحده؛ فلهذا يجب أن يُفْرَد بالعبادة وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولدًا، كما يزعم من قاله من اليهود في العُزير، ومن قال من النصارى في المسيح وكما قال المشركون من العرب في الملائكة: إنها بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا۟﴾؛ أي: واختلقوا وائتفكوا، وتخرّصوا وكذبوا، كما قاله علماء السلف. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَخَرَقُوا۟﴾، يعني: أنهم تخرصوا.

وقال العوفي عنه: ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ قال: جعلوا له

بنين وبنات. وقال مجاهد: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ قال: كذبوا. وكذا قال الحسن. وقال الضحاك: وضعوا، وقال السُّدِّي: قطعوا.

قال ابن جرير: فتأويل الكلام إذًا: وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياه، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا ظهير ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ يقول: وتخرصوا لله كذبًا، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلًا بالله وبعظمته، وأنه لا ينبغي إن كان إلهًا أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك.

ولهذا قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾؛ أي: تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد، والنظراء والشركاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا معنى كون الربوبية، كون توحيد الربوبية حجة في إثبات توحيد الإلهية والعبادة، لأنه سبحانه هو الخالق الرازق المدبر المحيي والمميت، فوجب أن يعبد وحده لا شريك له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال هنا: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، (خَلَقَهُمْ) يقول: هو الخالق لهم ثم يعبدون معه سواه، فالواجب على من هو مخلوق مربوب أن يعبد الخالق الذي خلقه ورباه وأنعم عليه وأحسن إليه، إذ هو صاحب النعمة، ولهذا استحق العبادة دون كل ما سواه جَلَّ وَعَلَا.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أنه سبحانه أنكر عليهم عبادة الجن، لأن عبادتهم للأصنام والأولياء والأشجار والأحجار والأنبياء، كلها جاءت من تزيين الشياطين ودعوتهم وتلبيسهم، فهم في الحقيقة عبدوا الجن لأنها المزينة لهذا الباطل والداعية إليه، فلهذا نسب الأمر إليهم، والمراد شياطين

الجن، لأنهم هم الذين دعوا إلى الباطل وزينوه، وهكذا قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، يعني: الشياطين الذين زينت الشرك وسائر المعاصي، وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، والآية الأخرى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. فالحاصل: أن شياطين الإنس والجن هم الذين زينوا الشرك لعباد الأوثان والأصنام وعباد الملائكة وغيرهم، شياطين الإنس دعوهم بالصراحة باللسان أو بالكتب وبغير هذا، وشياطين الجن بالتزيين والوسوسة، وما يقع منهم في الأصنام، وكونها تكلمهم ويسمعون منها الصوت، كله من الجن وشياطين الجن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ومعنى الآية: أنه ﷻ هو المستقل بالخلق وحده، فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له].

❋ ❋

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ **[الأنعام: ١٠١]**[1].

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مبدع السموات والأرض وخالقهما ومنشئهما ومحدثها على غير مثال سبق، كما قال مجاهد والسُّدِّي. ومنه سميت البدعة بدعة؛ لأنه لا نظير لها فيما سلف.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾؛ أي: كيف يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟ أي: والولد إنما يكون متولدًا عن شيئين متناسبين، والله لا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فجر الأربعاء ٢٢ - ١١ - ١٤١٩هـ.

يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٨٩].

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء، وأنه بكل شيء عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه؟ وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنه تسمية... الجديد: بدع أو: بديعة، يعني: الآن منشأة جديدة، وهم ابتدعوا ما وقعوا فيه من الشرك وأحدثوه بغير علم ولا حجة، بل للهوى وتزيين الشياطين، والحظوظ العاجلة التي قد يحصل لهم منها شيء، تزيين دعاة الباطل، فليس هناك حجة ولا دليل إلا مجرد ابتداع واختراع، لا سلطان لهم فيه، ولا سلف لهم فيه إلا أهواؤهم وتزيين الشيطان لهم. وكان أول من فعل هذا قوم نوح، هم أول من اختلقوا الشرك وفعلوه، ثم تابعتهم الأمم بعد ذلك، وكان الناس في عهد آدم وما بعده على التوحيد والإيمان، حتى وقع الشرك في قوم نوح بسبب شركهم في الصالحين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فأصل الشرك ابتداع وإحداث لا أساس له، والبدعة سمِّيت بدعة في الدين؛ لأنها محدثة لا أصل لها في الشرع، بل اختلقها من اختلقها وأوجدها من أوجدها على غير أساس. فـ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٠١]، يعني: مبدعها ومنشؤها على غير مثال سابق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ ـ ١٠٣][(١)].

يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾؛ أي: الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ فاعبدوه وحده لا شريك له، وأقروا له بالوحدانية، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾؛ أي: حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه، ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ فيه أقوال للأئمة من السلف:

أحدها: لا تدركه في الدنيا، وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن، كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمدًا أبصر ربه فقد كذب. وفي رواية: على الله، فإن الله يقول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عَيَّاش، عن عاصم بن أبي النَّجُود، عن أبي الضحى، عن

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الأربعاء ٢٢ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ.

وكان هذا آخر درس لسماحته رحمه الله في الجامع الكبير بالرياض، وكان من عادة سماحته رحمه الله السفر لمكة لأداء فريضة ولم يسافر رحمه الله تلك السنة بسبب المرض ولكنه سافر بعد الحج لمكة ثم الطائف ومات بها في فجر الخميس ٢٠/ محرم من عام ١٤٢٠، وصلى سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله صلاة الجنازة بأسرة الشيخ رحمه الله في منزله بمكة المكرمة ثم نقل جثمان الشيخ إلى المسجد الحرام وصلي عليه في المسجد الحرام وأمَّ المصلين فضيلة الشيخ محمد السبيل رحمه الله، وكان في مقدمة المصلين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله والأمراء وجمع غفير من المسلمين رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به =

مسروق. ورواه غير واحد عن مسروق، وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة غير وجه وقد خالفها ابن عباس، فعنه إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين. والمسألة تذكر في أول «سورة النجم» إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب أنه لم يره أحد في الدنيا، وإنما رأى النبي ﷺ نورًا فقال: «**رأيت نُورٌ، أنى أَرَاهُ**»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**تَعَلَّمُوا أَنهُ لَنْ يرى أَحَدٌ مِنْكمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**»(٢)، ولما طلب موسى الرؤية قال الله له: ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

المقصود: أنه سبحانه لا يرى في الدنيا ولكن يرى في الآخرة، يراه المؤمنون في الآخرة يوم القيامة وفي الجنة، أما هذه الدار فهي دار العمل، دار الابتلاء والامتحان وليست دار النعيم. والرؤية من النعيم، فلا يرى إلا في الآخرة، ولهذا قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يعني: لا تحيط به، وإن رأته في الآخرة فهي تراه من غير إحاطة، يرونه من غير أن يحيطوا به ﷻ، وأما في الدنيا فلا يرى بالكلية، وفي الآخرة يرى ولكن من دون إحاطة.

● **س: أحسن الله إليك. قول النبي عليه الصلاة والسلام: «رأيت ربي في أحسن صورة»**.

○ **الجواب**: رؤية المنام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: ذكر محمد بن مسلم، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِي، حدثنا يحيى بن مَعِين قال: سمعت إسماعيل بن عُلَيَّة يقول في

= في دار كرامته ومستقر رحمته. وكانت جنازته مشهودة.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «**نور أنى أراه**»، وفي قوله: **ررأيت نورًا**» برقم (٢٩١ - ٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد وساقه بعد حديث رقم (٢٩٣١).

قول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ قال: هذا في الدنيا. قال: وذكر أبي، عن هشام بن عبيد الله أنه قال نحو ذلك.

وقال آخرون: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: جميعها، وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة.

وقال آخرون، من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة. فخالفوا أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله. أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى عن الكافرين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

قال الإمام الشافعي: فدل هذا على أن المؤمنين لا يُحْجَبُون عنه تبارك وتعالى.

وأما السُّنَّة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصُهَيْب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا محل إجماع، أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على أنه يرى سبحانه في الجنة وفي الموقف، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] خلافًا للمعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! عرصات ما الذي يدخل.

الشيخ: عرصة القيامة قبل الصراط يعني.

● **س: أحسن الله إليك! إنكار الرؤية كفر؟**

○ **الجواب:** نسأل الله العافية. تكذيب لله ولرسوله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل: المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: العقول. رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين، عن الفلاس، عن ابن مهدي، عن أبي الحصين يحيى بن الحصين قارئ أهل مكة أنه قال ذلك. وهذا غريب جدًّا، وخلاف ظاهر الآية، وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب أنهما قولان، **أحدهما**: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يعني: لا تحيط به، وإن رأته في الآخرة لكن لا تحيط به، هو أجل وأعظم من أن تحيط به أبصار الخلق. **والقول الثاني**: أن معنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ لا تراه يعني في الدنيا خاصة، وأما في الآخرة فيراه المؤمنون. هذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة: أن الآية تفسر بأنه لا يرى في الدنيا، وأنه يرى في الآخرة لكن من دون إحاطة؛ بل يرون وجهه الكريم ولكن لا يحيطون به رؤية كما لا يحيطون به علمًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مداخلة: والأقرب من القولين هذا يا شيخ؟!

الشيخ: نعم.

مداخلة: أقول: الأقرب..؟

الشيخ: كلها صحيحة، كل القولين صحيحة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال آخرون: لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك، فإن الإدراك أخص من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، فالترائي شيء والإدراك شيء. ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١،

٦٢]، فالإدراك: الإحاطة، غير مجرد الرؤية، فالإنسان قد يرى الشيء من بعيد ولكن لا يدركه على التمام حتى يقرب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي، ما هو؟ فقيل: معرفة الحقيقة، فإن هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون، كما أن من رأى القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته، فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى.

وقال آخرون: المراد بالإدراك الإحاطة. قالوا: ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وفي صحيح مسلم: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» ولا يلزم منه عدم الثناء، فكذلك هذا.

قال العَوْفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ قال: لا يحيط بصر أحد بالملك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعة، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد، حدثنا أسباط عن سماك، عن عِكْرِمة، أنه قيل له: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؟ قال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى. قال: فكلها ترى؟[1].

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ هو أعظم من أن تدركه الأبصار[2].

وقال ابن جرير: حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا خالد بن عبد الرحمٰن، حدثنا أبو عرفجة، عن عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، قال: هم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد به.

ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم. فذلك قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾(١).

ورد في تفسير هذه الآية حديث. رواه ابن أبي حاتم هاهنا، فقال:

حدثنا أبو زرعة، حدثنا مِنْجَاب بن الحارث السهمي، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ قال: «**لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فَنُوا صُفّوا صفًا واحدًا، ما أحاطوا بالله أبدًا**»(٢). غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه، ولم يروِه أحد من أصحاب الكتب الستة، والله أعلم.

وقال آخرون في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ بما رواه الترمذي في جامعه، وابن أبي عاصم في كتاب «السُّنَّة» له، وابن أبي حاتم في تفسيره، وابن مَرْدُوَيه أيضًا، والحاكم في مستدركه، من حديث الحكم بن أبان قال: سمعت عِكْرِمة يقول: سمعت ابن عباس يقول: رأى محمد ربه تبارك وتعالى. فقلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ الآية؟ فقال لي: «لا أم لك. ذلك نوره، الذي هو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء». وفي رواية: «لا يقوم له شيء»(٣).

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده أبو عرفجة وهو عمير بن عرفجة الكوفي، سكت عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وسنده ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم برقم (٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم (السنة برقم ٤٣٧)، وابن أبي حاتم والحاكم (المستدرك ٢/ ٣٠٦)، وفي سنده الحكم بن أبان صدوق له أوهام كما في (التقريب ص١٧٤)، وله شاهد من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب قول ﷺ نور أنَّى أراه برقم (١٧٨) ويشهد له أيضًا الحديث التالي.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وفي معنى هذا الأثر ما ثبت في الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ أو: النار ـ لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[(١)]، وفي الكتب المتقدمة: إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية: يا موسى، إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده. أي: تدعثر. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ونفي هذا الأثر الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء. فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه ـ تعالى وتقدس وتنزه ـ فلا تدركه الأبصار؛ ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا، وتحتج بهذه الآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ فالذي نفته الإدراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه، فإن ذلك غير ممكن للبشر، ولا للملائكة ولا لشيء.

وقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ أي: يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه؛ لأنه خلقها كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقد يكون عبَّر بالأبصار عن المبصرين، كما قال السُّدِّي في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾

لا يراه شيء وهو يرى الخلائق.

---

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٥٨١).

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ اللطيف باستخراجها، الخبير بمكانها. والله أعلم.

وهذا كما قال تعالى إخبارًا عن لقمان فيما وعظ به ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة كلاهما صحيح، لا تحيط به في الدنيا ولا في الآخرة، ولكنها تراه في الآخرة، الرؤية في الآخرة، والإحاطة لا في الدنيا ولا في الآخرة. نعم. هو أجل أعظم من أن تحيط به أبصار خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والصواب: أن معنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ أي: لا تراه في الدنيا؛ كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أو المعنى: لا تحيط به، وإن رأته يوم القيامة وفي الجنة فإنها لا تحيط به، هذا أصح ما قيل في معنى الآية معنيان: **أحدهما**: أن المراد في الدنيا، لا تدركه في الدنيا، كما تأولت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذلك. **المعنى الثاني**: أنها لا تحيط به، وإن رأته لكنها لا تحيط به، فهو أجل وأعظم من أن تحيط به أبصار خلقه. والرؤية أعم من الإدراك، والإدراك أخص، فلا يلزم من إثبات الأعم إثبات الأخص، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشعراء: ٦١]؛ أي: جمع بني إسرائيل الذي مع موسى وجمع آل فرعون، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، فأخبر سبحانه أن الإدراك غير الرؤية غير التراءي. كذلك فلما ﴿أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠]، غير رؤية البحر والتحام البحر عليهم أدركه الغرق، يعني: قضى عليه واستحوذ عليه الغرق، فالإدراك أخص من الرؤية، فهو نفى سبحانه الإدراك ممن يحيطون به عَزَّ وَجَلَّ، ولكنهم يرون وجهه الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما يشاء جَلَّ وَعَلَا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه. أما بعد: فإن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة أمر مجمع عليه بين أهل السنة والجماعة، قد دل عليها كتاب الله الكريم، وقد تواترت به السنة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد أنكر ذلك من حجب الله قلبه عن الهدى كالمعتزلة والجهمية ومن سلك مسلكهم في إنكار رؤية الله عَزَّوَجَلَّ. وهذا من أبطل الباطل، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، (ناضرة) جميلة بهية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ تنظر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. ثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله)، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]، يعني: إلى ربهم عَزَّوَجَلَّ. قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، يعني: الكفار، فإذا كان الكفار محجوبين عن الله، فمن ينظر؟ هم المؤمنون، حجب الكفار دليل على أن أهل الإيمان غير محجوبين. ولهذا قال المؤلف: وتواترت السنة، قد ذكر الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المؤلف في النهاية في كتابه النهاية من البداية نحو ثلاثين حديثًا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات الرؤية، أن المؤمنين يرون ربهم جَلَّ وَعَلَا في عرصات القيامة وفي الجنة، يرونه سبحانه في العرصات كما يشاء، ويرونه في الجنة كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك أعلى نعيمهم في الجنة النظر إلى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢][1].

حفيظٌ، ومحيطٌ به، ﴿قُبُلًا﴾ [١١١]: جمع قبيلٍ، والمعنى أنه: ضروبٌ للعذاب كل ضربٍ منها قبيلٌ، ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ [١١٢]: كل شيءٍ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (٨).

حسَّنته، ووشَّيته، وهو باطلٌ، فهو زخرفٌ، ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [١٣٨]: حرامٌ، وكل ممنوعٍ فهو حجرٌ محجورٌ، والحجر: كل بناءٍ بنيته، ويقال للأنثى من الخيلٍ: حجرٌ، ويقال للعقل: حجًا وحجرٌ، وأمّا الحجر فموضع ثمود، وما حجّرت عليه من الأرض فهو حجرٌ، ومنه سمّي حطيم البيت حجرًا، كأنّه مشتقٌّ من محطومٍ، مثل قتيلٍ من مقتولٍ، وأمّا حجر اليمامة فهو منزلٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو الحجا وهو الحجر أيضًا «**حَتَّى يَشْهَدَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا**»(١)، من ذوي العقل والبصيرة والعلم «**ليليني منكم أولو الأحلام والنهى**»(٢)، والحجر أيضًا العقل.

تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ **[الأنعام: ١٠٤ - ١٠٥]**(٣).

البصائر: هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن، وما جاء

---

(١) أخرجه مسلم من حديث قتيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة برقم (١٠٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصلاة، باب من يستحق أن يلي الإمام في الصف وكراهية التأخر برقم (٦٧٤)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء ليلتين منكم إلخ برقم (٢٢٨)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب من يستحق أن يلي الإمام برقم (٩٧٦)، والنسائي في كتاب الإمامة، باب ما يقول الإمام إذا تقدم في تسوية الصفوف برقم (٨١٢).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٢٨ - ٥ - ١٤١٣هـ، ومغرب الأحد ٥ - ٦ - ١٤١٣هـ.

به الرسول ﷺ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ مثل قوله: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥]؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ لما ذكر البصائر قال:

﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: فإنما يعود وبال ذلك عليه، كقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾؛ أي: بحافظ ولا رقيب، بل أنا مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الآية الكريمة الحث على الاستفادة من كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، والتدبر لما قاله الله ورسوله والعمل بذلك، فإنه أنزل للتبصير والتوجيه والتذكير والتعليم، فالواجب على المكلفين أن يهتموا بهذا الأمر، وأن يستفيدوا من تعاليم ربهم وتذكيره وتبصيره لهم، وألا يغفلوا ويعرضوا كما أعرض من غضب الله عليه، ولهذا يقول ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤]؛ أي: بينات وحجج ودلائل تبصر من أراد الحق وترشده وتدله على الخير، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٠٤] مثل: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ أي: من أبصر وأخذ بالحق واعتمد على ما قاله الله ورسوله، فقد أحسن لنفسه ونفعها: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ولهذا يقول سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، الرسول ﷺ مبلغ، ليس بوكيل ولا حفيظ ولكنه مبلغ. فالواجب على المكلف من الرجال والنساء الحذر من التساهل والإعراض، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧]، يعني: ما أحد أظلم من هذا

الجنس. فالواجب على المكلف أن تكون له عناية بكتاب الله وما فيه من البصائر والحجج والبينات والدلائل على أسباب النجاة وأسباب الهلاك، وأن يحذر الإعراض والتساهل والغفلة، أن يصيبه ما أصاب أولئك الغافلين من الهلاك والدمار، يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، يعني: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ربنا ﷻ جعلهم أضل من البقر والإبل والغنم ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، هؤلاء هم الغافلون حقيقة، لأنهم لم ينتفعوا بأسماعهم ولا بأبصارهم ولا بعقولهم. وفي الآية الأخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ [الفرقان: ٤٤]: أكثر الناس، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، فما ينبغي للعاقل، لا يجوز للعاقل أن يرضى بمشابهة الأنعام، فكيف يرضى بأن يكون أضل منها؟!

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: وكما فصَّلنا الآيات في هذه السورة، من بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو، هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبيِّنها في كل موطن لجهالة الجاهلين، وليقول المشركون والكافرون المكذبون: دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم.

هكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، والضحاك، وغيرهم.

وقد قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن كيسان، سمعت ابن عباس يقرأ: (دارست) تلوتَ، خاصمتَ، جادلتَ.

وهذا كما قال تعالى إخبارًا عن كذبهم وعنادهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٤، ٥]، وقال تعالى إخبارًا عن زعيمهم وكاذبهم: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قراءة: درست، يعني: درست كتب الماضين، أو درست أقوال من أملى عليك، يعني: أن هذا ليس من عندك، وهذا من مكابرتهم وجهلهم وضلالهم وعنادهم، وإلا فهم يعلمون أنه أمي ما قرأ ولا كتب، نشأ بين أظهرهم ولم يقرأ ولم يكتب، وإنما يتلو عليهم ما جاءه من الله من الوحي، ولكن العناد يحمل أهله على شر المذاهب، والله صرف الآيات، والله صرف الحجج لقطع المعذرة وبيان كذب الكذابين، ولهذا قال بعد: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، فالكفار المعرضون المعاندون يبتغون الحيل للتكذيب، وهم مغلوبون مقهورون، وحجتهم داحضة عند ربهم لظهور فسادها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾؛ أي: ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه، والباطل فيجتنبونه. فلله تعالى الحكمة البالغة في إضلال أولئك، وبيان الحق لهؤلاء. كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ [وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾] [البقرة: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً

لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [المدثر: ٣١].

وقال [تعالى]: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى أنزل القرآن هدى للمتقين، وأنه يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء، ولهذا قال هاهنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ وقرأ بعضهم: (وَلِيَقُولُوا دَارسْتَ).

قال التميمي، عن ابن عباس: «درست» أي: قرأت وتعلمت. وكذا قال مجاهد، والسُّدِّي والضحاك، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، قال الحسن: «وَلِيَقُولُوا دَرَسْت»، يقول: تقادمت وانمحت. وقال عبد الرزاق أيضًا: أنبأنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، سمعت ابن الزبير يقول: إن صبيانًا يقرؤون هاهنا: «دَارَسْتَ»، وإنما هي: «دَرَسْتَ».

وقال شعبة: حدثنا أبو إسحاق الهمداني قال في قراءة ابن مسعود: «دَرَسَتْ» بغير ألف، بنصب السين ووقف على التاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

درست... الفعل ماضي وتاء التأنيث، درست يعني: الحجج الذي معهم، والأخبار الذي معه، أخذها عن الأوائل وقد درست وانتهى ومضى عليها الزمان، فلم يبق لها وجه، وهذا من جهلهم وضلالهم وعنادهم، وهم يعلمون أنه عليه الصلاة والسلام ليس بكاتب ولا أخباري وإنما ينزل عليه الوحي من ربه عَزَّ وَجَلَّ.

مداخلة: أحسن الله إليك: في نقص في الآية: ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج: ٥٣]، قال: ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ... ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: ٥٣] إلى قوله: ﴿...وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤].

الشيخ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [الحج: ٥٣].

مداخلة: إي، هذا مكتوب هكذا.

الشيخ: ماذا عندك؟

القاري: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤].

الشيخ: ماذا قبله؟

القاري: وكقوله تعالى: ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الحج: ٥٣]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤].

الشيخ: هذه غير تمام الآية.

مداخلة: . . .

الشيخ: كذا عندكم؟

مداخلة: لعلها التي بعدها الله يحسن إليك.

مداخلة: تمام التي بعدها.

مداخلة: ليعلم الذين آمنوا . . .

الشيخ: كان: إلى قوله، يستقيم الكلام، ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الحج: ٥٣] إلى قوله، أضف كلمة: إلى قوله: وإنه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: ومعناه انمحت وتقادمت؛ أي: إن هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديمًا، وتطاولت مدته.

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة أنه قرأها: «دُرِسَتْ» أي: قُرِئت وتُعُلِّمت.

وقال معمر، عن قتادة: ﴿دَرَسْتَ﴾: قرئت. وفي حرف ابن مسعود (درسَ).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا حجاج، عن هارون قال: هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ (درسَ)، قال: يعنون النبي ﷺ أنه قرأ.

وهذا غريب، فقد روي عن أبي بن كعب خلاف هذا، قال أبو بكر بن مَرْدُوَيه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا الحسن بن الليث، حدثنا أبو سلمة، حدثنا أحمد بن أبي بَزَّة المكي، حدثنا وهب بن زَمَعَة، عن أبيه، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب قال: أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾.

ورواه الحاكم في مستدركه، من حديث وهب بن زمعة، وقال: يعني بجزم السين، ونصب التاء، ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه(١).

الحكم على حديث: أقرأني رسول الله: (وليقولوا درست).

- **س: السند السابق ابن زمعة؟**

زمعة بن صالح.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: السند السابق.

الشيخ: ماذا؟

مداخلة: في القراءة: درست فيه في سنده زمعة.

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق وهب به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٢٣٨).

الشيخ: وأين؟

مداخلة: السند الذي قرأ في قوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

الشيخ: إي، ماذا فيه؟

مداخلة: السند طال عمرك: زمعة بن صالح هنا؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: زمعة بن صالح، ضعيف يعني السند هذا؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: لكن الإعراض عفا الله عنك! ما يراد من معناه عدم الالتفات إلى اعتراضهم على النبي ﷺ في بداية الأمر، والالتزام بالوحي؟

الشيخ: نعم، مقصود التحريم من هذا، يقولون: درست، ابتلاء وامتحان يعني، صرفنا الآيات لامتحانهم، ليقولوا ما يقولون فيما تقص عليهم من الأخبار، هذه قصة هود وهذه في صالح، وهذه في شعيب، وهذه في موسى، إلى آخر، حتى يقول هؤلاء الظالمون ويفتروا على الله الكذب كذا وكذا، ابتلاء وامتحان ليظهر كذبهم وباطلهم وعنادهم، نعم. ومثل ما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ [سبأ: ٤٣]، هذا من أقوالهم الشنيعة قبَّحهم الله.

*

❐ **تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام: ١٠٦ ـ ١٠٧](١).**

يقول تعالى آمرًا لرسوله ﷺ ولمن اتَّبع طريقته: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٥ ـ ٦ ـ ١٤١٣هـ.

﴿مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: اقتد به، واقتف أثره، واعمل به؛ فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مِرْية فيه؛ لأنه لا إله إلا هو.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾؛ أي: اعف عنهم واصفح، واحتمل أذاهم، حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم.

واعلم أن لله حكمة في إضلالهم، فإنه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعًا [ولو شاء الله لجمعهم على الهدى].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾؛ أي: بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه من الآيات المكية التي نزلت قبل الأمر بالجهاد، فالآيات اللي فيها الإعراض عن المشركين قبل أن يؤمر بالجهاد.

الملقي: [وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛ أي: حافظًا تحفظ أقوالهم وأعمالهم].

الشيخ: أعد؛ أي: حافظًا!

الملقي: [أي: حافظًا تحفظ أقوالهم وأعمالهم، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾].

الشيخ: بل جاء عنه أن هناك ملائكة تحفظ أقوالهم وأعمالهم، قد وكل بهم الملائكة تحفظ عليهم كل شيء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: [﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: موكل على أرزاقهم وأموالهم، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]. ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛ أي: حافظًا تحفظ أعمالهم وأقوالهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾؛ أي: موكل على أرزاقهم وأمورهم

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ **[الأنعام: ١٠٨]**[١].

يقول تعالى ناهيًا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سبِّ آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسبِّ إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو. كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سبك آلهتنا، أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار اللهَ عَدوًا بغير علم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم، عن السُّدِّي أنه قال في تفسير هذه الآية: لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحيي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعهم فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحارث، وأمية، وأُبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي مُعيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن البَخْتَري وبعثوا رجلًا منهم يقال له: «المطلب»، قالوا: استأذن لنا على أبي طالب، فأتى

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٢ ـ ٦ ـ ١٤١٣هـ.

أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك، فأذن لهم عليه، فدخلوا عليه فقالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمدًا قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحبُّ أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندَعْه وإلهه. فدعاه، فجاء النبي ﷺ، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك. قال رسول الله ﷺ: «**ما تريدون؟**». قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا، ولندَعْك وإلهك. قال له أبو طالب: قد أنصفك قومك، فاقبل منهم، فقال النبي ﷺ: «**أرأيتم إن أعطيتكم هذا، هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم بها العرب، ودانت لكم بها العجم، وأدت لكم الخراج؟**» قال أبو جهل: وأبيك لأعطينكها وعشرة أمثالها، قال: فما هي؟ قال: «**قولوا لا إلٰه إلا الله**». فأبوا واشمأزوا. قال أبو طالب: يا ابن أخي، قل غيرها، فإن قومك قد فزعوا منها. قال: «**يا عم، ما أنا بالذي أقول غيرها، حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي، ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها**». إرَادَةَ أن يُؤيسَهم، فغضبوا وقالوا: لتكفنَّ عن شتم آلهتنا، أو لنشتمنك ونشتم من يأمرك، فذلك قوله: ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾[1].

ومن هذا القبيل ـ وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ـ ما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[2]. أو كما قال، عليه السلام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه قاعدة عظيمة تستفاد من هذه الآية الكريمة، وهي: ترك

---

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق إسباط عن السدي لكنه مرسل ويتقوى بالشواهد التي ستأتي في تفسير سورة ص الآية ٦.

(٢) سبق تخريجه (٥/ ٢١٧).

المصلحة العظيمة إذا كان يترتب عليها حصول مفسدة كبرى، وارتكاب المفسدة الصغيرة إذا كان يترتب على ركوب المفسدة الكبيرة عدم... إذا كان يترتب على ترك المفسدة الصغيرة ما هو.. من ترك مفسدة أكبر وأعظم، فإن سب آلهتهم مصلحة وتركها مفسدة، لكن إذا كان يترتب على سب آلهتهم سب الله، هذي أكبر وأشنع؛ فلهذا قال الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، يعني: لا تسبوا آلهتهم، إذا كان يترتب على سب آلهتهم من يسب الله، فهذه مفسدة أكبر من ترك سب آلهتهم، ولما قال لهم ﷺ: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»، اشمأزوا من هذا واستكبروا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. قال ﷻ في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، هذا من جهلهم وضلالهم وعماهم، من جهة العمى الشديد، اعتقدوا التوحيد سبًّا لآلهتهم، وتنقصًا لآلهتهم، واعتقدوه منكرًا اشمأزوا منه، واستكبروا أن يقولوا: لا إله إلا الله، وآلهتهم باطلة، لا حق لها، بل هي باطلة، ولكن الجهل العظيم وعمى البصائر جعلتهم يشمئزون من قول لا إله إلا الله ويستكبرون عن قولها، فأمر المسلمون ألا يسبوا آلهتهم إذا كان سب آلهتهم يترتب عليه سب الله ﷻ، ولكن يعالجون الأمور بغير ذلك، والسب معناه: التنقُّص، تنقص لها بحضرتهم، وذمها وعيبها، ليتركوها ويحذروها ويعبدوا الله وحده، فإذا كان ذلك يرجى فيه النفع والفائدة فعله المؤمن والداعي إلى الله ﷻ، وإلا ترك ذلك واكتفى بدعوتهم إلى التوحيد؛ وأن هذا هو الواجب عليكم أن تعبدوا الله وحده، وأن تخصُّوه بالعبادة دون.. وأنتم خُلقتم لهذا الشيء، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أنتم خُلقتم لهذا الأمر،

فالواجب عليكم تحقيقه وترك ما سواه، فإن أجابوا وإلا وجب قتالهم، مع القدرة، حتى يستجيبوا للحق، وحتى ينقادوا إلى الحق ويَدَعوا الباطل، إلا أن يكونوا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، . . . بالجزية وطلبوا الجزية فلا بأس أن يقروا بالجزية في غير الجزيرة؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ولهذا أقر النبي ﷺ اليهود والنصارى على الجزية، لكن يكون ذلك في غير الجزيرة، في بلاد العجم، أما في الجزيرة العربية فنهى النبي ﷺ عن أن يقر فيها دينان.

مداخلة: الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ... ﴿٥﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، هذا كان أولًا لا إكراه في الدين، وإنما نقاتل من قاتلنا ونكف عمن كف عنا، ثم نسخ الله الآية، فأمر المسلمين بالقتال، حتى يسلم الكفار وينقادوا للحق، إلا أن يكونوا من أهل اليهود، من أهل الكتاب، فإنهم تقبل منهم الجزية إذا أبوا الإسلام، تقبل منهم الجزية إذا أدوها عن يد وهم صاغرون، هذا هو الصواب. وقال جماعة من أهل التفسير: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، بالنسبة إلى أهل الكتاب، إذا بذلوا الجزية فلا إكراه لهم. والأصح أنها عامة، وأنها نسخ لما تقدم من قوله ﷻ: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]، هذا منسوخ، إذا استطاع المسلمون وقوي المسلمون أن يقاتلوا قاتلوهم حتى يدخلوا في دين الله، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن

تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، هذه هي الناسخة وأشباهها، ويقال لها: آية السيف.

مداخلة: ناسخة لقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ناسخة؟

الشيخ: نعم، هذا الذي عند الجمهور، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة: ليس بنسخ، بل تستعمل الآيات كل في محله، وعند قوة الإسلام، لا تقبل منهم؛ أي: لا يقبل منهم الكف، بل يقاتلوا حتى يسلموا، وإن عجز المسلمين من كف كفوا عنه ولم يقاتلوهم.

الأسئلة:

- **س: أحسن الله إليك! اليهود والنصارى يقاتلون في الجزيرة؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: اليهود والنصارى في جزيرة العرب يقاتلون إذا أبوا الإسلام؟

الشيخ: حتى يؤدوا الجزية خارج الجزيرة.

مداخلة: وفي الجزيرة؟

○ **الجواب**: ينفون عن الجزيرة حتى يؤدوها خارج الجزيرة.

مداخلة: يا شيخ!

○ **الجواب**: حكمه أنه يؤدب، يجلد من ولي الأمر، يرفع إلى ولي الأمر حتى يؤدب؛ لأن اللعن من كبائر الذنوب، لعن المسلمين من كبائر الذنوب.

● **س: سب اليهودي والنصراني بعينه؟**

○ **الجواب**: الرسول ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**»، (لعنة الله على اليهود والنصارى)، لكن ترك العين أولى؛ لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الكفار، لعن الله الظالمين على العموم، هذا لا خلاف فيه، أما لعن المعيَّن بعينه فمحل خلاف، بعض أهل العلم يرى لا يلعن بعينه، قد يتوب الله عليه.

● **س: من كان إذا نهي عن معصية يَستهزئ أو يسخط، هل يقاس على مقام المشركين الذي قال لهم: لا إله إلا الله؟**

○ **الجواب**: هذا يختلف، إن كان يستهزئ بالدين؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: هذا ردة عن الإسلام، ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، إن كان بالرجل لا، يستهزئ بالرجل، يرفع لولي الأمر إذا أمكن، وإن صبر وحلم وجادل بالتي هي أحسن جزاه الله خير.

● **س: حدود الجزيرة؟**

○ **الجواب**: كلما أدخله البحر الغربي والبحر الشرقي يكون من الجزيرة، . . . البحار، واليمن الصحيح أنه من الجزيرة، قال قوم: ليس من الجزيرة، فالصواب أنه من الجزيرة، وهكذا الخليج العربي من الجزيرة إلى حدود الشام من جهة الشمال؛ ولهذا قيل لها الجزيرة العربية يعني: بعضهم يقول: شبه الجزيرة؛ لأن الحد الشمالي ما حوله بحار، لكن حوله الحدود الشمالية التي بيننا وبين الشام والأردن.

مداخلة: أحسن الله إليك!

السؤال. . . .

مداخلة: تبوك من الجزيرة؟

○ **الجواب**: من الجزيرة نعم، عند جمع من أهل العلم وبعضهم

يقول: إنها من حدود الشام؛ ولهذا جاء في بعض الروايات أن عمر أجلاهم إلى تبوك، ولكن الأظهر أنهم من الجزيرة، لأنه من مساكن العرب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ أي: وكما زينا لهؤلاء القوم حبّ أصنامهم والمحاماة لها والانتصار، كذلك زينا لكل أمة من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه، ولله الحجة البالغة، والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره. ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾؛ أي: معادهم ومصيرهم، ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾؛ أي: يجازيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

له الحكمة البالغة فإن اتبعوا أهواءهم وزين لهم عملهم وانقادوا لدعاة الشرك، فقدر الله ماض في الجميع، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، لكفرهم وضلالهم وعنادهم، بُيّن سوء أعمالهم حتى هلكوا عليها؛ إلا من هدى الله منهم، نسأل الله العافية.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩ ـ ١١٠][(١)].

يقول تعالى إخبارًا عن المشركين: إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم؛

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ١٩ ـ ٦ ـ ١٤١٣هـ.

أي: حلفوا أيمانًا مؤكدة ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ﴾؛ أي: معجزة وخارق، ﴿لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾؛ أي: ليصدقنها، ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتًا وكفرًا وعنادًا، لا على سبيل الهدى والاسترشاد: إنما مرجع هذه الآيات إلى الله، إن شاء أجابكم، وإن شاء ترككم، كما قال، قال ابن جرير:

حدثنا هَنَّاد حدثنا يونس بن بُكَيْر، حدثنا أبو مَعْشَر، عن محمد بن كعب القُرَظِي قال: كلم رسول الله ﷺ قريشًا، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا من الآيات حتى نصدِّقك. فقال رسول الله ﷺ: «**أي شيء تحبون أن آتيكم به؟**». قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا. فقال لهم: «**فإن فعلت تصدقوني؟**». قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعك أجمعين. فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل، عليه السلام، فقال له: لك ما شئت، إن شئت أصبح الصفا ذهبًا، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله ﷺ: «**بل يتوب تائبهم**». فأنزل الله: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١]، وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أُخَر. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ [وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾] [الإسراء: ٥٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا من تعنت أهل الشرك، هذا من تعنتهم واستبعادهم للحق، واستكبارهم عن اتباعه، وإلا فقد رأوا من الآيات ما فيه الكفاية: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، مثل... انشقاق القمر، فانشقاق القمر من الآيات العظيمات لو كانوا يعقلون، ولكن الكبر وتقليد

الآباء والاستكبار أن يتبعوا واحدًا منهم كما فعل من قبلهم، حملهم على التكذيب، ومن هداه الله عرف من الآيات ما فيه العظة والذكرى والحجة القائمة على صدقه، وأنه رسول الله حقًّا عليه الصلاة والسلام، فإن شمائله وخصاله الحميدة كلها دالة على أنه أصدق الناس، وأنه لا يقدم على الكذب، ثم أيده الله بهذا القرآن العظيم، المعجزة العظيمة التي تحدَّاهم بها سبحانه، وهكذا انشقاق القمر. كل هذا بمكة مع الآيات الأخرى التي أنزلها الله وأيده بها في مواضع كثيرة بعد الهجرة، من نبوع الماء من بين أصابعه، ومن تكثير الطعام مرةً بعد مرة، ومن نصر الله له يوم بدر على قلَّتهم، إلى غير هذا من الآيات، فقد أيده سبحانه بأنواع من التأييد. ونفس ما دعاهم إليه حجة عظيمة على أنه رسول الله حقًّا، فإنه لم يدعهم إلى أن يملِّكوه عليهم، ولا إلى أن يعطوه أموالهم، ولا إلى أن يدفعوا عنه كذا، وإنما دعاهم إلى شيء فيه سعادتهم، دعاهم إلى شيء تشهد الفطر السليمة والعقول الصحيحة بأنه حق وبأنه خير، وبأنه هدى، دعاهم إلى توحيد ربهم والإخلاص له، وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، أعمال طيبة وخصال حميدة، وحذرهم من أشياء تضرهم. فنفس دعوته ونفس ما دعا إليه من الأدلة القاطعة على صدقه وأنه رسول الله حقًّا عليه الصلاة والسلام، سوى ما جاء به من الآيات الأخرى من القرآن العظيم، ومن انشقاق القمر، ومن غير هذا من الآيات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ قيل: المخاطب بـ ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ المشركون، وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم: وما يدريكم بصدقكم في هذه الأيمان التي تقسمون بها. وعلى هذا فالقراءة: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» بكسر «إنها» على استئناف الخبر

عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها، وقراءة بعضهم: «أنها إذا جاءت لا تؤمنون» بالتاء المثناة من فوق.

وقيل: المخاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ المؤمنون؛ أي: وما يدريكم أيها المؤمنون، وعلى هذا فيجوز في ﴿أَنَّهَآ﴾ الكسر كالأول والفتح على أنه معمول يشعركم. وعلى هذا فتكون «لا» في قوله: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٩﴾ صلة كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقوله: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. أي: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك وحرام أنهم يرجعون. وتقديره في هذه الآية: وما يدريكم ـ أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصًا على إيمانهم ـ أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون.

وقال بعضهم: «أنها» بمعنى لعلها.

قال ابن جرير: وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب. قال: وقد ذكر عن العرب سماعًا: «اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئًا» بمعنى: لعلك تشتري.

قال: وقد قيل: إن قول عدي بن زيد العبادي من هذا:

أعاذل ما يُدْريك أنّ مَنيَّتي ... إلى سَاعَةٍ في اليوم أو في ضُحَى الغَد

وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه شواهد من أشعار العرب والله [تعالى] أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قال العَوفي عن ابن عباس في هذه الآية: لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ورُدَّت عن كل أمر.

وقال مجاهد: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ونحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية، فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة.

وكذا قال عِكْرِمة وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: عقوبةً لهم، لما كفروا وأنكروا الحق واستمروا في الباطل، من عقوباتهم أنها تقلب أفئدتهم وأبصارهم، بسبب عدم الإيمان به أول مرة، ويتركون في طغيانهم عقوبة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، يعني: لما أقدموا على الباطل عمدًا وعاندوا واستكبروا عوقبوا بألا يوفَّقوا لها بعد ذلك... يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]، في آية البقرة فيهم ...الله في جحدهم وكفرهم، لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٧]، وحقت كلمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بزيغهم وإضلالهم بسبب عدم إيمانهم به أول مرة، وبسبب زيغ قلوبهم وعنادهم وتكذيبهم، مضى فيهم أمر الله بعدم الإيمان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال: أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه. قال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٤]، [وقال]: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ [وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ] لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦ ـ ٥٨]، فأخبر سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى، وقال: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ قال: لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا. وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمۡ﴾؛ أي: نتركهم ﴿طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ قال ابن عباس والسُّدِّي: في كفرهم. وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة: في ضلالهم.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ قال الأعمش: يلعبون. وقال ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، والربيع، وأبو مالك، وغيره: في كفرهم يترددون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يوجب على العاقل الحذر من التساهل في الأمر، فإن التساهل في الأمر، ورد الحق عنادًا أو استخفافًا به، أو إيثارًا للعاجلة عليه، قد يكون وسيلةً إلى ألا يوفق بعد ذلك، وأن يحال بينه وبين الهدى، فينبغي... للعاقل الحذر، وأن الواجب عليه البدار إلى الحق، والحرص على قَبوله حين يُعرض عليه حين يعرفه، فإن رده له أو استكباره عنه، أو إيثار العاجلة عليه، أو ما أشبه ذلك من أسباب الصد والإعراض، قد يكون وسيلةً إلى الطبع على القلب والزيغ، حتى لا يوفق بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]. ولهذا قال ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ [الزمر: ٥٤ - ٥٦]، يعني: لئلا تقول نفس: يا حسرتى، فلا ينفعها التمني والتحسر، ولكن أنت اليوم في دار العمل، دار يتمناها أهل النار، يتمناها أهل الموقف يوم القيامة، يتمنون هذه الدار، يتمنون أنهم ردوا إليها، وأنهم صاروا إليها حتى يعملوا، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]. فأنت يا عبد الله تذكَّر هذا الموقف الذي أخبر الله به عن أولئك، وأنهم يتمنون العودة فلا تحصل، ويقول عن أهل النار ﷻ: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: ٣٧]، فماذا رد عليهم؟ قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، التمني بعد البعث والنشور، والتمني وهو في النار، كل هذا ما ينفع..

كله حسرات، ولكن الذي ينفع اليوم الرجوع اليوم والتوبة اليوم ما دمت حيًّا في دار العمل، دار التكليف، ينفعك اليوم أن تحاسب نفسك على سيئاتك وأغلاطك، وتبادر بالتوبة قبل أن يهجم الأجل. فكم بلغنا من إنسان نزلت به مصيبة الموت من دون مرض ومن دون شيء، انقلبت السيارة، تصادم مع فلان، أصابته ضربة في القلب، نزلة في الرأس، فانتهى في الحال، ما عاد يمكن أن يتدارك شيء، قد وقع الآن الشيء الكثير من التنبيهات على أخطار هذه الدار من الإغماءات الكثيرة، والنوبات التي تعرض للإنسان في قلبه، فيموت حالًا من دون مهلة، إلى غير هذا مما يصيب الناس، وحوادث السيارات الآن لا تحصى، يخرج من بيته من أقوى الناس، وأسلم الناس وأعقل الناس، فلا يرجع إليه. فالحاصل أن العاقل يجب عليه أن يفكر كثيرًا وأن ينتبه، قبل أن يقول: يا ليتني! أو: يا حسرتي.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١][١].

يقول تعالى: ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ فنزَّلنا عليهم الملائكة؛ أي: تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل، كما سألوا فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]، ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٩ - ٦ - ١٤١٣هـ.

﴿ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ قرأ بعضهم: «قِبَلا» بكسر القاف وفتح الباء، من المقابلة، والمعاينة. وقرأ آخرون [وقُبُلا] بضمهما قيل: معناه من المقابلة والمعاينة أيضًا، كما رواه علي بن أبي طلحة، والعوفي، عن ابن عباس. وبه قال قتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

وقال مجاهد: ﴿قُبُلًا﴾ أفواجًا، قبيلًا قبيلًا، أي: تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فتخبرهم بصدق الرسل فيما جاؤوهم به ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إن الهداية إليه، لا إليهم. بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لعلمه وحكمته، وسلطانه وقهره وغلبته. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة نعم.

مداخلة: أحسن الله إليك، الآية: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، على تقدير: ما يشعركم إيمانهم، تكون: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، مستأنفة؟ (إنها).. وما يشعركم.

الشيخ: هذا معناها نعم: وما يعلمكم، ثم قال: إن يستأنف الكلام يسدد الكلام بعدما انكسر: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

مداخلة: تكون تأكيد لقوله..

الشيخ: لكن قراءة: (أن)....: وما يشعركم إيمانهم، يعني: وما يعلمكم إيمانهم إذا جاءت، تصير (لا) صلة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢ ـ ١١٣][1].

يقول تعالى: وكما جعلنا لك ـ يا محمد ـ أعداءً يخالفونك، ويعادونك، جعلنا لكل نبي من قبلك أيضًا أعداء فلا يَهيدنَّك ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «**لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ**»[2].

وقوله: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ بدل من ﴿عَدُوًّا﴾؛ أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، ومن هؤلاء وهؤلاء، قبَّحهم الله ولعنهم.

قال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ قال: من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين، يوحي بعضهم إلى بعض، قال قتادة: وبلغني أن أبا ذر كان يومًا يصلي، فقال النبي ﷺ: «**تَعَوَّذْ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن**». فقال: أو إن من

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب (٣) برقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي برقم (١٦٠).

الإنس شياطين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»[١].

وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر. وقد روي من وجه آخر عن أبي ذر رضي الله عنه، قال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة، عن ابن عائذ، عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطال فيه الجلوس، قال، فقال: «**يا أبا ذر، هل صليت؟**». قال: لا يا رسول الله. قال: «**قم فاركع ركعتين**». قال: ثم جئت فجلستُ إليه، فقال: «**يا أبا ذر، هل تعوَّذت بالله من شياطين الجن والإنس؟**». قال: قلت: لا يا رسول الله، وهل للإنس من شياطين؟ قال: «**نعم، هم شر من شياطين الجن**»[٢].

وهذا أيضًا فيه انقطاع وروي متصلًا كما قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا المسعودي، أنبأني أبو عمر الدمشقي، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد، فجلست فقال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسْتُ فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ صَلَّيْتَ**». قُلْتُ: لَا. قَالَ: «**قُمْ فَصَلِّ**». قَالَ فَقُمْتُ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ جَلَسْتُ. فَقَالَ «**يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ باللهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ**». قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَلِلإِنْسِ شَيَاطِينُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»[٣].

وذكر تمام الحديث بطوله.

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسيره، من حديث

---

(١) أخرجه عبد الرزاق وسنده ضعيف بسبب الانقطاع الذي ذكره الحافظ ابن كثير، وقد صححه الحافظ بمجموع طرقه كما سيأتي.

(٢) أخرجه الطبري وفي سنده أيضًا انقطاع بين عائذ وأبي ذر، ويتقوى بالطرق الأخرى التالية.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٨٧) وضعفه محققوه (المسند ٣٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٢ برقم ٢١٥٤٦)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير)، فهو يوافق الحافظ ابن كثير كما تقدم.

جعفر بن عون، ويعلى بن عبيد، وعبيد الله بن موسى، ثلاثتهم عن المسعودي، به.

(طريق أخرى عن أبي ذر): قال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا الحجاج، حدثنا حماد، عن حميد بن هلال، حدثني رجل من أهل دمشق، عن عوف بن مالك، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا ذر، هل تعوَّذت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟**». قال: قلت يا رسول الله، هل للإنس من شياطين؟ قال: «**نعم**».

(طريق أخرى للحديث): قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عَوْف الحِمْصي، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر تعوذتَ من شياطين الجن والإنس؟**». قال: يا رسول الله، وهل للإنس من شياطين؟ قال: «**نَعَمْ**»، ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾، فهذه طرق لهذا الحديث، ومجموعها يفيد قوته وصحته، والله أعلم.

وقد روي ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبو نُعَيم، عن شَرِيك، عن سعيد بن مسروق، عن عِكْرِمة: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ قال: ليس من الإنس شياطين، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن.

قال: وحدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا إسرائيل، عن السُّدِّي، عن عِكْرِمة في قوله: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ قال: للإنسي شيطان، وللجني شيطان، فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن، فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا.

وقال أسباط، عن السُّدِّي، عن عِكْرِمة في قوله: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾ في تفسير هذه الآية: أما شياطين الإنس، فالشياطين التي تضل الإنس وشياطين الجن الذين يضلون الجن، يلتقيان، فيقول كل واحد

منهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأَضْلِل أنت صاحبك بكذا وكذا، فيعلِّم بعضهم بعضًا.

ففهم ابن جرير من هذا؛ أن المراد بشياطين الإنس عند عِكْرِمة والسُّدِّي: الشياطين من الجن الذين يضلون الناس، لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم. ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عِكْرِمة، وأما كلام السُّدِّي فليس مثله في هذا المعنى، وهو محتمل، وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا، عن ابن عباس من رواية الضحاك، عنه، قال: إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم، قال: فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن، فيقول هذا لهذا: أضلله بكذا، أضلله بكذا. فهو قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر: إن للإنس شياطين منهم، وشيطان كل شيء مارده، ولهذا جاء في صحيح مسلم، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**»(١)، ومعناه ـ والله أعلم ـ: شيطان في الكلاب.

وقال ابن جُرَيْج: قال مجاهد في تفسير هذه الآية: كفار الجن شياطين، يوحون إلى شياطين الإنس، كفار الإنس، زخرف القول غرورًا.

وروى ابن أبي حاتم، عن عِكْرِمة قال: قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني حتى كاد يتعاهد مبيتي بالليل، قال: فقال لي: اخرج إلى الناس فحدث الناس. قال: فخرجت، فجاء رجل فقال: ما تقول في الوحي؟ فقلت: الوحي وحيان، قال الله تعالى: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣]، وقال الله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي برقم (٥١٠).

بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ قال: فهمُّوا بي أن يأخذوني، فقلت: ما لكم ذاك، إني مفتيكم وضيفكم. فتركوني.

وإنما عَرَّضَ عِكْرِمة بالمختار ـ وهو ابن أبي عبيد ـ قبحه الله، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي، وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات، ولما أُخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال: صدق، [قال] الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾؛ أي: يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف، وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾؛ أي: وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نَبيّ عدوّ من هؤلاء.

﴿فَذَرْهُمْ﴾؛ أي: فدعهم، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾؛ أي: يكذبون؛ أي: دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم، فإن الله كافيك وناصرك عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾؛ أي: ولتميل إليه ـ قاله ابن عباس ـ ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: قلوبهم وعقولهم وأسماعهم.

وقال السُّدِّي: قلوب الكافرين، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾؛ أي: يحبوه ويريدوه. وإنما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٦١ ـ ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات: ٨، ٩].

وقوله: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: وليكتسبوا ما هم مكتسبون.

وقال السُّدِّي، وابن زيد: وليعملوا ما هم عاملون.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٤ ـ ١١٥](١).

يقول الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين بالله الذين يعبدون غيره: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾؛ أي: بيني وبينكم، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾؛ أي: مبيَّنا، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: من اليهود والنصارى، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾؛ أي: بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ كقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]، وهذا شرط، والشرط لا يقتضي وقوعه؛ ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا أشك ولا أسأل**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

في هذا بيان أن كتاب الله ﷻ هو الحَكَم بين الناس، وهو الفاصل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لكونه تنزيل من حكيم حميد؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي﴾ [الأنعام: ١١٤]، يعني: قل لهم أفغير الله أبتغي حكمًا، وهو الذي، وهو ﷻ القائل: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. فهو الحاكم بين عباده في هذه الدار بما أنزل، وبالآخرة بحكمه العدل بذاته سبحانه وتعالى يحكم بينهم ويفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، قد أنزل كتابه مفصلًا

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٣ ـ ٧ ـ ١٤١٣هـ.

فيه البيان والهدى والإرشاد إلى الخير، والتحذير من الشر، وهو مفصل مبين آيات واضحات ليس فيها سباب ولا التباس، ولا سيما فيما يتعلق بتوحيد الله والإخلاص له، قد أوضح من أوله إلى آخرة أنه سبحانه هو المستحق للعبادة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرات الدالة على بطلان ما هم عليه من الشرك، وعلى وجوب إخلاص العبادة لله وحده واتباع شريعته، وأهل الكتاب، علماؤهم يعرفون ذلك، هم الذين آتاهم الله الكتاب يعني: علماء اليهود والنصارى يعلمون أن ما جاء به محمد هو الحق، ولكنه الحسد والبغي والتقليد الأعمى للأسلاف حملهم على جحد الحق وإنكاره؛ كما حمل كبار المشركين وسادات المشركين تعظيمهم لآبائهم واستكبارهم عن اتباع الحق، حملهم على أن كذبوا وهم يعلمون أن محمدًا من أصدق الناس، وأنه ليس بكذاب؛ كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، يجحدون الحق تكبرًا وتقليدًا للأسلاف وتعظيمًا لهم. فلا يليق بالمؤمن والمؤمنة التشبه بهؤلاء، والحيد عن الحق تقليدًا لزيد أو عمرو أو للأسلاف والأكابر، أو تكبر عن اتباع الحق، بل يجب الخضوع للحق وقَبوله ممن جاء به، وإن خالف أباك وأسلافك وهواك، فالحق أحق بالاتباع وأحق بالتقديم؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]؛ أي: من الشاكين الحائرين، وهو ﷺ قد منَّ الله عليه بالعلم والبصيرة والثبات على الحق؛ ولهذا صبر وثبت على ما أصابه من قومه ومن اليهود حتى أظهره الله، وحتى أرغم أنوف أعدائه، وحتى ساد الحق، وبطل ما سواه بحمد الله وإحسانه وتوفيقه وإعانته وتسديده، ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال قتادة: صدقًا فيما قال وعدلًا فيما حكم.

يقول: صدقًا في الأخبار وعدلًا في الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مَفْسَدة، كما قال: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ إلى آخر الآية [الأعراف: ١٥٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى أنه جاء بالصدق والعدل في أخباره عن الله وعن الرسل الماضيين والأمم كله صدق، أخبار صادقة، وبالعدل في الشرائع التي جاء بها، كل الشرائع اللي جاء بها، والأحكام اللي جاء بها كلها عدل، كلها محض العدل والإحسان ليس فيها جور ولا ظلم. فهو صادق في أخباره، هادي وموفق فيما جاء به من الشرع؛ لأنه من حكيم عليم، يعلم مصالح العباد، ويعلم ما ينفعهم، ويعلم ما يضرهم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، بالهدى: العلم النافع، والدين الحق: الشرائع المستقيمة والأحكام العادلة، وكل ما جاء به هدى وحق وعدل وصدق ليس فيه كذب ولا خلال ولا جور ولا ظلم، فالكل حق وعدل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾؛ أي: ليس أحد يُعقِّبُ حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ لأقوال عباده، ﴿الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ بحركاتهم وسكناتهم، الذي يجازي كل عامل بعمله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦ ـ ١١٧][(١)].

يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ فإن الخرص هو الحزر، ومنه خرص النخل، وهو حَزْرُ ما عليها من التمر، وكذلك كله قدر الله ومشيئته، و﴿هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ﴾ فييسره لذلك ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ فييسرهم لذلك، وكل ميسَّر لما خلق له.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يوجب الحذر، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ يوجب الحذر، وأن أكثر الخلق ليسوا على هدى، فإياك أن تقلد أكثر الخلق، أو تقبل من غيرك إلا بدليل وحجة، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]. فالعاقل والموفق لا يقول: هذا اللي عليه الناس يكفي، بل يسأل الحجة والدليل حتى يطمئن أنه أصاب الحق، والعالم مكلف بطلب الحق، والعامي يسأل أهل الحق، ولا يغتر بالأكثر، لا من أسلافه ولا من أهل قريته ولا من قبيلته، فإنما يسأل الحق، ويطلب الحق بكل وسعه حتى يصيبه حتى يلتزم به؛ لأن أكثر الخلق يتبعون الظن، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٣ ـ ٧ ـ ١٤١٣هـ.

كما قال ﷻ لأهل الشرك عباد اللات والعزى ومناة: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، يعني: ما يتبعون إلا الظن وعدم العلم وما تهوى الأنفس ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، فالظن ليس بعلم، والخرص ليس بعلم، وإنما العلم التيقن بما قاله الله ورسوله، صلَّى الله وسلَّم وما شرعه الله لعباده عن دليل وحجة.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٨ ـ ١١٩][(١)].

هذا إباحة من الله [تعالى لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه: أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه، كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات، وأكل ما ذبح على النصب وغيرها. ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه، فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قد بيَّن لكم ما حَرم عليكم ووضحه.

وقرأ بعضهم: ﴿فَصَّلَ﴾ بالتشديد، وقرأ آخرون بالتخفيف، والكل بمعنى البيان والوضوح.

﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلا في حال الاضطرار، فإنه يباح لكم ما وجدتم.

ثم بيَّن تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة، من استحلالهم

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١٠ ـ ٧ ـ ١٤١٣هـ.

الميتات، وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى: فقال ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾؛ أي: هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما قال سبحانه وبحمده في كتابه العظيم: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، فالله حرَّم على عباده ما فيه الضرر عليهم وما هو خبيث، تنزيهًا لهم وتطهيرًا لهم من الخبائث، وأباح لهم الطيبات؛ كما قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال في وصف النبي ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال في سورة المائدة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ﴾ [المائدة: ٤]، وهي أشياء نافعة ومغذية ومفيدة، التي ليس فيها ما يمنع حلها، بخلاف الميتة والخنزير والدم المسفوح وما ألحق الميتة من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وهكذا غير ذلك مما حرمه الله فإنه خبيث.

فلا يليق بالمؤمن أن يتنزه عما أباح الله، ولا يليق به أن يقع فيما حرمه الله، بل يلزم الحد الشرعي: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، يعني: ما حدَّه الله من الحلال والحرام يجب الالتزام به ولا يُعتدى، لا في النكاح ولا في الطلاق، ولا في الأكل والشرب، ولا في اللباس، ولا في الكلام ولا غير ذلك، يجب الوقوف عند الحدود التي حدَّها المولى في بيان الحلال والحرام: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]، إلا عند الضرورة: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، إذا اضطر إلى ميتة ومنخنقة، دم، أخذ منه حاجته، دفع الضرورة،

وما زاد على ذلك يمنع، وهذا من رحمته وإحسانه، أن حماهم مما يضرهم وأباح لهم ما يضطرون إليه وما ينفعهم.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠][(١)].

قال مجاهد: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ معصيته في السر والعلانية ـ وفي رواية عنه [قال] هو ما ينوى مما هو عامل.

وقال: قتادة: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾؛ أي: قليله وكثيره، سره وعلانيته.

وقال السُّدِّي: ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات، وباطنه: [الزنا] مع الخليلة والصدائق والأخدان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والآية عامة، المعاصي الظاهرة والباطنة، فهم واجب عليهم أن يَدَعوا السيئات ظاهرها وباطنها، سواء كان في الظاهر من المجاهرة بالمعاصي أو في السر كمن يأكل الميتة سرًّا، أو يزني سرًّا، أو يأكل الخنزير سرًّا، أو يشرب الخمر سرًّا، أو يفعلها علانية كله محرم، لكن العلانية أشد في الإثم، لأنه استهتار وقلة مبالاة وقلة حياء، ولأنه يضل غيره بذلك، يقتدي به غيره بذلك، ولهذا قال في الحديث الصحيح، يقول النبي ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**»[(٢)]، يعني: المجاهرين

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٠ ـ ٧ ـ ١٤١٣هـ.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، ستر المؤمن على نفسه برقم (٦٠٩٦)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه برقم (٢٩٩٠).

بالمعاصي فليسوا من أهل العافية، (وإن من الإجهار أن يأتي الرجل المعصية بالليل فيصبح وقد ستره الله)، ثم يفضح نفسه (ويقول: فعلت البارحة كذا وفعلت كذا)، هو مستور فعلها سرًّا، ثم صار يفضح نفسه في النهار، ويتحدث في المجالس بأنه زنى بفلانة وشرب الخمر مع فلان، وفعل مع فلان كذا، جمع بين الاستهتار وقلة الحياء وبين المعصية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عِكْرِمة: ظاهره: نكاح ذوات المحارم.

والصحيح أن الآية عامة في ذلك كله، وهي كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ [وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾] الآية [الأعراف: ٣٣]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾؛ أي: سواء كان ظاهرًا أو خفيًّا، فإن الله سيجزيهم عليه.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبد الرحمٰن بن مَهْدِي، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمٰن بن جُبَيْر بن نُفَير، عن أبيه، عن النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله ﷺ عن الإثم فقال: **«الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»**[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا رواه مسلم في الصحيح بلفظ: **«البر حُسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»**، يعني: ما تردد في الصدر حله، فهذا برزخ بين الحلال والحرام، فإذا هتك هذا البرزخ وقع في الحرام، وقع في الشبهات ووقع في الحرام، فما حاك في نفسك ولم تدر أحل أم حرام، لا تقدم عليه حتى تعرف الحال؛ فإن الأمور ثلاثة: حرام ظاهر، وحل ظاهر،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم برقم (٢٥٥٣).

وبرزخ بينهما مشتبه، فالبرزخ اللي بينهما مشتبه دعه حتى يتضح الأمر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ **[الأنعام: ١٢١]**[١].

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أنه لا تحل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها، ولو كان الذابح مسلمًا، وقد اختلف الأئمة، رحمهم الله، في هذه المسألة على **ثلاثة أقوال:**

فمنهم من قال: لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة، وسواء متروك التسمية عمدًا أو سهوًا. وهو مروي عن ابن عمر، ونافع مولاه، وعامر الشعبي، ومحمد بن سيرين. وهو رواية عن الإمام مالك، ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدِّمين والمتأخرين، وهو اختيار أبي ثور، وداود الظاهري، واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه «الأربعين»، واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية، وبقوله في آية الصيد: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]. ثم قد أكد في هذه الآية بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾، والضمير قيل: عائد على الأكل، وقيل: عائد على الذبح لغير الله - وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد، كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة: «**إِذَا أَرْسَلْتَ كِلَابَكَ الْمُعَلَّمَةَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ فَكُلْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ قَتَلْنَ إِلَّا أَنْ يَأْكُلَ الْكَلْبُ،**

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢ - ٨ - ١٤١٣هـ.

فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنْ خَالَطَهَا كِلَابٌ مِنْ غَيْرِهَا فَلَا تَأْكُلْ». وهما في الصحيحين[١].

وحديث رافع بن خُدَيْج. «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه**». وهو في الصحيحين أيضًا، وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه**» رواه مسلم[٢]، وحديث جُنْدَب بن سفيان البَجَلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى، ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله**». أخرجاه[٣] وعن عائشة ﵂، أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري: أَذُكر اسم الله عليه أم لا؟ قال: «**سَمُّوا أَنْتُمْ وَكُلُوا**»، قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر. رواه البخاري[٤].

ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها، [وأنهم] خشوا ألا تكون وجدت من أولئك، لحداثة إسلامهم، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل، لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد، والله تعالى أعلم.

والمذهب الثاني في المسألة: أنه لا يشترط التسمية، بل هي مستحبة، فإن تركت عمدًا أو نسيانًا لم تضر وهذا مذهب الإمام الشافعي ﵀، وجميع أصحابه، ورواية عن الإمام أحمد. نقلها عنه حنبل. وهو رواية عن الإمام مالك، ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه، وحكي عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعطاء بن أبي رباح، والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه في (٧/ ١٠٥).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح برقم (٤٥٠).
(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في العيدين، باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد برقم (٩٨٥)، ومسلم في الأضاحي، باب وقت الأضاحي برقم (١٩٦٠).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من لم ير الوساوس برقم (٢٠٥٧).

وحمل الشافعي الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ على ما ذبح لغير الله، كقوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش عن الأوثان، وينهى عن ذبائح المجوس، وهذا المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي رحمه الله قوي، وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل «الواو» في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ حالية؛ أي: لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقًا، ولا يكون فسقًا حتى يكون قد أُهِلَّ به لغير الله. ثم ادَّعى أن هذا متعين، ولا يجوز أن تكون «الواو» عاطفة. لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جمله فعلية طلبية. وهذا ينتقض عليه بقوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ فإنها عاطفة لا محاولة، فإن كانت «الواو» التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال؛ امتنع عطف هذه عليها، فإن عطفت على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره، وإن لم تكن «الواو» حالية، بطل ما قال من أصله، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، أنبأنا جرير، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال: هي الميتة.

ثم رواه، عن أبي زُرْعَة، عن يحيى بن أبي كثير عن ابن لَهِيعَة، عن عطاء ـ وهو ابن السائب ـ به.

وقد استدل لهذا المذهب بما رواه أبو داود في المراسيل، من حديث ثور بن يزيد، عن الصلت السدوسي ـ مولى سُوَيْد بن مَنْجوف أحد التابعين الذين ذكرهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ذَبِيحَةُ الْمُسْلِمِ حَلَالٌ ذَكَرَ اسْمَ اللهِ أَوْ لَمْ يَذْكُرْ،**

حلال ذُكِر اسمُ اللهِ أو لم يُذْكَرْ، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله»[١].

وهذا مرسل يعضد بما رواه الدارقطني عن ابن عباس أنه قال: «إِذَا ذَبَحَ الْمُسْلِمُ فَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ فَلْيَأْكُلْ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ فِيهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ»[٢].

واحتج البيهقي أيضًا بحديث عائشة رضي الله عنها، المتقدم أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، إن قومًا حديثي عهد بجاهلية يأتونا بلحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال: **«سَمّوا أنتم وكُلُوا»**.

قال: فلو كان وجود التسمية شرطًا لم يرخص لهم إلا مع تحققها، والله أعلم.

المذهب الثالث في المسألة: أنه إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانًا لم يضر وإن تركها عمدًا لم تحل.

هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك، وأحمد بن حنبل، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه، وإسحاق بن راهويه: وهو محكي عن علي، وابن عباس، وسعيد بن المُسَيَّب، وعَطَاء، وطاوس، والحسن البصري، وأبي مالك، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى، وجعفر بن محمد، وربيعة بن أبي عبد الرحمٰن، ونقل الإمام أبو الحسن المرغيناني في كتابه «الهداية» الإجماع ـ قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمدًا، فلهذا قال أبو يوسف والمشايخ: لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الإجماع، وهذا الذي قاله غريب جدًّا، وقد تقدم نقل الخلاف عمن قبل الشافعي، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في المراسيل برقم (٣٧٨)، وسنده ضعيف بسبب الإرسال وجهالة الصلت السدوسي (انظر: نصب الراية ٤/ ١٥٢)، ويشهد له قول ابن عباس التالي..

(٢) أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٩٥)، وصحَّحه البيهقي موقوفًا (الكبرى ٩/ ٢٤٠)، وكذا الحافظ ابن حجر في: التلخيص الحبير (٤/ ١٥١).

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: من حرَّم ذبيحة الناسي، فقد خرج من قول جميع الحجة، وخالف الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك(١).

يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أبو أمية الطرسوسي، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا معقل بن عبيد الله، عن عمرو بن دينار، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**المسلم يكفيه اسمه، إن نسي أن يسمِّي حين يذبح، فليذكر اسم الله وليأكله**»(٢).

وهذا الحديث رفعه خطأ، أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزيري فإنه وإن كان من رجال مسلم إلا أن سعيد بن منصور، وعبد الله بن الزبير الحميدي روياه عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن أبي الشعثاء، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس، من قوله. فزادا في إسناده «أبا الشعثاء»، ووقفا والله [تعالى أعلم. وهذا أصح، نص عليه البيهقي(٣) وغيره من الحفاظ.

وقد نقل ابن جرير وغيره. عن الشعبي، ومحمد بن سيرين، أنهما كرها متروك التسمية نسيانًا، والسلف يطلقون الكراهية على التحريم كثيرًا، والله أعلم. إلا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفًا لقول الجمهور، فيعده إجماعًا، فليعلم هذا، والله الموفق.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الصواب، الصواب هو هذا القول القول الوسط: أن من ترك التسمية عمدًا متساهلًا لم تحل، لظاهر النصوص: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا

---

(١) التفسير (١٢/ ٨٥).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٢٣٩) ورفعه خطأ كما قرر الحافظ ابن كثير وقفه كما سيأتي في الرواية التي تليه.

(٣) السنن الكبرى (٩/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله ﷺ: «**سمُّوا الله**»، وهكذا أمر من أراد أن يذبح أو يصيد يسمِّ الله، قال: «**ما أنهر الدم وذكرتَ اسم الله فكل، ليس السن والظفر**»، هذا يدل على وجوب التسمية وأنه لا بد منها، في الصيد وفي غير الصيد، أما إذا كان نسيانًا أو جهلًا فلا حرج يصح، قال الله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالنسيان معفو عنه وليس باختيار الإنسان، قد يندهش عند رمي الصيد، وقد يندهش عن الذبح يشغل فينسى، فالصواب مثل ما قال ابن جرير: هو كإجماع أهل العلم أنه يحل، ولهذا اعتبره ابن جرير إجماع: أنه إذا تركها ناسيًا، فإن ذبيحته حلال أو صيده حلال، وهكذا الجاهل حكمه حكم الناسي في هذا.

الأسئلة:

• **س: بارك الله فيكم يا شيخ! في حال النسيان أو الخطأ، يجب التسمية عند الأكل؟**

○ **الجواب**: التسمية سُنَّة عند الأكل، والقول بوجوبها قول قوي، لكن هو حلال سمَّى ولَّا ما سمَّى عند الأكل هي حلال، ولكن تسمية الأكل هي... حتى ولو كان طيب ولو كان مسمًّى عليه يسمِّي عند الأكل، النبي ﷺ قال لعمر بن أبي سلمة: «**يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[(١)]، وهذا ظاهره الوجوب، الأصل في الأوامر الوجوب، يسمِّي عند الأكل ويسمِّي عند الشرب، ويأكل بيمينه ويشرب بيمينه ويأكل مما يليه، نعم. وكأن الشيطان قد يأتي لبعض الناس ليستحل به الطعام إذا لم يسم، فيُمسك النبي ﷺ بيده حتى يسمِّي؛ كما وقع

(١) متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة، أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام برقم (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها برقم (٢٠٢٢).

للنبي ﷺ والصحابة في بعض أطعمتهم لما تقدموا ليأكلوا، جاء الشيطان بأعرابي كأنه يُدفع فأمسك النبي ﷺ بيده حتى سمَّى. المقصود: أن التسمية القول بوجوبها قول قوي حتى عند الأكل، فالتسمية عند الأكل شيء، والتسمية عند الذبح شيء ثاني.

حكم اللحوم المستوردة من الكفار:

● **س: حكم اللحوم المستوردة أحسن الله إليك؟**

○ **الجواب**: إن كان في بلاد الكفرة غير الكتابيين حرُمت مثل الشيوعيين الوثنيين، وإن كانت من بلاد النصارى أو اليهود فذبيحتهم لنا حلال، طعامهم لنا حلال.

● **س: من قال أنهم بارك الله فيك يصعقون بالكهرباء!**

○ **الجواب**: إذا علمته لا تأكل، لكن الأصل مثلما قال الله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥]، فإن علمت أنهم يذبحوا بالكهرباء أو بالخنق فلا تأكل، مثل ذبيحة المسلم الأصل فيها الحل، فإن علمت أن المسلم تعمَّد الترك أو خنقها أو ذبحها بالكهرباء لا تأكل حتى ولو مسلم.

الصيغة الواردة بالتسمية عند الذبح:

● **س: أحسن الله إليك، يقول: بسم الله، أو بسم الله الرحمٰن الرحيم؟**

○ **الجواب**: بسم الله يكفي، بسم الله والله أكبر، هذا السنَّة: بسم الله والله أكبر عند الذبح.

صيغة التسمية عند الأكل:

● **س: وعند الأكل؟**

○ **الجواب**: بسم الله، وإن قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم أكمل، وإن قال: بسم الله كفى، مختصر.

مداخلة: أحسن الله إليك: التكبير يُشرع في غير الأضاحي والهدايا، التكبير؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: في غير.

الشيخ: نعم عند الذبح: بسم الله والله أكبر.

مداخلة: في غير الأضاحي؟

الشيخ: في كل شيء، كل الذبح.

• **س: في جميع الذبح؟ وعند النحر؟**

○ **الجواب**: بسم الله والله أكبر، مثلما فعل النبي ﷺ عند الذبح، في الضحايا والهدايا والباقي تبعه مثله.

• **س: أحسن الله إليك! إذا نسي يسمي أول الوضوء؟**

الشيخ: كذلك: بسم الله، وإن قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم كذلك، كله طيب، بسم الله مختصر، والرحمٰن الرحيم هي الكاملة.

مداخلة: إذا نسي أول الوضوء؟

○ **الجواب**: إذا نسي عند الوضوء ما عليه شيء.

مداخلة: يعني: لو تذكر أثناء الوضوء يسمي؟

الشيخ: الجمهور على أنها مستحبة، وذهب أحمد وجماعة إلى وجوبها في الوضوء، وعلى القول بالوجوب إذا تركها ناسيًا فلا شيء عليه.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ! الذي يذبح أعداد كبيرة من الأبقار والأغنام أو غيرها من الحيوانات، يكفي أن يسمي في البداية أو..؟**

○ **الجواب**: لا، كل واحدة لها تسمية.

س: أحسن الله إليك، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ما يدل على أنه لو ترك..؟

○ **الجواب**: يعني: الذي تركت عليه التسمية فسق إذا تعمدها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبو أسامة، عن جَهِير بن

يزيد قال: سئل الحسن، سأله رجل أتيت بطير كَرًى فمنه ما قد ذبح فذكر اسم الله عليه، ومنه ما نسي أن يذكر اسم الله عليه، واختلط الطير، فقال الحسن: كُلْه، كله. قال: وسألت محمد بن سيرين فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه، عن ابن عباس، وأبي هريرة، وأبي ذر وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه**» وفيه نظر، والله أعلم[١].

وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي، من حديث مروان بن سالم القرقساني، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمِّي؟ فقال النبي ﷺ: «**اسم الله على كل مسلم**»[٢].

ولكن هذا إسناده ضعيف، فإن مروان بن سالم القرقساني أبا عبد الله الشامي، ضعيف، تكلم فيه غير واحد من الأئمة، والله أعلم.

وقد أفردت هذه المسألة على حدة، وذكرت مذاهب الأئمة ومآخذهم وأدلتهم، ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات، والله أعلم.

قال ابن جرير: وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية: هل نسخ من حكمها شيء أم لا؟ فقال بعضهم: لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عُنيت به. وعلى هذا قول عامة أهل العلم.

وروي عن الحسن البصري وعكرمة. ما حدثنا به ابن حُميد، حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن عكرمة والحسن البصري قالا:

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي برقم (٢٠٤٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٥/ ١٦١)، وابن ماجه برقم (٢٠٤٣ و٢٠٤٤).

(٢) الكامل في الضعفاء (٦/ ٣٨٥)، وضعف سنده الحافظ ابن كثير

قال الله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨)﴾، وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، فنسخ واستثنى من ذلك فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وقال ابن أبي حاتم: قرئ علي العباس بن الوليد بن مزيد، حدثنا محمد بن شعيب، أخبرني النعمان ـ يعني ابن المنذر ـ عن مكحول قال: أنزل الله في القرآن: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، ثم نسخها الرَّبُّ ورحم المسلمين فقال: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب.

ثم قال ابن جرير: والصواب أنه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب، وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه.

وهذا الذي قاله صحيح، ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فإنما أراد التخصيص، والله سبحانه وتعالى أعلم.

مداخلة: . . . يا شيخ.

الشيخ: نعم؟: يزيد والا مزيد شيخه؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: العباس بن الوليد بن يزيد عندنا؟

الشيخ: نعم ابن يزيد.

مداخلة: أو مزيد؟ . . .

الشيخ: العباس بن.

مداخلة: أحسن الله إليك! العباس بن الوليد بن يزيد.

الشيخ: هذا الظاهر أنه ابن مزيد، جده مزيد، الظاهر أنه مزيد، شُف التقريب.

مداخلة: هكذا عندنا أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هكذا عندنا.

الشيخ: مزيد؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: في التقريب؟

مداخلة: لا. لا، في نسخة الشعب.

الشيخ: انظر التقريب في زيادة، . . . . وإلا شيء.

مداخلة: ما حضر الله يحفظك.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما حضر التقريب.

الشيخ: والمقصود من هذا: أن ترك ما لم يذكر اسم الله عليه إذا كان متعمدًا أو سمي لغير الله هذا يحرم، أما إذا ترك التسمية ناسيًا أو جاهلًا فهو معفو عنه، لأجل أن هذا يغلب على الناس، يكثر منهم، ولهذا عفا الله عنا بقوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. إذا ذبح ناسيًا التسمية أو جاهلًا بالحكم فلا حرج في ذلك، والذبيحة صحيحة ومباحة، وهكذا ذبيحة أهل الكتاب وإن لم يسموا ذبيحتهم حل لنا؛ لأن الله أباح طعامهم لنا، سموا أو لم يسموا، ما نسأل، إلا إذا علمنا أنهم تعمدوا ترك التسمية، أو علمنا أنها ذبحت لغير الله تركنا ذلك، أو أنها ذبحت ذبحًا غير شرعي كالخنق والصعق، وإلا فالأصل الحل. فذبيحة المسلم وذبيحة أهل الكتاب حل لنا، إلا أن نعلم أنها وقعت على غير الوجه الشرعي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق قال: قال رجل لابن عمر: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه؟ قال: صدق، وتلا هذه الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾.

وحدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا عكرمة بن عمار، عن أبي زُمَيْل قال: كنت قاعدًا عند ابن عباس، وحج المختار ابن أبي عبيد، فجاءه رجل فقال: يا ابن عباس، وزعم أبو إسحاق أنه أوحي إليه الليلة؟ فقال ابن عباس: صدق، فنفرت وقلت: يقول ابن عباس صدق. فقال ابن عباس: هما وحيان، وحي الله، ووحي الشيطان، فوحي الله ﷻ إلى محمد ﷺ، ووحي الشيطان إلى أوليائه، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾.

وقد تقدم عن عكرمة في قوله: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ نحو هذا.

وقوله [تعالى: ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر قال: خاصمت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾(١).

هكذا رواه مرسلًا.

ورواه أبو داود متصلًا فقال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾(٢).

وكذا رواه ابن جَرير، عن محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وَكِيع، كلاهما عن عمران بن عيينة، به.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب الإرسال ويتقوى بالموصول التالي.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأضاحي، باب في ذبائح أهل الكتاب برقم (٢٨١٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز:

وهذا واضح؛ لأن الرسول ﷺ ختم الله به الرسالات، فالوحي الذي من الله قد انقطع بموت محمد ﷺ، وانتهت الرسالة والنبوة، ختمها الله بمحمد عليه الصلاة والسلام، فمن ادعى بعده النبوة أو الرسالة أو معه كمسيلمة فذلك من وحي الشيطان، فما ادعاه مسيلمة والأسود العنسي والمختار بن أبي عبيد وأشباههم كل هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾، ومن قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]. فما يدَّعيه الكذبة كله من وحي الشيطان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورواه البزار، عن محمد بن موسى الحَرَشي، عن عمران بن عيينة، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كذا عندكم، الحرشي؟ بالحاء عندكم؟

مداخلة: الحرشي؛ نعم.

الشيخ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة:

(**أحدها**): أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.

(**الثاني**): أن الآية من الأنعام، وهي مكية.

(**الثالث**): أن هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الجرشي، عن زياد بن عبد الله البكائي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس. ورواه الترمذي بلفظ: أتى ناس النبي ﷺ فذكره وقال: حسن غريب، رُوي عن سعيد بن جبير مرسلًا.

وقال الطبراني: حدثنا علي بن المبارك، حدثنا زيد بن المبارك، حدثنا موسى بن عبد العزيز، حدثنا الحكم بن أبان، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ أرسلت فارس إلى قريش: أن خاصموا محمدًا وقولوا له: كَمَا تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله ﷻ بشمشير من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ قال: الشياطين من فارس، وأولياؤهم من قريش.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من الدلائل على أن من استحل ما حرَّم الله؛ كفر، ما حرم الله مما عُلم من الدين بالضرورة إذا استحله كفر؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾، يعني: استحللتم الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾، فمن استحل ما حرم الله أشرك، مما هو معروف مجمع عليه كاستحلال الزنا.. الخمر.. الربا بجميع أنواعه.. عقوق الوالدين.. ترك الصلاة، إلى غير ذلك، إذا استحل أمور محرمًا مجمعًا عليه - يعني: قامت عليه الأدلة - كفر، نسأل الله العافية، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾، يعني: إذا استحلوا الميتة التي حرم الله التي لا شبهة فيها كفر، كمن استحل الشرك أو استحل الزنا أو استحل اللواط، أو استحل العقوق للوالدين. نسأل الله العافية.

مداخلة: ... عندنا الجرشي؟

الشيخ: عندكم بالجيم؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: نعم، يراجع، ضع عليه إشارة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا إسرائيل، حدثنا سِماك، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾

يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوه. وما ذبحتم أنتم فكلوه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم، عن عمرو بن عبد الله، عن وكيع، عن إسرائيل، به[١]. وهذا إسناد صحيح[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من عادة أهل الباطل التشبيه والتلبيس؛ لأن أهل الباطل في مكة حريصون على الاعتراض على النبي ﷺ والصحابة؛ لحرصهم على التكذيب والإنكار، فبيَّن الله ﷻ هذا الأمر، وأن الواجب طاعة الله ورسوله ﷺ في كل شيء، والحذر من معصيته سبحانه، ولو دعا الناس إلى ذلك وقالوا: افعلوا كذا وافعلوا كذا، فلا سمع ولا طاعة، الواجب التمسك بما أمر الله به، وبما أباح الله وبما حرم، والحذر من طاعة أعداء الله في ترك الأوامر أو ارتكاب النواهي.

مداخلة: واليهود.

واليهود لا يحبون الميتة.

الشيخ: لا يبيحون؟

مداخلة: يحبون.

الشيخ: لا يبيحون أو لا يحلون؟

مداخلة: لا يحبون.

الشيخ: كذا عندكم؟

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأضاحي، باب في ذبائح أهل الكتاب برقم (٢٨١٨)، وابن ماجه في كتاب الذبائح، باب التسمية عند الذبح برقم (٣١٧٣). وأخرجه ابن أبي حاتم والحاكم من طريق سماك به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٢٣١)، وصححه الحافظ ابن كثير..

(٢) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: عن سماك عن عكرمة فيه كلام لأهل العلم، منهم من ضعفه؛ لأن رواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب، ولكن في كل حال معنى الآية واضح..

مداخلة: لا يحبون.

مداخلة: كذا عندنا.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: نفس الشيء، يحبون.

الشيخ: يحبون؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: لا، ما هو بظاهر، ضع عليها إشارة، إما لا يبيحون وإلا لا يحلون؟ وإنما الكلام مع الوثنيين.

وعلى كل حال يحبون تصحيف يبيحون، أقرب.

مداخلة: نعم؟

الشيخ: يبيحون أولى من يحلون، . . . بعيدة تصحيف، يبيحون بس تقديم، تقدم الحاء.

مداخلة: . . . ؟

الشيخ: يبيحون، الباء قبل الحاء.

مداخلة: ويزيد حرفًا آخر؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ويزيد حرفًا آخر أيضًا.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الياء.

الشيخ: إيه، يبيحون، الياء بعد الحاء، نعم، الباء تصير ياء ويقدم بعد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورواه ابن جرير من طرق متعددة، عن ابن عباس، وليس فيه ذكر اليهود، فهذا هو المحفوظ، والله أعلم.

وقال ابن جُرَيْج: قال عمرو بن دينار، عن عكرمة: إن مشركي قريش كاتَبوا فارس على الروم، وكاتبتهم فارس، وكتب فارس إلى

مشركي قريش: أن محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله، فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه - للميتة وما ذبحوه هم يأكلون. فكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد رسول الله ﷺ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء، فأنزل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ۝١٢١﴾ ونزلت: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾.

وقال السُّدِّي في تفسير هذه الآية: إن المشركين قالوا للمؤمنين: كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله، وما ذبح الله فلا تأكلونه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه؟ فقال الله: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ فأكلتم الميتة ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ۝١٢١﴾.

وهكذا قاله مجاهد، والضحاك، وغير واحد من علماء السلف، رحمهم الله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ۝١٢١﴾؛ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدَّمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد روى الترمذي في تفسيرها، عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله، ما عبدوهم، فقال: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»[١]، هذا حديث غريب.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنعام برقم (٣٠٩٥)، وضعَّفه بقوله: هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف بالحديث. وغطيف ضعفه الحافظ ابن حجر (التقريب ص٤٤٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله العافية. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعني: يحلون ما أحلوا، ويحرِّمون ما حرموا، من غير مبالاة بشرع الله، نعم. نسأل الله العافية.

* *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ **[الأنعام: ١٢٢]**[(١)].

هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتًا؛ أي: في الضلالة، هالكًا حائرًا، فأحياه الله؛ أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله. ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: يهتدي به كيف يسلك، وكيف يتصرف به. والنور هو: القرآن، كما رواه العَوْفي وابن أبي طلحة، عن ابن عباس. وقال السُّدِّي: الإسلام. والكل صحيح.

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾؛ أي: لا يهتدي إلى منفذ، ولا مخلص مما هو فيه، [وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله** عَزَّ وَجَلَّ **خَلَقَ خَلقَهُ في ظُلمةٍ فألقى عَلَيهِم مِن نُورهِ فَمَنْ أصَابهُ من ذَلك النُّور اهْتَدى ومن أخطأه ضَلَّ كما قال تعالى:** ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٩ ـ ٨ ـ ١٤١٣هـ.

إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مثل عظيم يبيِّن. بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللّهم صلِّ على رسول الله. يبيِّن للناس الفرق العظيم بين المؤمن الموفق المهدي وبين الكافر الضال الحائر، فالله ﷻ يوفق من يشاء من عباده، فيهديهم لما جاءت به رسله من الهدى، ويشرح صدورهم لذلك، فيكونوا أحياءً بعد أن كانوا أمواتًا بالكفر والضلال؛ كما شرح صدر أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة، فخالفوا قومهم وقاتلوهم وجاهدوهم على هذا النور الذي هداهم الله. وهكذا كل مؤمن يهديه الله لهذا النور؛ هو بين الناس في نور وهدى وعلى صراط مستقيم، والناس حوله في ظلمة لا يهتدون السبيل؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا﴾، يعني: بالكفر والضلال والجهل، ﴿فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾، بالعلم والإيمان الذي بعث الله به نبيه محمد ﷺ، فصار له نور يمشي به بين الناس، هذا الهدى الذي أعطاه الله إياه من القرآن العظيم والسنة المطهرة، صار نورًا له يمشي به في الناس؛ كالذي يمشي بالسراج وبالقمرا، والناس في الجهات الأخرى في ظلمة، هذا يعرف الطريق كيف يذهب، كيف يرجع، كيف يتقدم، كيف يتأخر، كيف يأخذ عن يمينه وعن شماله، على بصيرة. بخلاف الآخر، وهو الذي في الظلمات، بكفره وضلاله، واستكباره عن الحق، هو ميت: بكفره وضلاله، في الظلمات: بجهله وعدم علمه، فلا حياة ولا نور؛ لأن قلبه ميت بالكفر، فليس به حياة، ومظلم: بالجهالات والكفريات والوساوس والشبهات التي بلي بها. فليحمد الله من هداه الله لهذا النور، ومن أعطاه الله هذه الحياة يحمد الله كثيرًا، وليشكره كثيرًا، وليسأله الثبات على هذا النور وهذا الهدى وهذه الحياة.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة برقم (٢٦٤٢)، والإمام أحمد (٢/ ١٧٦).

وفي هذا المعنى يقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، يخاطب النبي ﷺ، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشورى: ٥٢]، يعني: يا محمد، ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، يعني: وحي، سمَّاه الله روح، لأن هذا الروح تحصل به الحياة، سمَّى الله وحيه روحًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، يعني: قبل هذا الروح، قبل هذا الوحي ما كنت تدري ما الكتاب، ما عندك خبر، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، جعل الله هذه الروح نور. فالقرآن العظيم والسنة المطهرة روح ونور، روح تحصل به الحياة، ونور تحصل به الهداية والبصيرة، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ما كان يدري قبل ذلك؛ حتى جاءه الكتاب والإيمان، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ [الشورى: ٥٢]، يعني: جعلنا وحينا نورًا ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ﴾ [الشورى: ٥٢]، يعني: يا محمد، ﴿لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، هذا الصراط المستقيم: هو الوحي، هو الروح، هو الهدى الذي بعث الله به نبيه، هو الإسلام، هو الإيمان، هو طاعة الله ورسوله، هذا الصراط المستقيم، الذي يهدي إليه محمد عليه الصلاة والسلام ويدعو إليه، ويدعوا إليه علماء الحق ودعاة الهدى، وهو المراد في قوله ﷻ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، وهو المراد في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. فهذا الصراط: هو النور، وهو الروح، هو العلم النافع والعمل الصالح، وهو صراط المنعم عليهم بالعلم والعمل، وهم أتباع الرسول ﷺ الذين عرفوا الحق بأدلته وعملوا به. فهم المنعم عليهم، ومن عداهم ضال خاسر، لم يوفق لهذه النعمة ولم يفز بهذه النعمة؛ لجهله وضلاله وكفره وبعده عن الحق، نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك! الحديث الذي ذكره المؤلف: «**إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ**»؟

الشيخ: . . . حديث جيد، رواه أحمد بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ فَلِذَلِكَ أَقُولُ جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ**»(١)، والأصل الظلمة والهدى مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا منافاة بين «**ما من مولود يولد على الفطرة**»(٢)، يعني: هذي الفطرة التي بعث الله بها الرسل، فالمولود يولد عليها، لكن أصل الخلقة، أصله على ظلمة، ثم جاءت الرسل بالنور، الذي أرسله الله عليهم، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ١٩ ـ ٢٣]. والآيات في هذا كثيرة، ووجه المناسبة في ضرب المثلين هاهنا بالنور والظلمات، ما تقدم في أول السورة: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معيَّنان، فقيل: عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتًا فأحياه الله، وجعل له نورًا يمشي به في الناس. وقيل: عمار بن ياسر. وأما الذي في الظلمات ليس بخارج

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٧٨).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ برقم (٤٧٧٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة. . . إلخ برقم (٢٦٥٨).

منها: أبو جهل عمرو بن هشام، لعنه الله. والصحيح أن الآية عامة، يدخل فيها كل مؤمن وكافر.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾؛ أي: حسَّنًا لهم ما هم فيه من الجهالة والضلالة، قدرًا من الله وحكمة بالغة، لا إله إلا هو وحده لا شريك له.

مداخلة: أحسن الله إليك! وعيده حديث عياض الذي في صحيح مسلم، حديث قدسي: «**خلقت عبادي حنفاء**»؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: . . . الأصل؟

الشيخ: بعد الظلمة، التي خلقوا فيها أولًا، وأعطاهم الله هذا النور فصاروا حنفاء، الذين أراد الله لهم الهداية يعني، (فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم)، فالأصل هم ولدوا على الفطرة التي فطروا عليها، من الدين والإيمان والنور، ولا منافاة بين كون أصلهم في ظلمة ثم جاء الله لهم بهذا النور، خلقهم على هذا النور، فمنهم من استمر عليه، ومنهم من اجتالته الشياطين وصدته عنه، نسأل الله السلامة. المقصود لا بد من الجمع بين الروايات، وحديث: «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ**»[(١)] في الصحيح، أصح من حديث (خلقت عبادي في ظلمة)، وحديث: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»[(٢)]، أصح أيضًا في الصحيحين، هذين الأحاديث أصح من حديث: «**إن الله خلق عباده في ظلمة**»، لكن لو أمكن الجمع بينهما، بين هذه الأحاديث؛ لأن حديث: «**إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ فَلِذَلِكَ أَقُولُ جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى**

---

(١) سبق تخريجه في (٦/ ٢٥٦).

(٢) سبق تخريجه في (ص٢٨٠).

عِلْم اللهِ»[١]، قد راجعته قديمًا فلا بأس بمراجعته مدة، والذي أظهر، أعلَم عنه، أنه لا بأس بإسناده، فلا بد من حمله على حالة سليمة، ما تنافي هذه الأحاديث، وإلا فيكون شاذًّا. ولكنه فيما يظهر أن الأصل الظلمة ثم أعطى الله العباد الحنفاء النور، ولدوا عليه على الفطرة، بعد تلك الظلمة، ولدوا عليها ثم جاءتهم الشياطين؛ ومن جملة ذلك: «**فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه**»، فإن أبواه من شياطين الإنس، تزين لهم الشياطين حتى يُهَوِّدا أو يُمَجِّسا أو يُنَصِّرا أولادهم.

مداخلة: يحتمل أحسن الله إليك! أن يكون حديث الفطرة عامة وحديث النور خاص، حديث النور لمن وفَّقه الله للهداية فيما بعد، الفطرة عامة معرفة الله ومعرفة نبيه ثم بعد ذلك جاء النور، من أصابه النور اهتدى، واتبع الرسل، ومن لم يصبه النور اجتالته الشياطين في الكفر.

الشيخ: إي فقط هو الحديث: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ**»، وعندنا «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ**»، كلها خلقت عبادي، حديث حنفاء صحيح، في الصحيح، «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ**»، يعني: المتبادر... بعض المعارضة، بعض المخالفة، ويحتمل أنهم خلقوا في الظلمة حنفاء، خلقوا حنفاء لكن في ظلمة، فمن أصابه النور بعد خلقهم صار إلى الهداية وسلم من الشياطين، ومن أخطأه ذاك النور هلك، يحتمل هذا.

مداخلة: أحسن الله إليك! قال بعضهم: أنهم خلقوا معهم أصل الهداية، لا الهداية الكاملة، أصل الاستعداد وقبول الحق، ثم جاءت الرسل؟

الشيخ: لا، قال: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ**» والحنيف: موحِّد لله.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٧٨).

مداخلة: يا شيخ! تخريج حديث فِي ظُلْمَةٍ؟

الشيخ: على كل حال أصل حديث الفطرة وحديث: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ**»، أصح، أن تبين، أن توضح وجه الجمع وإلا فالأصل هذه يكون ذاك شاذ.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: مع إعادة النظر إن شاء الله... إعادة النظر... يكون في تكملة البحث في الاثنين الآتي إن شاء الله، ... يجمع طرق حديث: (خلقت عبادي في ظلمة).

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ!

الشيخ: نعم.

مداخلة: ما يعتبر حديث الذي في مسلم: «**كلكم ضال إلا من هديته**»، ألا يسند هذا الحديث الذي في مسند أحمد؟ الحديث القدسي: «**كلكم ضال إلا من هديته**»؟

الشيخ: قد يقال: أنه يؤيده قد يقال: يؤيده؛ لأن الضلالة: جهالة، الضلالة: هي الجهالة.

مداخلة: الحافظ ابن رجب عفا الله عنك! عند حديث أبي ذر هذا القدسي تكلم عنه.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الحافظ ابن رجب، شرح الأربعين.

الشيخ: نعم.

مداخلة: تكلم عن خلاف «**كلكم ضال إلا من هديته**»، وحديث: «**خلقت عبادي حنفاء**».

الشيخ: لعله يكون فيه لعله يكون في كلامه، يراجع كلامه لعل فيه شيء من الفائدة إن شاء الله.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣ ـ ١٢٤][1].

يقول تعالى: وكما جعلنا في قريتك ـ يا محمد ـ أكابر من المجرمين، ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله، وإلى مخالفتك وعداوتك، كذلك كانت الرسل من قبلك يُبْتَلون بذلك، ثم تكون لهم العاقبة، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ [وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾] [الفرقان: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا [فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾] [الإسراء: ١٦]، قيل: معناه: أمرناهم بالطاعات، فخالفوا، فدمرناهم. وقيل: أمرناهم أمرًا قدريًّا، كما قال هاهنا: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ قال: سَلَّطنا شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب.

وقال مجاهد وقتادة: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ قال عظماؤها.

قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤، ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب يوم الأحد ١٦ ـ ٨ ـ ١٤١٣هـ.

قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

والمراد بالمكر هاهنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفِعال، كما قال تعالى إخبارًا عن قوم نوح: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿...وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابنُ أبي عمر، حدثنا سفيان قال: كل مكر في القرآن فهو عمل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾؛ أي: وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم، كم قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقال: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة، قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة، كما تأتي إلى الرسل، كقوله جلّ وعلا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا [لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾] [الفرقان: ٢١].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ أي: هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ الآية [الزخرف: ٣١، ٣٢]؛ يعنون: لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير مبجَّل في أعينهم ﴿مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾؛ أي: مكة والطائف. وذلك لأنهم ـ قبَّحهم الله ـ كانوا يزدرون بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بغيًا

وحسدًا، وعنادًا واستكبارًا، كما قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من باب المكابرة وإظهار الصَّد، وهم يعرفون فضله وأمانته وصدقه، وأنه خيرهم وأفضلهم، لكن الحسد والبغي والتكبر يحمل صاحبه على الكذب ورمي خصمه بما هو يعلم أنه بريء منه، لكن يحمله الحسد والكذب والبغي، نسأل الله العافية، هم يعرفون أنه الأمين، وأنه الصادق، وأنه المعروف بالأخلاق الفاضلة عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]. هذا وهم يعترفون بفضله وشرفه ونسبه. وطهارة بيته ومرباه ومنشئه، حتى أنهم كانوا يسمُّونه(١) بينهم قبل أن يوحى إليه: «الأمين»، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار «أبو سفيان» حين سأله «هرقل» ملك الروم: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، الحديث(٢) بطوله الذي استدل به ملك الروم بطهارة صفاته، عَلَيْهِ السَّلَامُ، على صدقه ونبوته وصحة ما جاء به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن مُصعب، حدثنا الأوزاعي، عن شَدَّاد أبي عمار، عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الشيخ: لا، اكسر، بالكسر، ما جاء بعد حتى يكسر.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب رقم (٦/ برقم ٧)، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام برقم (١٧٧٣).

«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»(١).

انفرد بإخراجه مسلم من حديث الأوزاعي ـ وهو عبد الرحمٰن بن عمرو إمام أهل الشام، به نحوه.

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»**(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نُعَيم، عن سفيان، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث ابن نوفل، عن المطلب بن أبي وداعة قال: قال العباس: بلغه ﷺ بعضُ ما يقول الناس، فصعد المنبر فقال: **«مَنْ أَنَا»**. قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ **«أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ وَجَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا»**(٣). صدق صلوات الله وسلامه عليه.

وفي الحديث أيضًا المروي عن عائشة، ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«قال لي جبريل: قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلًا أفضل من محمد، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب**

---

(١) أخرجه مسلم من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي به، بدون قوله: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ»** في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ برقم (٢٢٧٦)، والإمام أحمد (٤/ ١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ برقم (٣٥٥٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٠).

أفضل من بني هاشم». رواه الحاكم والبيهقي[(١)]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر، حدثنا عاصم، عن زِرِّ بن حُبَيْش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَما رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ[(٢)].

مداخلة: في عندنا يا شيخ! فوجد قلب محمد.

الشيخ: ساقط عندك.

مداخلة: نعم؟

الشيخ: فوجد قلب محمد، الذي عندكم ماذا؟

مداخلة: فوجد قلب محمد خير قلوب العباد.

الشيخ: نعم، ساقط عندك؟

الشيخ: فوجد قلب محمد، صلِّح على الحاشية، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، كذا عندكم؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: خير قلوب العباد.

الحكم على حديث: إن الله نظر في قلوب العباد...

الشيخ: وهذا إسناده صحيح، ومعناه صحيح، سنده صحيح ومعناه صحيح، فإن أفضل العباد هو محمد عليه الصلاة والسلام، وقلبه أفضل القلوب، وخير القلوب؛ كما في الحديث الآخر: «**إن الله اصطفاني من**

(١) أخرجه البيهقي من طريق الحاكم (دلائل النبوة ١/ ١٧٦)، والطبراني (المعجم الأوسط) (٦٢٨٥)، وابن أبي عاصم (السنة ح ١٤٩٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٧٩).

بني هاشم واصطفى من بني إسماعيل كنانة.. إلخ»[١]، وقال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»، ثم اصطفى من الأمة قلوب أصحابه، اختارهم، وفَّقهم وهداهم إلى الإسلام، فهم خير القرون، ثم بعد ذلك القرن الثاني وهكذا. «**فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ**»، هذا من أدلة صحة الإجماع، وأنه حجة، ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حقًّا فهو حق، وما أجمعوا على أنه باطل فهو باطل؛ لأنهم لا يجمعون على ضلال، «**لا تزال فيهم طائفة على الحق منصورة**»، فإذا أجمعوا ففيهم الطائفة المنصورة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أحمد: حدثنا شُجاع بن الوليد قال: ذكر قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا سَلْمَانُ لَا تَبْغَضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَبْغَضُكَ وَبِكَ هَدَانَا اللهُ؟ قَالَ: «**تَبْغَضُ الْعَرَبَ فَتَبْغَضُنِي**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا سند ضعيف، ولكن بُغض النبي ﷺ ردَّة عن الإسلام، وأما بغض العرب فيه تفصيل، إن كان أبغضهم لأنهم رهط النبي ﷺ، أو يبغضهم ومعهم النبي ﷺ، أو معهم الصحابة فهذا كفر أيضًا، من حيث المعنى. أما إذا أبغض بعض العرب لأشياء أخرى في نفسه، هذا شيء آخر، المقصود بغض العرب على الإطلاق لا يكون من مسلم أبدًا لأن فيهم الصحابة، وفيهم النبي ﷺ، والعلة في هذا قابوس بن أبي ظبيان، قابوس مضعف الحديث.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٠٧)، وأخرجه مسلم في طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي مختصرًا في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ برقم (٢٢٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب،باب في فضل العرب برقم (٣٩٢٧)، قال الترمذي: حسن غريب، والإمام أحمد (٥/ ٤٤٠).

الأسئلة:

حكم بغض المؤمنين عمومًا.

• **س: يا شيخ! بغض المؤمنين ردَّة أو؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: بغض المؤمنين؟

الشيخ: على العموم؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: نعم.

مداخلة: ردة عن الإسلام؟

○ **الجواب:** ما في شك، أما إذا أبغض بعض المؤمنين لأجل شيء بينه وبينهم، شحناء أو عداوة لا، بغض المؤمنين عمومًا الذي منهم الصحابة، بغض المؤمنين بلا شك، أينما كانوا، بغض المؤمنين لأنهم آمنوا بالله ورسوله؟ ردة لأن هذا يبغض الله ويبغض الدين، ما أبغضه إلا لبغض الدين.

الملقي: وذكر ابن أبي حاتم.

تفضيل جنس العرب على جنس العجم:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية: ذُكِرَ عن محمد بن منصور الجواز، حدثنا سفيان، عن ابن أبي حسين قال: أبصر رجل ابن عباس وهو يدخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه، فقال: من هذا؟ قالوا: ابن عباس ابن عم رسول الله ﷺ. قال: «**الله أعلم حيث يجعل رسالته**»[1].

وقوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، ورجاله ثقات؛ لكنه معلَّق لأن ابن أبي حاتم لم يسمع من محمد بن منصور الجواز «حكمت».

﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ١٢٤﴾ هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد، لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاؤوا به، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله ﴿صَغَارٌ﴾ وهو الذلة الدائمة، لما أنهم استكبروا أعقبهم ذلك ذُلًّا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: صاغرين ذليلين حقيرين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا، الجزاء من جنس العمل، فمن تكبَّر في الدنيا أذلَّه الله يوم القيامة، ومن ذل في الدنيا وتواضع أعزه الله يوم القيامة، فالجزاء من جنس العمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ١٢٤﴾ لما كان المكر غالبًا إنما يكون خفيًّا، وهو التلطف في التحيل والخديعة، قوبلوا بالعذاب الشديد جزاءً وفاقًا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]؛ أي: تظهر المستترات والمكنونات والضمائر. وجاء في الصحيحين، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الْغَادِرَ يَنْصِبُ اللهُ لَهُ لِوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ أَلَا هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا وعيد عظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله، لواء عند استه، يعرف به أنه غدار في الدنيا، نسأل الله العافية، يعني: عند عجيزته، على فخذه، على عجيزته، يمشي به بين الناس، لواء عليه، هذه غدرة فلان،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر برقم (٣١٨٨)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر برقم (١٧٣٥).

يعني: مكتوب عليها هذه غدرة فلان بن فلان، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خَفِيًّا لا يطَّلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير عَلَمًا منشورًا على صاحبه بما فعل.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥](١).

يقول تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾؛ أي: ييسره له وينشطه ويسهله لذلك، فهذه علامة على الخير، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ [فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ]﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

قال ابن عباس: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يقول: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به، وكذا قال أبو مالك، وغير واحد. وهو ظاهر.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا الثوري، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي جعفر(٢) قال: سُئل النبي ﷺ: أيّ المؤمنين أكْيَس؟

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب يوم الأحد ١٦ ـ ٨ ـ ١٤١٣هـ.

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر: ذكر السيوطي أنه رجل من بني هاشم أبو جعفر وليس =

= هو محمد بن علي يعني: الباقر، وقال: أبو جعفر عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب أبو جعفر الهاشمي المدائني، روى عنه عمرو بن مرة وخالد بن أبي كريمة، مترجم في ابن أبي حاتم، وتاريخ بغداد، وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان، قال الخطيب: سكن المدائن وحدَّث بها عن محمد ابن الحنفية وهو ضعيف كذاب، قال جرير بن رقبة: كان أبو جعفر الهاشمي يضع أحاديث كلام حق عن رسول الله ﷺ، فاختلط بأحاديث رسول الله ﷺ، فاحتمله الناس. وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: أبو جعفر المدائني اسمه عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب، قال أبي: اضرب على حديثه، كان يضع الحديث ويكذب، وقد تركت أنا حديثه، وكان عبد الرحمٰن بن مهدي لا يحدثنا عنه، وقال ابن أبي حاتم: سئلت أبي عن أبي جعفر الهاشمي، فقال: الهاشميون لا يعرفونه، وهو ضعيف الحديث، يحدث بمراسيل لا يوجد لها أصل في أحاديث الثقات. وقد ذكر ابن كثير هذه الأخبار ثم قال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا والله أعلم، ثم قال: وأخطأ الحافظ جدًّا كما ترى؛ فإن حديث أبي جعفر الهاشمي أحاديث كذاب وضاع لا تشد شيئًا ولا تحله، كتبه محمود محمد شاكر، انتهى..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في إطلاقه، يوهم إطلاق الرواية إلا من... أن عمرو بن مرة.

يروي عن هذا دون الآخر، والمعنى الذي ذكره جيد لكن ما دام بهذه الصفة فهو لا يعوَّل على حديثه، ما دام يضع الحديث ولا يبالي، وإن كان معانيه صحيحة، فبعض الكذابين يتعمد أشياء واضحة طيبة ويضعها حتى يصدَّق، وهذا معناه صحيح، لكن لا يجوز وضعه على الرسول ﷺ ولا الكذب عليه ولو كان صحيح. لا يجوز واحد يكذب على الرسول ﷺ أبدًا، ولا يقول قال الرسول ﷺ كذا وإن كان حقًّا، وإن كان الكلام حق، يقول: أن التقوى حق، أو أن الإيمان حق، أو أن الرسول...، لا يقول عن الرسول ﷺ شيئًا ما قاله، هذا منكر عظيم، نسأل الله العافية، وإلا هذا... كلام حق، الاستعداد للموت قبل نزوله، والإكثار من ذكر الله، كل هذا.. الله المستعان. المقصود عرفنا أنه ضعيف، وإن كان المعنى صحيح لكن الحديث ضعيف، أو موضوع.

قال: «**أكثرهم ذكرًا للموت، وأكثرهم لما بعده استعدادًا**». قال: وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ وقالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «**نور يُقْذَف فيه، فينشرح له وينفسح**». قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرف بها؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مرسل؛ لأن أبا جعفر، الظاهر أنه يعني به: أبا جعفر الباقر، هو مرسل، لكن معناه عظيم، الله المستعان، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا هَنَّاد، حدثنا قَبِيصَة، عن سفيان ـ يعني الثوري ـ عن عمرو بن مُرَّة، عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن، قال: سئل النبي ﷺ عن قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فذكر نحو ما تقدم

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن إدريس، عن الحسن بن الفرات القزاز، عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح**، قالوا: يا رسول الله، هل لذلك من أمارة؟ قال: **نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت**»(١).

وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبري، حدثنا المعتمر بن سليمان، سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة، عن أبي جعفر فذكره.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن عمرو بن قَيْس، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن المِسْوَر

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وسنده ضعيف ص٣ بسبب أبي جعفر.

قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قالوا: يا رسول الله، ما هذا الشرح؟ قال: «**نور يقذف به في القلب**». قالوا: يا رسول الله، فهل لذلك من أمارة؟ قال «**نعم**» قالوا: وما هي؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت**».

وقال ابن جرير أيضًا: حدثني هلال بن العلاء، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد، حدثنا محمد بن سَلمَة، عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنَيْسة، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح**». قالوا: فهل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود، والتنحي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لُقي الموت**».

وقد رواه ابن جرير من وجه آخر، عن ابن مسعود متصلًا مرفوعًا فقال: حدثني بن سِنان القزاز، حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي، عن يونس، عن عبد الرحمٰن بن عبيد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قالوا: يا رسول الله، وكيف يُشْرَح صدره؟ قال: «**يدخل الجنة فينفسح**». قالوا: وهل لذلك علامة يا رسول الله؟ قال: «**التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت**».

فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة، يشد بعضها بعضًا، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قرئ بفتح الضاد وتسكين الياء، والأكثرون: ﴿ضَيِّقًا﴾ بتشديد الياء وكسرها، وهما لغتان: كَهَيْن وهَيِّن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، هذه كلمات محدودة هَيْن وهَيِّن، ونيْف ونيِّف، ولَيْن وليِّن،

وضيق وضيق، يخفف ويحرك، ضيق وضيق، نيف ونيف، لين ولين، ضيق وضيق. .

مداخلة: أربع؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أربع فقط؟

الشيخ: يمكن لها خوات، هذه أذكرها الحين، نيف، ولين، وضيق، وهين، نعم.

مداخلة: تحسين الذي ذهب إليه ابن كثير؟

الشيخ: ما هو ببعيد، الطرق كثيرة، خلافًا لما قاله أحمد شاكر، ما هو ببعيد، والمعنى أيضًا جيد.

مداخلة: في آخر تخريج للشيخ ناصر.

الشيخ: نعم.

مداخلة: قال في آخره: وجملة القول أن هذا الحديث ضعيف، لا يطمئن القلب لثبوته عن رسول الله ﷺ لشدة الضعف الذي بجميع طرقه، وبعضها أشد ضعفًا من بعض، فليس فيها ما ضعفه يسير يمكن أن ينجبر، خلافًا لما ذهب إليه ابن كثير، وإن قلده في ذلك جماعة. . . في التفسير.

الشيخ: نعم، يحتاج إلى تأمل، نعم ابن كثير رحمه الله إمام وهو أعلم منهم بهذه الصنعة جميعًا رحمهم الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقرأ بعضهم: ﴿حَرِجًا﴾ بفتح الحاء وكسر الراء، قيل: بمعنى آثم. وقال السُّدِّي. وقيل: بمعنى القراءة الأخرى ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الحاء والراء، وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى، ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه.

وقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا من الأعراب من أهل البادية من مُدْلج: ما الحرجة؟ قال هي الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها

راعية، ولا وحشية، ولا شيء. فقال عمر رضي الله عنه: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

وقال العَوْفي عن ابن عباس: يجعل الله عليه الإسلام ضيقًا، والإسلام واسع. وذلك حين يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق.

وقال مجاهد والسُّدِّي: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ شاكا. وقال عطاء الخراساني: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ ليس للخير فيه منفذ. وقال ابن المبارك، عن ابن جُرَيْج: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بلا إله إلا الله، حتى لا تستطيع أن تدخله، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه. وقال سعيد بن جُبَيْر: يجعل صدره ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ قال: لا يجد فيه مسلكًا إلا صُعدًا.

وقال السُّدِّي: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من ضيق صدره.

وقال عطاء الخراساني: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء. وقال الحكم بن أبان عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه، حتى يدخله الله في قلبه.

وقال الأوزاعي: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقًا أن يكون مسلمًا.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة تضيقه إياه عن وصول الإيمان إليه. يقول: فمثله في امتناعه من قَبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه؛ لأنه ليس في وسعه وطاقته.

وقال في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ يقول: كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقًا حرجًا، كذلك

يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله، فيغويه ويصده عن سبيل الله.

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: الرجس: الشيطان. وقال مجاهد: ﴿ٱلرِّجۡسَ﴾ كل ما لا خير فيه. وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: الرجس: العذاب.

● **س: الحكمة من تفضيل جنس العرب على جنس العجم الآن؟**

الشيخ: الجواب: عند أهل السنة يقولوا: جنس العرب أفضل من جنس العجم.

مداخلة: لماذا.

الشيخ: لأن الله بعثه فيهم، وأنزل قرآنه بلسانهم ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢]، ﴿حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ﴾ [الرعد: ٣٧]. ولفصاحة لسانهم، وكون السابقين للإسلام أكثرهم منهم؛ لكن من جهة الدين لا عبرة إلا بالتقوى، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٣]، هذا من جنس أنسابهم يعني. أما من جهة الدين مثل ما قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله ﷺ: «**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ على عربي إِلَّا بِالتَّقْوَى**»(١).

ذكرنا شيء من هذا في الرسالة التي كتبناها في نقد القومية العربية.

● **س: أحسن الله إليك! الكفاءة شرط في صحة النكاح.**

○ **الجواب**: ليس بشرط، ليست شرطًا على الصحيح، إلا في الدين والحرية.

مداخلة: إذا كان العرف؟

الشيخ: ولو، ليس بشرط؛ لكن الإنسان لا يتعاطى شيء يسبب مشاكل أو شحناء، ما له لزوم.

*

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤١١).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٧﴾ [الأنعام: ١٢٦ ـ ١٢٧][١].

لما ذكر تعالى طريقة الضالين عن سبيله، الصَّادِّين عنها، نبَّه على أشرف ما أرْسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ﴾ منصوب على الحال؛ أي: هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن، وهو صراط الله المستقيم، كما تقدم في حديث الحارث، عن علي [رضي الله عنه] في نعت القرآن: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ**» رواه أحمد والترمذي بطوله[٢].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾؛ أي: قد وضَّحناها وبيَّناها وفسَّرناها، ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦﴾؛ أي: لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ وهي: الجنة، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۖ﴾؛ أي: يوم القيامة. وإنما وصف الله الجنة هاهنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم، المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم، فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفْضَوا إلى دار السلام.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾؛ أي: والسلام ـ وهو الله ـ وليهم؛ أي: حافظهم

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن برقم (٢٩٠٦)، والإمام أحمد (١/ ٩١).

وناصرهم ومؤيدهم، ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾؛ أي: جزاء [على] أعمالهم الصالحة تولاهم وأثابهم الجنة، بمنّه وكرمه.

❊

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ **[الأنعام: ١٢٨]**(١).

يقول تعالى: واذكر يا محمد فيما تقصه عليهم وتذكرهم به ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾؛ يعني: الجن وأولياءهم ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا، ويعوذون بهم ويطيعونهم، ويوحي بعضهم إلى بعض زُخرف القول غرورًا. ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ﴾، ﴿ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي: ثم يقول: يا معشر الجن. وسياق الكلام يدل على المحذوف.

ومعنى قوله: ﴿قَدِ﴾، ﴿ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي: من إضلالهم وإغوائهم، كما قال [تعالى]: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠ - ٦٢].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ يعني: أضللتم منهم كثيرًا. وكذلك قال مجاهد، والحسن، وقتادة.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا﴾؛ يعني: أن أولياء الجن من الإنس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا.

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الأشهب هَوْذَة بن خليفة، حدثنا عَوْف، عن الحسن في هذه الآية قال: استكثر ربكم أهل النار يوم القيامة، فقال أولياؤهم من الإنس: ربنا استمتع بعضنا ببعض. قال الحسن: وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت، وعملت الإنس.

وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ قال: الصحابة في الدنيا.

وقال ابن جُرَيْج: كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض، فيقول: «**أعوذ بكبير هذا الوادي**»: فذلك استمتاعهم، فاعتذروا يوم القيامة.

وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان ـ فيما ذكر ـ ما ينال الجنّ من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم، فيقولون: قد سدنا الإنس والجن.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ قال السدي؛ أي: الموت.

قال: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾؛ أي: مأواكم ومنزلكم أنتم وأولياؤكم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾؛ أي: ماكثين مكثًا مخلدًا إلا ما شاء الله.

قال بعضهم: يرجع معنى [هذا] الاستثناء إلى البرزخ. وقال بعضهم: هذا رد إلى مدة الدنيا. وقيل غير ذلك من الأقوال التي سيأتي تقريرها [إن شاء الله] عند قوله تعالى في سورة هود: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [الآية: ١٠٧].

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح ـ كاتب الليث ـ: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا نارًا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨][(١)].

حمله بعض العلماء على البرزخ؛ يعني: إلا ما شاء الله؛ يعني: البرزخ، أو وقوفهم في الموقف يوم القيامة قبل دخول الجنة والنار، هذا محل المشيئة، وإلا أهل الجنة إذا دخلوها، مستقرون فيها أبد الآباد، وهكذا أهل النار من الكفرة يستقرون فيها أبد الآباد وإنما يخرج منها أهل المعاصي، إذا دخلها بعض أهل المعاصي يخرج منها بعد التطهير والتمحيص يخرجهم الله من النار إلى الجنة، وأما الكفار فهم دائمون فيها أبد الآباد، أما قوله ﷻ: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ [هود: ١٠٨]؛ يعني: مدة وجودهم في البرزخ، أو في موقف القيامة قبل الانصراف من الجنة والنار في الموقف وقت الحساب والجزاء، وقت الحساب والنظر في كتبهم.

❋

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩][(٢)].

قال سعيد، عن قتادة في تفسيرها: وإنما يولي الله الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر ولي الكافر أينما كان

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٧٣).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وحيثما كان، ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي. واختاره ابن جرير.

وقال معمر، عن قتادة في تفسيرها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ في النار، يتبع بعضهم بعضًا.

وقال مالك بن دينار: قرأت في الزبور: إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين، ثم أنتقم من المنافقين جميعًا، وذلك في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾. وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ قال: ظالمي الجن وظالمي الإنس، وقرأ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، قال: ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد، من طريق سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن ابن مسعود مرفوعًا: «**من أعان ظالمًا سلَّطه الله عليه**».

وهذا حديث غريب، وقال بعض الشعراء:

وما مِن يَد إلا يدُ الله فوقها ... ولا ظالم إلا سَيُبلى بظالم...

ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغْوَتهم من الجن، كذلك نفعل بالظالمين، نسلط بعضهم على بعض، ونُهلك بعضهم ببعض، وننتقم من بعضهم ببعض، جزاء على ظلمهم وبغيهم.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ **[الأنعام: ١٣٠]**(١).

وهذا أيضًا مما يُقرِّع الله به ﷻ كافري الجن والإنس يوم القيامة،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

حيث يسألهم ـ وهو أعلم ـ: هل بلغتهم الرسل رسالاته؟ وهذا استفهامُ تقرير: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: من جملتكم. والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل، كما قد نص على ذلك مجاهد، وابن جُرَيْج، وغير واحد من الأئمة، من السلف والخلف.

وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم، ومن الجن نُذُر.

وحكى ابن جرير، عن الضحاك بن مُزاحم: أنه زعم أن في الجن رسلًا واحتجَّ بهذه الآية الكريمة وفي الاستدلال بها على ذلك نظر؛ لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي ـ والله أعلم ـ كقوله [تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ إلى أن قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ١٩ ـ ٢٢]، ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرج من الملح لا من الحلو. وهذا واضح، ولله الحمد. وقد نص هذا الجواب بعينه ابن جرير.

والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ﴾ إلى أن قال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥]، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فحصرَ النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل [عليه السلام] ثم انقطعت عنهم ببعثته. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال [تعالى]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ﴾ [يوسف: ١٠٩]، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب؛ ولهذا قال تعالى إخبارًا عنهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣١ ـ ٣٢].

وقد جاء في الحديث ـ الذي رواه الترمذي وغيره ـ أن رسول الله ﷺ تلا عليهم سورة الرحمٰن وفيها قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآيتان: ٣١، ٣٢](١).

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿يَـٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾؛ أي: أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك، وأنذرونا لقاءك، وأن هذا اليوم كائن لا محالة.

قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾؛ أي: وقد فرطوا في حياتهم الدنيا، وهلكوا بتكذيبهم الرسل، ومخالفتهم للمعجزات، لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها، ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ۝١٣٠﴾؛ أي: في الدنيا، بما جاءتهم به الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ۝١٣١ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٣٢﴾ **[الأنعام: ١٣١ ـ ١٣٢]**(٢).

يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ۝١٣١﴾؛ أي: إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب، لئلا يعاقب أحد بظلمه، وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذبنا أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب التفسير، باب ومن سورة الرحمٰن برقم (٣٢٩١).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿...كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك: ٨، ٩]، والآيات في هذا كثيرة.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: ويحتمل قوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ﴾ **وجهين:**

أحدهما: ﴿ذَٰلِكَ﴾ من أجل أن ربك مهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه، وهم غافلون، يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم مَنْ ينبههم على حجج الله عليهم، وينذرهم عذاب الله يوم معادهم، ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة فيقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩].

والوجه الثاني: أن ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ يقول: لم يكن [ربك] ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر، فيظلمهم بذلك، والله غير ظلَّام لعبيده.

ثم شرع يرجح الوجه الأول، ولا شك أنه أقوى، والله أعلم.

وقال: وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾؛ أي: ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها، ويثيبه بها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

(قلت): ويحتمل أن يعود قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾؛ أي: من كافري الجن والإنس؛ أي: ولكل درجة في النار بحسبه، كقوله [تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ [وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾] (٥) [الأعراف: ٣٨]، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ قال ابن جرير: أي وكل

ذلك من عملهم، يا محمد، بعلم من ربك، يحصيها ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام: ١٣٣ ـ ١٣٥][(١)].

يقول [تعالى]: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾؛ أي: عن جميع خلقه من جميع الوجوه، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾؛ أي: وهو مع ذلك رحيم بهم رؤوف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾؛ أي: إذا خالفتم أمره ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾؛ أي: قومًا آخرين؛ أي: يعملون بطاعته، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾؛ أي: هو قادر على ذلك، سهل عليه، يسير لديه، كما أذهب القرون الأوَل وأتى بالذي بعدها كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين، كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

وقال محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة قال: سمعت أبان بن عثمان يقول في هذه الآية:

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۝١٣٣﴾ الذرية: الأصل، والذرية: النسل(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾؛ أي: أخبرهم يا محمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾؛ أي: ولا تعجزون الله، بل هو قادر على إعادتكم، وإن صرتم ترابًا رفاتًا وعظامًا هو قادر لا يعجزه شيء.

وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا محمد بن حمير، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى. والذي نفسي بيده** ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾»(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد؛ أي: استمروا على طريقكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى، فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي، كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝١٢١ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢١، ١٢٢].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾؛ أي: ناحيتكم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١٣٥﴾؛ أي: أتكون لي أو لكم. وقد أنجز موعده له، صلوات الله عليه،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق يونس بن بكير به وسنده حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم.

فإنه تعالى مكَّن له في البلاد، وحكَّمه في نواصي مخالفيه من العباد، وفتح له مكة، وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوأه، واستقر أمره على سائر جزيرة العرب، وكذلك اليمن والبحرين، وكل ذلك في حياته. ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد وفاته في أيام خلفائه، رضي الله عنهم أجمعين، كما قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢٠]، وقال ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تعالى إخبارًا عن رسله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ الآية [النور: ٥٥]، وقد فعل الله تعالى ذلك بهذه الأمة، وله الحمد والمنة أولًا وآخرًا، باطنًا وظاهرًا.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ **[الأنعام: ١٣٦]**(١).

هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعًا وكفرًا وشركًا، وجعلوا لله جزءًا من خلقه، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى عما يشركون؛ ولهذا

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾؛ أي: مما خلق وبرأ ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾؛ أي: من الزروع والثمار ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾؛ أي: جزءًا وقسمًا، ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾، وقوله: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، والعَوْفي، عن ابن عباس؛ أنه قال في تفسير هذه الآية: إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثًا، أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منه جزءًا وللوثن جزءًا، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه. وإن سقط منه شيء فيما سُمّي للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن. وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن. فسقى شيئًا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن. وإن سقط شيء من الحرث والثمرة الذي جعلوه لله، فاختلط بالذي جعلوه للوثن، قالوا: هذا فقير. ولم يردوه إلى ما جعلوه لله. وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله. فسقى ما سُمّي للوثن تركوه للوثن، وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرِّمونه لله، فقال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الآية.

وهكذا قال مجاهد، وقتادة، والسدي، وغير واحد.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في تفسيره: كل شيء جعلوه لله من ذبْح يذبحونه، لا يأكلونه أبدًا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة. وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه، وقرأ الآية حتى بلغ: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝١٣٦﴾؛ أي: ساء ما يقسمون، فإنهم أخطؤوا أولًا في القسمة، فإن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه، وله الملك، وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته، لا إلٰه غيره، ولا رب سواه. ثم لما قسموا فيما زعموا لم يحفظوا القسمة التي هي فاسدة، بل جاروا فيها، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ

مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢].

* *

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ **[الأنعام: ١٣٧]**[١].

يقول تعالى: وكما زينت الشياطين لهؤلاء المشركين أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق، ووأد البنات خشية العار.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ زينوا لهم قتل أولادهم.

وقال مجاهد: ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ شياطينهم، يأمرونهم أن يئدوُا أولادهم خشية العَيْلة. وقال السدي: أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات. وإما ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ فيهلكوهم، وإما ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾؛ أي: فيخلطون عليهم دينهم.

ونحو ذلك قال قتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]. وقد كانوا أيضًا يقتلون الأولاد

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

من الإملاق، وهو: الفقر، أو خشية الإملاق أن يحصل لهم في تلف المال وقد نهاهم الله عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من شرع الشيطان تزيينه لهم ذلك.

قال تعالى: ﴿شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كونًا، وله الحكمة التامة في ذلك، فلا يسأل عما يفعل وهم يُسألون. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾؛ أي: فدعهم واجتنبهم وما هم فيه، فسيحكم الله بينك وبينهم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ **[الأنعام: ١٣٧]**[(١)].

هذه الآية الكريمة على ظاهرها، شركاؤهم معبوداتهم من دون الله، زينوا لهم وزين لهم معبوداتهم من دون الله أن يعبدوا أولادهم، ولهذا قال ﷻ: ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾؛ يعني: يشبه عليهم دينهم وليهلكوهم، فالواجب الحذر من طاعة الشياطين الذين يدعون إلى الشرك بالله، وإلى قتل الأولاد بغير حق، وإلى كل فجور وظلم، وسمَّاهم الله شركاؤهم؛ لأنهم شركوهم مع الله في العبادة وأطاعوهم في معاصي الله، والشرك به، فسُمُّوا شركاء؛ لأجل ذلك، والله سبحانه ليس له شريك، وهو الواحد الأحد الذي يستحق العبادة دون كل ما سواه ﷻ.

زين الشيطان الذي عبدوه من دون الله، زين لهم معبوداتهم من دون الله؛ أن يقتلوا أولادهم ظلمًا وعدوانًا، وقالوا في هذا أن قتل البنت

(١) من برنامج نور على الدرب، الحلقة رقم (٤٦٩/ ٢).

خشية العار وقتل الولد خشية الحاجة والفقر؛ فنهاهم الله عن هذا في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ١٣٨﴾ [الأنعام: ١٣٨][1].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «الحِجْرُ»: الحرام، مما حرَّموا الوصيلة، وتحريم ما حرَّموا.

وكذلك قال مجاهد، والضحاك، والسُّدِّي، وقتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

وقال قتادة: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ الآية: تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم، وتغليظ وتشديد، وكان ذلك من الشياطين، ولم يكن من الله تعالى.

وقال ابن زيد بن أسلم: ﴿حِجْرٌ﴾ إنما احتجزوها لآلهتهم.

وقال السدي: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ يقولون: حرام أن نطعم إلا من شئنا.

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، وكقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

وقال السدي: أما ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فهي البحيرة والسائبة والحام، وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها قال: إذا أولدوها، ولا إن نحروها.

وقال أبو بكر بن عَيَّاش، عن عاصم بن أبي النَّجُود: قال لي أبو وائل: تدري ما في قوله: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾؟ قلت: لا. قال: هي البحيرة، كانوا لا يحجُّون عليها.

وقال مجاهد: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها، ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوا، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن نتجوا ولا إن عملوا شيئًا.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾؛ أي: على الله، وكذبًا منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه؛ فإنه لم يأذن لهم في ذلك ولا رَضيه منهم ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾؛ أي: عليه، ويُسْندون إليه.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام: ١٣٩](١).

قال أبو إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن أبي الهُذَيل، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الآية، قال: اللبن.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٤ - ١١ - ١٤١٣هـ -.

خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾: فهو اللبن، كانوا يحرمونه على إناثهم، ويشربه ذكرانهم. وكانت الشاة إذا ولدت ذكرًا ذبحوه، وكان للرجال دون النساء. وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء. فنهى الله عن ذلك. وكذا قال السُّدِّي.

وقال الشعبي: «البحيرة» لا يأكل من لبنها إلا الرجال، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء، وكذا قال عِكْرِمة، وقتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ قال: هي السائبة والبحيرة.

وقال أبو العالية، ومجاهد، وقتادة [في قول] ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾؛ أي: قولهم الكذب في ذلك، يعني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ﴾ الآية [النحل: ١١٦، ١١٧].

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾؛ أي: في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، ﴿عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ بأعمال عباده من خير وشر، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللّهم صلِّ وسلِّم على رسول الله. وهذه الأشياء التي ذكرها الله عن الكفار يبين لنا سخافة عقول الكفرة وتناقضهم، وأنهم يقولون على الله ما لا يعلمون، ويفترون على الله الكذب في ما يحلون ويحرمون وفي غير ذلك، وأعظم ذلك زعمهم أنهم على هدى وأن ما عليه آبائهم هو الحق من الشرك بالله وعبادة غيره، فبعث الله الرسل لبيان الحق الذي يجب اتباعه والتمسك به، ولبيان الباطل الذي افتراه المشركون والمجرمون والجاهلون. فالواجب على ذوي العقول السليمة، على أهل التكليف، أن يستقيموا على ما شرع الله ورسوله ﷺ، وأن يستقيموا على ما دل عليه الكتاب والسنة، وأن يحذروا

الخرافات التي كان عليها الكفرة من الملاحدة وعبَّاد الأوثان وغيرهم، وأن هذه السخافات التي يعتقدونها ويقولونها يجب على ذوي العقول السليمة والفطر السليمة الصحيحة الحذر منها، وأن يكون هدفهم التمسك بما قاله الله ورسوله، والحذر مما نهى الله عنه ورسوله، وألا يغتروا بما عليه آباء أو قبيلة أو جنس من الناس؛ فإن هذا يقع فيه الشر والباطل والكذب والتقليد الأعمى، فلا ينبغي لعاقل أن يغتر بذلك، وإنما يأخذ الأحكام من معدنها، من أساسها، من كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى يسير إلى الله على بصيرة، وحتى يعبده على علم؛ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، ويقول ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلتَمِسُ فيه علمًا سَهَّل اللهُ به طريقًا إلى الجنة**»[1]، ويعيب الكفرة فيقول عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ويقول فيهم: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١]، كالبهائم، ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، نسأل الله العافية.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠][2].

يقول تعالى: قد خسر الذين فعلوا هذه الأفعال في الدنيا

(١) سبق تخريجه (٢/١٦٨).
(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٤ - ١١ - ١٤١٣هـ -.

والآخرة، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافترائهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠].

وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا عبد الرحمٰن بن المبارك، حدثنا أبو عَوَانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: إذا سَرَّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٤٠﴾.

وهكذا رواه البخاري منفردًا في كتاب «مناقب قريش» من صحيحه، عن أبي النعمان محمد بن الفضل عارم، عن أبي عوَانة ـ واسمه الوَضَّاح بن عبد الله اليَشْكُرِي ـ عن أبي بشر ـ واسمه جعفر بن أبي وَحْشِيَّة بن إياس، به(١).

الشيخ: ماذا؟ واسمه؟

القاري: واسمه جعفر بن أبي وحشية، عن إياس به.

الشيخ: إياس.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب برقم (٣٥٢٤).

مداخلة: ابن إياس.

الشيخ: جعفر.

القاري: نعم؟

الشيخ: جعفر بن أبي وحشية إياس.

مداخلة: جعفر بن أبي وحشية عن إياس به.

الشيخ: إياس بدلًا من أبي، من عندكم؟

مداخلة: عندنا ابن إياس.

الشيخ: لا هو إياس، هو: إياس، أبو وحشية كنية إياس، وضعها عندكم عن إياس؟

مداخلة: عن أبيه عن إياس.

مداخلة: الذي عندي عن إياس.

الشيخ: عن؟

القاري: عن إياس به.

الشيخ: لا، انظر التقريب.

مداخلة: جعفر بن إياس أبو بشر بن أبي وحشية بفتح الواو وسكون المهملة وكسر المعجمة وتثقيل التحتانية، ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير، وضعفه شعبة في حديث.

الشيخ: نعم؛ أي: عن ما لها محل، جعفر بن أبي إياس، عن جعفر بن أبي وحشية إياس.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام: ١٤١ ـ ١٤٢][1].

يقول تعالى بيانًا لأنه الخالق لكل شيء، من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها المشركون بآرائهم الفاسدة وقسَّموها وجَزَّءوها، فجعلوا منها حرامًا وحلالًا فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مسموكات. وفي رواية: «المعروشات»: معروشات ما عرش الناس، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ ما خرج في البر والجبال من الثمرات.

وقال عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ ما عرش من الكرم ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ ما لم يعرش من الكرم. وكذا قال السدي.

وقال ابن جُرَيْج: ﴿مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ قال: متشابه في المنظر، وغير متشابه في الطعم.

وقال محمد بن كَعْب: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ قال: من رُطَبه وعنَبه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه من آيات الله العظيمة، هذه الأشياء التي خلقها ﷻ من جنات، المتنوعة أشجارها ومزارعها، كلها من آياته الدالة على قدرته العظيمة، هذا معروش له حال في الثمار التي تخرج منه، وهذا على وجه الأرض غير معروش، وهذا نخل، وهذا زرع، وهذا نوع آخر من الأشجار، وهذا رمان، وهذا تفاح، وهذا أنواع أخرى، نوَّعها

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٤ ـ ١١ ـ ١٤١٣هـ.

لعباده ﷻ، مشتبهة في أحجامها وفي صورها وفي صفاتها وغير متشابه، منها المشتبه ومنها غير المشتبه، أنواع منوعة لهؤلاء العباد، وللإحسان إليهم، فيعبدونه ويأكلوا من رزقه ﷻ، كل واحدة من هذه الأشياء آية من الآيات العظيمة الدالة على أنه الخلاق العليم، وأنه المستحق للعبادة، هذا التمر بأنواعه وما فيه من الفوائد العظيمة، وهذه الخلقة العظيمة، واختلاف أحجامه وألوانه وطعومه، وما جعل فيها من نوى، رطبة لينة ونواة كالحصى، والأقماع التي بواسطته يصير الماء إلى التمرة، هذه ثمار أخرى يصلها الماء بصفة دقيقة من العنب والرمان وسائر أنواع الفواكه، وهذه الحبوب المتنوعة وما فيها من المنافع، من الذرة، الدخن، الحنطة، الأرز، وغيرها من أنواع الحبوب، إذا تأمل العاقل هذه الأمور عرف قدرته العظيمة، وحكمته العظيمة، وأنه الخلاق العليم، الذي يقول للشيء كن فيكون ﷻ، والحيوانات على اختلافها، وبنو آدم أنفسهم هم آية، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، اختلاف عقولهم، وصفاتهم، وألوانهم، وأحجامهم، ومقاصدهم.. إلى غير ذلك، سائر الحيوانات الأخرى، في كل شيء له آية كما قال الشاعر:

فوا عجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

وآخر يقول:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

فالمقصود أن هذه النباتات المتنوعة، والحيوانات المتنوعة، والمخلوقات الأخرى كلها دلائل على عظمة خالقها وبارئها ﷻ، وأنه المستحق لأن يعبد أو يعظم، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

والمؤمن عليه أن يعبد الله بقلبه ولسانه وجوارحه، فالقلب يعرف هذه الأمور ويؤمن بأن الله خالقها والمنعم بها سبحانه، ويؤمن بأنه المستحق لأن يعبد، ويتكلم بلسانه شاكرًا معظمًا، ويعمل بأركانه في طاعة الله وأداء حقه، ويدع ما نهاه الله عنه شكرًا لله على نعمه وإحسانه، فالقلب يعتقد، واللسان ينطق، والجوارح تعمل خاضعة لله شاكرة له مؤدية حقه، وهذه هي العبادة، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، هذه هي العبادة، إيمانك بالله وإخلاصك له واعتقادك أنه رب العالمين وأنه المستحق لأن يعبد، وإيمانك برسله وفي كل ما أخبر به في كتابه وما أخبرت به رسله، هذه عبادة قلبية. والشهادة أنه لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإكثار من ذكر الله، كل هذه عبادات قولية. والصلاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك مما فيه أفعال، عبادات فعلية.

وضدها الكفر بالله، هذه العبادات ضدها الكفر بالله، فيكون بالاعتقاد ويكون بالقول ويكون بالعمل، ويكون بالشك أيضًا، كما أن التوحيد يكون بالإيمان والصدق والتصديق بالقول والعمل، فضده الكفر يكون بضد ذلك، يكون بترك الإيمان، ويكون بالقول، ويكون بالعمل، ويكون باليقين لا بالشك، فمن اعتقد خلاف الحق كاعتقاده أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور، هذا تكذيب وكفر واعتقاد كفري، بالقلب؛ كاعتقاد المنافقين وأشباههم، وكفار الجاهلية. ويكون الكفر بالقول، كالسب لله ولرسوله، وسب الدين، ونطقه بالشرك، كدعوة الأموات والاستغاثة بالأموات وبالنجوم وبالأصنام كفر قولي، ويكون بالعمل؛

كالسجود لغير الله والذبح لغير الله، وهو كفر عملي، كفر أكبر، نسأل الله العافية، ويكون بالشك وما وراء الشك؛ كالتردد في هذه الجنة حق أو ما هي بحق؟ هذا التوحيد حق أو ما هو بحق؟ هل الرسول صادق أو ما هو بصادق؟ فنفس الشك كفر أكبر وضرر عظيم؛ ولهذا قال أهل العلم: يكون الكفر بالاعتقاد، وبالقول، وبالعمل، وبالشك جميعًا، بهذا وبهذا وبهذا وبها جميعًا. ويكون بالترك، كما في الإعراض عن دين الله، ترك الإيمان بالكلية والإعراض عن دين الله، لا يعتقده ولا يتعلمه ولا يعمل به، هذا من نواقض الإسلام، مثل ترك الصلاة، يعني: يتركها ولا يصلي ولو قال أنها حق، ولو زعم أنها واجبة، فترك الصلاة كفر مستقل، عملي، على الصحيح، وإن لم يعتقد عدم وجوبها، بل اعتقد وجوبها، من تأمل أحوال الكفرة عرف هذه الأمور، وأن منهم من جمع هذه الشرور كلها... الاستكبار عن توحيد الله وطاعته، والشك فيما أخبرت به الرسل، قد جمعوا أنواع الكفر كلها، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال ابن جرير: قال بعضهم: هي الزكاة المفروضة.

حدثنا عمرو، حدثنا عبد الصمد، حدثنا يزيد بن درهم قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: الزكاة المفروضة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾؛ يعني: الزكاة المفروضة، يوم يُكَال ويعلم كيله. وكذا قال سعيد بن المسيب.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده، لم يخرج مما حصد شيئًا فقال الله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وذلك أن يعلم ما كيله وحقه، من كل عشرة واحدًا، ما يَلْقُط الناس من سنبله.

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى ابن حبَّان، عن عمه واسع بن حبان، عن جابر بن عبد الله؛ أن النبي ﷺ أَمَرَ من كُل جاد عَشْرَة أوسُق من التمر، بقنْو يعلق في المسجد للمساكين. وهذا إسناده جيد قوي[(١)].

وقال طاوس، وأبو الشعثاء، وقتادة، والحسن، والضحاك، وابن جُرَيْج: هي الزكاة.

وقال الحسن البصري: هي الصدقة من الحب والثمار، وكذا قال زيد بن أسلم.

وقال آخرون: هو حق آخر سوى الزكاة.

وقال أشعث، عن محمد بن سِيرين، ونافع، عن ابن عمر في قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: كانوا يعطون شيئًا سوى الزكاة. رواه ابن مردويه. وروى عبد الله بن المبارك وغيره. عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿وَءَاتُواْ﴾، ﴿حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: يعطي من حضره يومئذ ما تيسر، وليس بالزكاة.

وقال مجاهد: إذا حضرك المساكين، طرحت لهم منه.

وقال عبد الرزاق، عن ابن عيينة عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: عند الزرع يعطي القبض، وعند الصرام يعطي القبض، ويتركهم فيتبعون آثار الصرام.

وقال الثوري، عن حماد، عن إبراهيم [النخعي] قال: يعطي مثل الضغث.

وقال ابن المبارك، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: كان هذا قبل الزكاة: للمساكين، القبضة الضغث لعلف دابته.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب حقوق المال برقم (١٦٦٢)، والإمام أحمد (٣/ ٣٥٩).

وفي حديث ابن لَهِيعة، عن دَرَّاج، عن أبي الهيثم، عن سعيد مرفوعًا: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: ما سقط من السنبل. رواه ابن مَرْدُويه.

وقال آخرون: هذا كله شيء كان واجبًا، ثم نسخه الله بالعشر ونصف العشر. حكاه ابن جرير عن ابن عباس، ومحمد ابن الحنفية، وإبراهيم النخعي، والحسن، والسدي، وعطية العَوْفي. واختاره ابن جرير، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قلت: وفي تسمية هذا نسخًا نظر؛ لأنه قد كان شيئًا واجبًا في الأصل، ثم إنه فصَّل بيانه وبَيَّن مقدار المخرج وكميته. قالوا: وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة، فالله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو المشهور أن أصل الزكاة في مكة لأن السورة مكية، على سبيل الإجماع ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ... أيضًا محدد، فيعطى ما تيسر من طعام وغيره، تمر وغيره، ثم أن الله جَلَّ وَعَلَا بين أنصباء الزكاة الواجبة فيها بعد الهجرة، في السنة الثانية من الهجرة، فأوجبها مفصلة، كما أوجب صيام رمضان وبين أنصبائها والواجب فيها، فنصف العشر لما سقي بالنضح، والعشر كاملًا لما سقي بالأنهار والأمطار، وبيَّن أهل الزكاة في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ [التوبة: ٦٠]، .. الخ، وكان أصل ذلك في مكة، ثم حدد وبيَّن في المدينة، نعم.

القاري: أحسن الله إليك! [وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون؛ كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة (ن)].

الشيخ: وقد.

القاري: أحسن الله إليك! [وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون؛ كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة (ن).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون، كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة «ن»: ﴿...إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: كالليل المدلهم سوداء محترقة ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾؛ أي: قوة وجلد وهمة ﴿قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ١٧ ـ ٣٣].

وقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ قيل: معناه: ولا تسرفوا في الإعطاء، فتعطوا فوق المعروف.

وقال أبو العالية: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئًا، ثم تباروا فيه وأسرفوا، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾. وقال ابن جُرَيْج: نزلت في ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس، جذَّ نخلًا. فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته. فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ رواه ابن جرير، عنه.

وقال ابن جريج، عن عطاء: ينهى عن السرف في كل شيء.

وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف.

وقال السدي في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال: لا تعطوا أموالكم، فتقعدوا فقراء.

وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب، في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال: لا تمنعوا الصدقة فتعصوا.

ثم اختار ابن جرير قول عطاء: إنه نَهْيٌ عن الإسراف في كل

شيء. ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر ـ والله أعلم ـ من سياق الآية حيث قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ أن يكون عائدًا على الأكل؛ أي: ولا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ [إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾] [الأعراف: ٣١]، وفي صحيح البخاري تعليقًا: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ**»(١) وهذا من هذا، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ﴾؛ أي: وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حمولة وما هو فرش، قيل: المراد بالحمولة ما يحمل عليه من الإبل، والفرش الصغار منها. كما قال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قوله: ﴿حَمُولَةً﴾ ما حمل عليه من الإبل، ﴿وَفَرْشًا ۚ﴾ وقال: الصغار من الإبل.

رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٢).

وقال ابن عباس: الحمولة: الكبار، والفرش [هي] (الصغار من الإبل. وكذا قال مجاهد.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ﴾. فأما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه، وأما الفرش فالغنم.

واختاره ابن جرير، قال: وأحسبه إنما سمي فرشًا لدنوه من الأرض.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في اللباس باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢] الفتح (١٠/ ٢٥٢)، ووصله الإمام أحمد (٢/ ١٨٢)، وابن أبي الدنيا (الشكر برقم ٥١) كلاهما من طريق همام، عن قتادة، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وسنده حسن.

(٢) ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣١٧).

وقال الربيع بن أنس، والحسن، والضحاك، وقتادة: الحمولة: الإبل والبقر، والفرش: الغنم.

وقال السدي: أما الحمولة فالإبل، وأما الفرش فالفُصْلان والعَجَاجيل والغنم، وما حمل عليه فهو حمولة.

قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: الحمولة ما تركبون، والفرش ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل، تأكلون لحمها وتتخذون من صوفها لحافًا وفرشًا.

وهذا الذي قاله عبد الرحمٰن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١، ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ [وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾] إلى أن قال: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل: ٦٦ ـ ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٧٩ ـ ٨١].

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: من الثمار والزروع والأنعام، فكلها خلقها الله [تعالى وجعلها رزقًا لكم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: طرائقه وأوامره، كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله؛ أي: من الثمار والزروع افتراء على الله، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ﴾؛ أي: إن الشيطان ـ أيها الناس ـ لكم ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾؛ أي: بَيِّن ظاهر العداوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ الآية، [الأعراف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ

أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]. والآيات في هذا كثيرة في القرآن.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ **[الأنعام: ١٤٣ ـ ١٤٤]**[(١)].

وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حَرّموا من الأنعام، وجعلوها أجزاءً وأنواعًا: بحيرة، وسائبة، ووصيلة وحامًا، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار، فبين أنه تعالى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا. ثم بيَّن أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن، وسواد وهو المعز، ذكره وأنثاه، وإلى إبل ذكورها وإناثها، وبقر كذلك. وأنه تعالى لم يحرم شيئًا من ذلك ولا شيئًا من أولاده. بل كلها مخلوقة لبني آدم، أكلًا وركوبًا، وحمولة، وحلبًا، وغير ذلك من وجوه المنافع، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۚ﴾ الآية [الزمر: ٦].

وقوله: ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ﴾ رَدٌّ عليهم في قولهم: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، وقوله: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾؛ أي:

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

أخبروني عن يقين: كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك؟

وقال العَوْفي عن ابن عباس قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ فهذه أربعة أزواج، ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ يقول: لم أحرم شيئًا من ذلك ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾

يعني: هل يشمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرِّمون بعضًا وتحلُّون بعضًا؟ ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ يقول: كله حلال.

وقوله: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ تهكُّم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله، من تحريم ما حرَّموه من ذلك، ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾؛ أي: لا أحد أظلم منه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ وأول من دخل في هذه الآية: عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَة، فإنه أول من غيَّر دين الأنبياء، وأول من سيَّب السوائب، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، كما ثبت ذلك في الصحيح.

*

☐ **تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ [الأنعام: ١٤٥]**(١).

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١٦ ـ ٥ ـ ١٤١٤هـ.

يقول تعالى آمرًا عبده ورسوله محمدًا، صلوات الله وسلامه عليه: قل لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله: ﴿لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾؛ أي: آكل يأكله. قيل: معناه: لا أجد شيئًا مما حرمتم حرامًا سوى هذه. وقيل: معناه: لا أجد من الحيوانات شيئًا حرامًا سوى هذه. فعلى هذا يكون ما ورد من التحريمات بعد هذا في سورة «المائدة»، وفي الأحاديث الواردة، رافعًا لمفهوم هذه الآية.

ومن الناس من يسمي ذلك نسخًا، والأكثرون من المتأخرين لا يسمُّونه نسخًا؛ لأنه من باب رفع مباح الأصل، والله أعلم.

قال العَوْفي، عن ابن عباس: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾؛ يعني: المهراق.

قال عِكْرِمة في قوله: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ لولا هذه الآية لتتبع الناس ما في العُرُوق، كما تتبعه اليهود.

وقال حماد، عن عمران بن حُدَير قال: سألت أبا مِجْلَز عن الدم، وما يتلطخ من الذبح من الرأس، وعن القِدْر يُرَى فيها الحمرة، فقال: إنما نهى الله عن الدم المسفوح.

وقال قتادة: حرم من الدماء ما كان مسفوحًا، فأما لحم خالطه دم فلا بأس به.

أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر، فقال: قد كان يقول ذلك «الحَكَمُ بنُ عَمْرو» عن رسول الله ﷺ، ولكن أبى ذلك الحبر ـ يعني ابن عباس ـ وقرأ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللّهم صلِّ وسلِّم على محمد وعلى آله. وهذا إن صح عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فإن هذا بناءً على أنها لم تعلم نهي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح، باب لحوم الحمر الإنسية برقم (٥٥٢٩)، والحميدي (المسند/ ٢/ ٣٧٩ ح ٨٥٩).

النبي ﷺ عن لحوم السباع، وهذه الآية مختصرة من سورة الأنعام: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]؛ أي: الخنزير، ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وهو ما ذبح لغير الله. وفي سورة المائدة تفصيل للميتة لا يخالف هذه الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، هناك الدم مطلق، وهنا فسر: مسفوح، فآية المائدة فيها إيضاح، وهي نزلت بعد الأنعام، وآية المائدة نزلت في المدينة وسورة الأنعام في مكة، وسورة المائدة موضحة لما في سورة مكة سورة الأنعام. فالدم المطلق في سورة المائدة مقيد بالدم الذي في سورة الأنعام، المسفوح، وهو المراق، الذي يخرج من الذبيحة عند الذبح، نجس، محرم. أما ما يكون في العروق، في عروق الميتة في عروق الذبيحة بعد الذبح في لحومها، في بطنها، هذا ليس من المحرم، فإنما المحرم هذا الدم المسفوح الذي يراق ويسفح عند الذبح، وأما (المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) كلها داخلة في الميتة، كلها ميتات. في سورة الأنعام مطلقة وفي سورة المائدة تفصيل.

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: هي التي خنقها قيدها أو خنقت بشيء حتى ماتت. ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: هي التي تُضرب بالشيء، تضرب بالحجر أو بالعصا حتى تموت، الموقوذة ميتة. ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: هي التي تطيح من الجبل أو من الجدار أو من السقف وتموت، هذه ميتة. ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: هي التي تنطحها أختها، تنطحها أختها تموت، تنطحها بقرونها فتقتلها، وهذا يقع بين المعز وغيرها. ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾: ميتة أيضًا، إذا قتله السبع صار ميتة، وهكذا (ما أهل به لغير الله) مذكور في آية الأنعام، . . . و(ما ذبح على النصب): هذا ما ذبح لغير الله. وأما ما ذكاه المسلمون بأن سقطت نطيحة أو منخنقة أو موقوذة وأدركوها حية تذبح، فإذا ذكيت حلت. النطيحة سقطت أو متردية أو الوقيذة أدركها صاحبها حية فذبحها حلت

والحمد لله، نعم. وأما السباع فقد جاء في أحاديث صحيحة، أن النبي ﷺ قال: «**كل ذي ناب من السباع فأكله حرام**»، كالأسد، والنمر، والكلب، والذئب، والثعلب، والقط، كلها سباع، كلها تفرس بأنيابها، القط معروف كالسبع يفرس الدجاجة وغيرها بالناب، وهكذا الكلب يفرس، وهكذا الذئب، وهكذا الأسد والنمر والفهد، ما عدا الضبع مستثناة، وهل الضبع مستثناة؟ جاء في الحديث الصحيح أنه صيد. وهكذا في الحديث الآخر: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ**»(١).

هذا خفي على عائشة.

المقصود أن من كان من ذوي الناب من السباع، وما كان من ذوي المخالب من الطير فهو محرم، بالسنة، أعد حديث عائشة.

الأسئلة:

● **س: حكم الدم الكائن في رقبة الذبيحة بعد الذبح؟**

○ **الجواب**: ذاك ما يضر، المسفوح الذي يهراق وسقط، وإذا غسله احتياط حسن، المقصود المسفوح هو المحرم الذي سقط في الأرض.

● **س: حكم الدم الطاهر إذا وقع على الثوب..؟**

الشيخ: إذا سقط على الأرض هذا المسفوح مثل ما قال ﷻ: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾؛ يعني: مراقًا.

مداخلة: الرجس.

الشيخ: النجس.

● **س: الدماء المحرمة نجسة؟**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير برقم (١٩٣٤).

الشيخ: نعم.

مداخلة: الدم المسفوح نجس.

○ **الجواب**: نعم نجس ومحرم.

حكم التداوي بالدم المسفوح:

● **س: هكذا يحرم التداوي به رعاك الله؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: يحرم التداوي به؟

○ **الجواب**: نعم، إلا عند الضرورة، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، مثل مساعدة من فقد الدم، شيء من الدم.

حكم التداوي بالأشياء السامة؟

● **س: التداوي الله يرعاك، بشيء من السموم مثل..؟**

○ **الجواب**: ما كان من باب الضرورات مثل أكل الميتة، من باب الضرورة.

مداخلة: لكن يستخدم، الله يحييك، حديثًا في الطب الحديث من غير ضرورة؟

الشيخ: المقصود بالضرورة يجوز، أما غير الضرورة ما يجوز.

حكم دم الإنسان:

● **س: دم الإنسان يا شيخ نجس؟**

○ **الجواب**: دم الإنسان نجس؛ لكن يعفى عن اليسير، يعفى عن ما قد يقع من أسنانه، أو في عينه عند مرضها، أو الجراحات اليسيرة يعفى عنها؛ لأنها تعم بها البلوى.

مداخلة: أحسن الله إليكم، ما ورد عن بعض الصحابة، الصحابي الذي أتته السهام وهو يصلي؟

الشيخ: ذاك معذور لأنه مضطر ما له حيلة، جراحاته جرحى مضطر(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني، عن سفيان، به(٢). وأخرجه أبو داود من حديث ابن جُرَيْج، عن عمرو بن دينار. ورواه الحاكم في مستدركه(٣) مع أنه في صحيح البخاري، كما رأيت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مما أيضًا جاء التحريم....، الحمر الأهلية، البغال محرمة بالنص بعد سورة الأنعام، فإن الرسول ﷺ (حرم على الناس لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، وأمر بإكفاء القدور وكسرها، ثم قالوا: يا رسول الله! أو نغسلها؟ قال: أو ذلك اغسلوها. قال: **إنها رجس**، ونادى بالناس: **إن لحوم الحمر الأهلية رجس**)، وهكذا البغال، وهذه أيضًا مما جد فيه التحريم، مما كان مباحًا ثم حرم بعد نزول آية الأنعام.

● **س: ما يقال: إن هذا حكم زائد على القرآن أو ناسخ؟**

○ **الجواب**: لا، القرآن حرم أشياء وسكت عن أشياء، هذا مما جاءت السنة ببيان تحريمه، مما سكت عنه، الآية جاءت ذاك الوقت، الآية جاءت النبي ﷺ ذاك الوقت في مكة.

● **س: أحسن الله إليك ما ثبت مرفوعًا: «وما سكت عنه فهو عفو»؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: ما ثبت مرفوعًا.

○ **الجواب**: إلا، جاء من حديث أبي ثعلبة: **«وما سكت عنه فهو عفو»**.

---

(١) لسماحة الشيخ كلام نفيس وفوائد أوردها فضيلة الشيخ عبد العزيز القاسم حفظه الله في كتابه شرح بلوغ المرام لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٩١) ولولا الإطالة لنقلته هنا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح، باب لحوم حمر الإنسية برقم (٥٥٢٩).

(٣) المستدرك (٢/ ٣١٧).

مداخلة: «**سكت عن أشياء**»؟

الشيخ: «**رحمة لكم غير نسيان، فلا تسألوا عنها**» نعم.

مداخلة: القول بأن يسير جميع النجاسات معفو عنه؟

الشيخ: ليس بجيد، لا، البول ما يعفى عن يسيره، ولا العَذِرة، ولا دم الحائض، يعفى عن اليسير في أمور أخرى، غير الخارج من الفرج، بل أمر النبي ﷺ في الحيض في استحاضاتهن أن يغسلن الدم عن ثيابهن وعن أبدانهن، أما الدم الذي يخرج من جهات أخرى: من جرح، من سن، من عين، هذا أسهل إذا كان يسير يعفى عنه.

● **س: التمساح مما سكت عنه الشرع مسكوت عنه؟**

○ **الجواب:** هذا مسألة صيد البحر، صيد البحر جملة من أهل العلم يرونه حلًّا مطلقًا؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ**»(١)، والله يقول: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**﴾ [المائدة: ٩٦]، فلهذا ذهب جمع من أهل العلم إلى أن جميع ما في البحر كله حل، ولو شابه ما في البر بعضه، ككلب البحر، وخنزير البحر. وذهب بعض أهل العلم إلى أنه ما كان من جنس ما في البر يحرم: كالخنزير، والكلب، وما ليس من جنسه لا يحرم، واستثنى بعضهم التمساح والحية، وليس عليه دليل. الأصل ما في البحر فهو حلال، هذا هو الأصل؛ لأن الله قال: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**﴾ [المائدة: ٩٦]، وقال ﷺ: «**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ**»، هذا هو الأصل إلا بدليل، فلما وجد الصحابة مع النبي ﷺ، حيوانًا عظيمًا بساحل البحر يقال له: العنبر أكلوا منه شهرًا، وتزودوا، كأنه جبل.

مداخلة: أحسن الله إليك، التمساح البرمائي؟

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٤٦١).

الشيخ: هذا يختلف، الذي يعيش في البر يحرم، إذا كان ذو ناب حرم إذا كان يعيش في البر، أما إذا كان لا يعيش إلا في البحر فهو من صيد البحر.

● **س: ما يعيش في البحار يشبهه ما يعيش في الأنهار..؟**

○ **الجواب**: الشيء الذي يعيش في البحار فقط ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾.

مداخلة: هل تدخل فيه الأنهار؟

الشيخ: الذي يظهر إذا نقل من البحر إلى النهر هو من صيد البحر.

مداخلة: يعيش في الأنهار فقط؟

الشيخ: إذا نقل من البحر إلى النهر فهو بحر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو بكر بن مَرْدُوَيه والحاكم في مستدركه: حدثنا محمد بن علي بن دُحَيم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا أبو نُعَيم الفضل بن دُكَيْن، حدثنا محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرًا، فبعث الله نبيه وأنزل كتابه، وأحل حلاله وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، وتلا هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ إلى آخر الآية.

وهذا لفظ ابن مَرْدُوَيه. ورواه أبو داود منفردًا به، عن محمد بن داود بن صبيح، عن أبي نعيم به[1]. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح

---

(١) أخرجه في كتاب الأطعمة، باب ما لم يذكر تحريمه برقم (٣٨٠٠).

الإسناد ولم يخرجاه[١]. .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبو عَوَانة، عن سِمَاك بن حرب، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: مَاتَتْ شَاةٌ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ مَاتَتْ فُلَانَةُ. يَعْنِي: الشَّاةَ، فَقَالَ: «**فَلَوْلَا أَخَذْتُمْ مَسْكَهَا**». فَقَالَتْ: نَأْخُذُ مَسْكَ شَاةٍ قَدْ مَاتَتْ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ **فَإِنَّكُمْ لا تَطْعَمُونَهُ إِنْ تَدْبُغُوهُ فَتَنْتَفِعُوا بِهِ**». فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا فَسَلَخَتْ مَسْكَهَا فَدَبَغَتْهُ فَاتَّخَذَتْ مِنْهُ قِرْبَةً حَتَّى تَخَرَّقَتْ عِنْدَهَا[٢].

ورواه البخاري والنسائي، من حديث الشعبي، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس، عن سودة بنت زمعة، بذلك أو نحوه[٣].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عيسى بن نُميلَة الفزاري، عن أبيه قال: كنت عند ابن عمر، فسأله رجل عن أكل القنفذ، فقرأ عليه: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ الآية، فقال شيخ عنده: سمعت أبا هريرة يقول: ذكر عند النبي ﷺ فقال: «**خبيثة من الخبائث**». فقال ابن عمر: إن كان النبي ﷺ قاله فهو كما قال. ورواه أبو داود، عن أبي ثور، عن سعيد بن منصور، به[٤]

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا ضعيف؛ لأن الشيخ مجهول، هذا ضعيف، الشيخ مجهول،

---

(١) ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ١١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور، باب اذا حلف أن لا يشرب نبيذًا برقم (٦٦٨٦).

(٤) أخرجه في كتاب الأطعمة، باب في أكل لحم الحبارى برقم (٣٧٩٩).

القنفذ الأصل فيه الإباحة، هذا أبو شوك، والكبير يقال له: نيس، والصغير يقال له: قنفذ. الصواب حله إلا بدليل، وليس هناك دليل يحرمه، وهو يأكل الشجر والزروع، اختلف العلماء في تحريمه، الصواب حله؛ لأنه ليس من السباع.

مداخلة: أحسن الله إليك شيخ.

مداخلة: يأكل الحشرات ويأكل؟

الشيخ: الحشرات من الخبائث لا، الحشرات محرمة.

مداخلة: لا ويأكل الحيات يا شيخ؟

الشيخ: لقوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ﴾ [المائدة: ٤]، وهي من الخبائث، وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالحشرات من الخبائث كالخنفساء، أو العقرب، والحية، والفأرة، وما أشبهها.

مداخلة: الأخ يقول: أن القنفذ يأكل الحشرات، والحيات.

الشيخ: سهل سهل، ما يضر.

مداخلة: أحسن الله إليك، والده ذكره بالنون.

الشيخ: نعم.

مداخلة: والده ذكر بالنون.

الشيخ: نعم.

مداخلة: نميلة الفزاري.

الشيخ: ماذا يعني؟

مداخلة: والد عيسى.

مداخلة: عيسى.

الشيخ: نعم.

مداخلة: ذكر والده بالنون.

الشيخ: طيب الحمد لله، صار بالنون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: فمن اضطر إلى أكل شيء مما حُرّم في هذه الآية الكريمة، وهو غير متلبس ببغي ولا عدوان، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾؛ أي: غفور له، رحيم به.

وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية.

والمقصود من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه، من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البَحِيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك، فأمر [الله] رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم، وإنما حُرِّم ما ذكر في [هذه] الآية، من الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به. وما عدا ذلك فلم يحرم، وإنما هو عفو مسكوت عنه، فكيف تزعمون [أنتم أنه حرام، ومن أين حرمتموه ولم يحرمه الله؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا، كما جاء النهي عن لحوم الحمر ولحوم السباع، وكل ذي مخلب من الطير، على المشهور من مذاهب العلماء.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ **[الأنعام: ١٤٦]**(١).

قال ابن جرير: يقول تعالى: وحرمنا على اليهود ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع، كالإبل والنعام والأوز والبط. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو البعير والنعامة. وكذا قال مجاهد، والسُّدِّي في رواية.

وقال سعيد بن جُبَيْر: هو الذي ليس بمنفرج الأصابع، وفي رواية عنه: كل شيء متفرق الأصابع، ومنه الديك.

وقال قتادة في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وكان يقال: البعير والنعامة وأشياء من الطير والحيتان. وفي رواية: البعير والنعامة، وحرم عليهم من الطير: البط وشبهه، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع.

وقال ابن جُرَيْج: عن مجاهد: ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ قال: النعامة والبعير، شقًّا شقًّا. قلت للقاسم بن أبي بَزَّة وحدثنيه: ما «شقًّا شقًّا»؟ قال: كل ما لا ينفرج من قول البهائم. قال: وما انفرج أكلته.

اليهود قال: انفرجت قوائم البهائم والعصافير، قال: فيهود تأكلها. قال: ولم تنفرج قائمة البعير، خفه، ولا خف النعامة ولا قائمة الوز، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوز، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته، ولا تأكل حمار وَحْش.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ قال السُّدِّي: يعني الثَّرْب وشحم الكليتين. وكانت اليهود تقول: إنه حرمه إسرائيل فنحن نحرمه. وكذا قال ابن زيد.

وقال قتادة: الثرب وكل شحم كان كذلك ليس في عظم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾؛ يعني: ما عَلِق بالظهر من الشحوم.

وقال السُّدِّي وأبو صالح: الألية، مما حملت ظهورهما.

وقوله: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ قال الإمام أبو جعفر بن جرير: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ جمع، واحدها حاوياء، وحاوية وحَوِيَّة وهو ما تَحَوَّى من البطن فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن، وهي «المباعر»، وتسمى «المرابض»، وفيها الأمعاء.

قال: ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما، إلا ما حملت ظهورهما، أو ما حملت الحوايا.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ وهي المبعر.

وقال مجاهد: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ المبعر، والمربض. وكذا قال سعيد بن جبير، والضحاك، وقتادة، وأبو مالك، والسُّدِّي.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ المرابض التي تكون فيها الأمعاء، تكون وسطها، وهي بنات اللبن، وهي في كلام العرب تدعى المرابض.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾؛ أي: وإلا ما اختلط من الشحوم بالعظام فقد أحللناه لهم.

وقال ابن جُرَيْج: شحم الألية اختلط بالعُصْعُص، فهو حلال. وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم، فهو حلال، ونحوه قال السُّدِّي.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾.

أي: هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به، مجازاة لهم على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا، كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾؛ أي: وإنا لعادلون فيما جزيناهم به.

وقال ابن جرير: وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم، لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه، والله أعلم.

وقال عبد الله بن عباس: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سَمُرَة باع خمرًا، فقال: قاتل الله سمرة! ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا**». أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس، عن عمر، به[(١)].

وقال الليث: حدثني يزيد بن أبي حبيب قال: قال عطاء بن أبي رباح: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح: «**إن الله ورسوله حَرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**». فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة، فإنه يدهن بها الجلود ويُطلى بها السفن، ويَسْتَصبِح بها الناس. فقال: «**لا هو حرام**». ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم عليهم شحومها جَمَلوه، ثم باعوه وأكلوا ثمنه**».

رواه الجماعة من طرق، عن يزيد بن أبي حبيب، به[(٢)].

وقال الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه برقم (٢٢٢٣)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الخمر والميتة برقم (١٥٨١).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام برقم (٢٢٣٦)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الخمر والميتة برقم (١٥٨٢).

فَبَاعُوهَا»[١]. ورواه البخاري ومسلم جميعًا، عن عبدان، عن ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري، به[٢].

وقال ابن مَرْدُوَيه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا إسماعيل بن إسحاق، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا وُهَيْب، حدثنا خالد الحَذَّاء، عن بركة أبي الوليد، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ كان قاعدًا خلف المقام، فرفع بصره إلى السماء فقال: **«لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ»** ثَلاثًا **«إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا وَإِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ»**[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، أنبأنا خالد الحذاء، عن بركة أبي الوليد، أنبأنا ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ قاعدًا في المسجد مستقبلًا الحِجْر، فنظر إلى السماء فضحك، ثم قال: **«لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا، وَإِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ»**[٤] ورواه أبو داود، من حديث خالد الحذاء[٥].

وقال الأعمش، عن جامع بن شَدَّاد، عن كلثوم، عن أسامة بن زيد

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام برقم (٢٢٣٦)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الخمر والميتة برقم (١٥٨٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة برقم (٢٢٢٤٦)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الخمر والميتة برقم (١٥٨٣).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة برقم (٣٤٨٨)، والترمذي في كتاب البيوع، باب في بيع جلود الميتة والأصنام برقم (١٢٩٧)، وابن ماجه في كتاب البيوع، باب ما لا يحل بيعه برقم (٢١٦٧)، والنسائي في كتاب الفرع والعتيرة برقم (٤٢٥٦)، والإمام أحمد (١/ ٣٢٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٤٧).

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة برقم (٣٤٨٨).

قال: دخلنا على رسول الله ﷺ وهو مريض نعوده، فوجدناه نائمًا قد غطى وجهه ببُرد عَدني، فكشف عن وجهه وقال: «**لعن الله اليهود يحرمون شحوم الغنم ويأكلون أثمانها**»(١)، وفي رواية: «**حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها**».

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ **الآية** [الأنعام: ١٤٦](٢).

وقال ابن عباسٍ: ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾: البعير والنعامة، ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ [١٤٦]: المبعر، وقال غيره: ﴿هَادُواْ﴾: صاروا يهودًا، وأما قوله: ﴿هُدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٥٦]: تبنا، هائدٌ تائبٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال الشّارح عليه؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٩٥)]: «قوله: (ٱلْحَوَايَآ: **المبعر**): في رواية أبي الوقت: المباعر، وصله ابن جريرٍ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ، قال: الحوايا هو المبعر. وأخرجه عبد الرّزّاق، عن معمرٍ، عن قتادة مثله.

وقال سعيد بن جبير: الحوايا: المباعر. أخرجه ابن جريرٍ وقال: الحوايا جمع: حَوِيّةٍ، وهي ما تحوّى واجتمع واستدار من البطن، وهي نبات اللّبن، وهي المباعر، وفيها الأمعاء. قال: ومعنى الكلام: إلّا ما حملت ظهورهما وإلّا ما حملت الحوايا؛ أي: فهو حلالٌ لهم.

تنبيهٌ: المبعر بفتح الميم ويجوز كسرها». [انتهى كلامه].

*

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ١٩٤).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

حدّثنا عمرو بن خالدٍ، حدّثنا اللّيث، عن يزيد بن أبي حبيبٍ قال عطاءٌ: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمعت النّبيّ ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود، لمّا حرّم الله عليهم شحومها جملوها، ثمّ باعوها فأكلوها**»، وقال أبو عاصم: حدّثنا عبد الحميد، حدّثنا يزيد كتب إليّ عطاءٌ سمعت جابرًا، عن النّبيّ ﷺ[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهؤلاء ـ نسأل الله العافية ـ لهم السّبق في الفساد والبلاء والحيل والمكر والخديعة، نسأل الله العافية.

في السّبت فعلوا ما فعلوا، وفي هذا فعلوا ما فعلوا، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوّة إلّا بالله، هذا يدلّ على أنّ أصحاب الحيل والمكر والخداع لهم أئمةٌ يقتدون بهم، وهم اليهود والمنافقون، هؤلاء هم قدوة هؤلاء، ساروا في نهجهم في المكر، والخداع، والظّلم، وأكل الأموال بالباطل اتباعًا لمنهج اليهود والمنافقين، نسأل الله العافية.

والمعنى: أنّهم تحيّلوا لمّا حرّمت عليهم الشّحوم جملوها؛ يعني: أذابوها، ثمّ باعوها وأكلوا أثمانها؛ وقالوا: ما أكلنا شحومًا إنّما أكلنا ذوبًا دهنًا.

وهذه من الحيلة على ما حرّم الله كأصحاب الرّبا المتحيّلين وأشباه ذلك ممّن يتحيّل على ما حرّم الله، لو أتوا الأمر من وجهه لكان أسهل، لكن التحيّل على المحارم أقبح؛ ولهذا في الحديث: «**لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ اليَهُود، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللهِ بِأَدْنَى الْحِيَلِ**»[2]، والواجب أن تؤتى

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ برقم (٤٦٣٣)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام برقم (١٥٨١).

(٢) رواه ابن بطة في «إبطال الحيل» (ص٢٤).

الأمور من وجهها، وأن يحذر الحرام والتحيّل إليه، ومثل نكاح الشّغار، ومثل نكاح التّحليل وأشباه ذلك؛ نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ **[الأنعام: ١٤٧]**[(١)].

يقول تعالى: فإن كذّبك يا محمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم، فقل: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة، واتباع رسوله، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين. وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الآية: ١٦٥]، وقال ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، وقال [تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٢ ـ ١٤]، والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود من هذا ترغيب الناس بالتوبة إليه، وعدم اليأس، وأن الله جل وعلا هو جواد كريم، تواب رحيم، وإن عظمت الذنوب، وإن طال الأمد فمتى رجع العبد إلى ربه وتاب إليه، وإن عظمت ذنوبه، فهو سبحانه هو التواب الرحيم، كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ.

أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ أي: بالشرك والمعاصي، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، أجمع العلماء على أن الآية في التائبين، وأنه سبحانه يغفر لهم مهما عظمت الذنوب، فقد وقع من كثير من قريش وغيرهم، من الأذى للرسول ﷺ، والكفر العظيم، ثم تابوا فتاب الله عليهم، فلا ينبغي لأحد أن ييأس، أو يُيئِس الناس، أو يقنطهم، بل ينبغي له أن يرغبهم في الخير، ويخبرهم بأن ربهم ذو رحمة واسعة، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، فمن تاب تاب الله عليه، ومن أعرض بأس الله لا يرد عنه وعن أمثاله، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، يغفر الذنب لمن تاب، ويجزي العقاب لمن أبى واستكبر، ولا يخرج من هذا أحد، الكفار والعصاة جميعًا.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝١٤٨ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١٥٠﴾ **[الأنعام: ١٤٨ ـ ١٥٠]**(١).

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبَّثت بها المشركون في

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ.

شركهم وتحريم ما حرموا؛ فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان، أو يحول بيننا وبين الكفر، فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم [مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾] [الزخرف: ٢٠]، وكذلك التي في «النحل» مثل هذه سواء، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء. وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمَّر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بأن الله تعالى راض عنكم فيما أنتم فيه ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾؛ أي: فتظهروه لنا وتبيِّنوه وتبرزوه، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: الوهم والخيال. والمراد بالظن هاهنا: الاعتقاد الفاسد. ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾؛ أي: تكذبون على الله فيما ادعيتموه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس [رضي الله عنهما]: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ [الأنعام: ١٠٧]، فإنهم قالوا: عبادتنا الآلهة تقرِّبنا إلى الله زُلْفَى، فأخبرهم الله أنها لا تقربهم، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾، يقول تعالى: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم - يا محمد: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾؛ أي: له الحكمة التامة، والحجة البالغة في هداية من هَدى، وإضلال من أضل، ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويُبْغض الكافرين، كما قال

تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ [كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾] [يونس: ٩٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أنه سبحانه القادر على كل شيء، ولكنه يملي ولا يغفل، هو القادر على أن يجعلهم جميعًا مهتدين، كما هو القادر على أن يجعلهم جميعًا ضالين، ولكنه سبحانه يملي ولا يغفل، قد بين الحق وأوضحه بالدليل، وبين الباطل الذي نهاهم عنه وحذرهم منه، فلا حجة لهم في كونه لم يهدهم لهذا الخير، فإذا أملى للظالمين وأنظرهم فهو له الحكمة البالغة في ذلك، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، لما أعرضوا عن الحق أملي لهم وأمهلوا، وهو سبحانه قادر على كل شيء. كونه يقدر على هداهم، وكونه ﷻ هو الخلاق العليم، ليس لهم في ذلك حجة، بعد أن أبان الله لهم الحق، وأوضح لهم، يجب عليهم فعله، وبيَّن لهم ما يجب عليهم تركه، وأعطاهم العقول. فالواجب عليهم أن يمتثلوا أمره، وأن يحذروا نهيه، وأن يحكموا هذه العقول التي أعطاهم الله إياها فيما ينفعهم، وفي ترك ما يضرهم، أما كونه يقدر على هدايتهم ليس لهم حجة في ذلك: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الضحاك: لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾؛ أي: أحضروا شهداءكم ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾؛ أي: هذا الذي حرمتموه وكذبتم وافتريتم

على الله فيه، ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾؛ أي: لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذبًا وزورًا، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١٥٠﴾؛ أي: يشركون به، ويجعلون له عديلًا.

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله.

◻ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠][١].

لغة أهل الحجاز: هلمّ للواحد والاثنين والجمع.

حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا عبد الواحد، حدّثنا عمارة، حدّثنا أبو زرعة، حدّثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم السّاعة حتّى تطلع الشّمس من مغربها، فإذا رآها النّاس آمن من عليها، فذاك حين**: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾؛ يعني: طلوع الشمس من مغربها، متى طلعت لم تقبل من الناس الأعمال التي تستجد، ليس له إلا ما قدم، ومن كان كافرًا لم يقبل إسلامه[٣].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ برقم (٤٦٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه التوبة برقم (١٥٧).

(٣) وقال سماحته رحمه الله في القراءة الأولى: الله أكبر، وهذا معنى الآية: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، يعني: طلوعَ الشمسِ من مغربِها، لا حول ولا قوة إلا بالله.

• س: علاقة الحديث بالترجمة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراد: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [المراد: ١٥٨]؛ لأنها من سورة الأنعام.

• س: آية الترجمة: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الظّاهر مراد المؤلّف؛ يعني: ما يفسّر به السّورة، مثل ما تقدّم، يتكلّم عنها عمومًا.

• س: الشّمس خاصّةٌ ولّا الآيات؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، الشّمس الّذي قبلها، لا، نزول المسيح ابن مريم، وخروج الدّجال ويأجوج ومأجوج هذه بعدها توبةٌ، من أسلم قبل، لكن إذا طلعت من مغربها لا يقبل من أحدٍ توبةٌ ولا إسلامٌ.

• س: وقت خروج الدّابّة وغيرها كلّه ينفع نفسًا إيمانها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلّا الشّمس إذا طلعت وما بعدها انتهى الأمر.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ **[الأنعام: ١٥١]**[(١)].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٨ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ، و مغرب الأحد ١٥ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ.

قال داود الأوْدِي، عن الشعبي، عن علقَمَة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد أن يقرأ صحيفة رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣](١).

وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو، حدثنا عبد الصمد بن الفضل، حدثنا مالك بن إسماعيل النَّهدي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة قال: سمعت ابن عباس يقول: في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب، ثم قرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

ثم قال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه(٢).

قلت: ورواه زُهَيْر وقيس بن الربيع كلاهما عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن قيس، عن ابن عباس، به. والله أعلم.

وروى الحاكم أيضًا في مستدركه من حديث يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزهري، عن أبي إدريس، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يبايعني على هذه الآيات**»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حتى فرغ من الآيات فمن وفَّى فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخَّر إلى الآخرة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه. ثم قال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وإنما اتفقا على حديث الزهري، عن أبي إدريس، عن عبادة: «**بايعوني على ألا**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنعام برقم (٣٠٧٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣١٧).

تشركوا بالله شيئًا» الحديث[١]. وقد روى سفيان بن حُسَين كِلا الحديثين، فلا ينبغي أن ينسب إلى الوهم في أحد الحديثين إذا جمع بينهما، والله أعلم.

وأما تفسيرها فيقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: قل يا محمد ـ لهؤلاء المشركين الذين أشركوا وعبدوا غير الله، وحرَّموا ما رزقهم الله، وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْاْ﴾؛ أي: هلموا وأقبلوا: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقًّا لا تخرصًا، ولا ظنًّا، بل وحيًا منه وأمرًا من عنده:

﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وكأن في الكلام محذوفًا دل عليه السياق، وتقديره: وأوصاكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ وكما قال الشاعر:

حَجَّ وأوصَى بسُلَيمى الأعْبُدَا أنْ لا تَرَى ولا تُكَلِّم أحَدا
ولا يَزَلْ شَرَابُها مُبَرَّدا.

وتقول العرب: أمرتك ألا تقوم.

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل فبشَّرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا من أمتك، دخل الجنة»**. قلت: **وإن زنا وإن سرق؟** قال: **«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»** قلت: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»؟ قال: **«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»**. قلت: **«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»**؟ قال: **«وإن زنا وإن سرق، وإن شرب الخمر»**: وفي بعض الروايات أن القائل ذلك إنما هو أبو ذر لرسول الله ﷺ، وأنه، عليه السلام،

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٣١٨) والحديث اتفقا عليه فهو في صحيح البخاري برقم (١٨)، وفي مسلم برقم (١٧٠٩).

قال في الثالثة: «**وَإِنْ غِمَ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»، فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى في هذا أن من مات على التوحيد مضمون له الجنة، لكن قد يدخلها أول وهلة لكونه مات على الإيمان والهدى، أو على توبة نصوح، وقد يعذب إذا مات على شيء من المعاصي الأخرى، ثم يصير مآله إلى الجنة؛ ولهذا قال: **قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**. . . إلى آخره. فالزنا والسرقة وشرب الخمر، كلها لا تمنع من كونه يعذب ثم يخرج ويصير إلى الجنة بعد ذلك، فإن الزنا والسرقة وشرب الخمر كلها معاصي دون الشرك، فمن تاب منها تاب الله عليه، ومن مات عليها فهو تحت مشيئة الله، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه على قدر جرائمه، ثم بعد التطهير والتمحيص في النار يخرج من النار إلى الجنة، بسبب التوحيد الذي مات عليه، من مات على التوحيد والإسلام، ومن ذلك هذا الحديث.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي بعض المسانيد والسُّنن عن أبي ذر [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: «قَالَ اللهُ ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ عَلَى الأَرْضِ مَغْفِرَةً مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي، وَلَوْ بَلَغَتْ خَطَايَاكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي لَغَفَرْتُ لَكَ**»(٢).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الثياب البيض برقم (٥٨٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا برقم (١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار. . . برقم (٣٥٤٠) والإمام أحمد (المسند ٣/ ١٧٢ ٥/ ١٦٧) وحسَّنه محققوه.

ولهذا شاهد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من رحمة الله ﷻ أن من تاب إليه وأناب إليه تاب الله عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن عظمت الذنوب، فعفو الله أعظم، وإحسانه أكبر، فعلى العبد أن يتوب إلى الله ويبادر بالتوبة، ويحذر التسويف، والله يتوب على التائبين، كما قال ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، أما إذا مات على ذنوب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، في آيتين من كتابه من سورة النساء، فالمعاصي التي دون الشرك كلها تحت مشيئة الله، قد يغفر لصاحبها، وقد يعذب على قدر جرائمه التي مات عليها، ثم يخرج من النار، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن كثيرًا من العصاة يدخلون النار، ما يعفى عنهم الإثم؛ لأنهم ماتوا على غير توبة، فيعذبون على قدر معاصيهم، ويشفع فيهم الأنبياء، ويشفع فيهم النبي ﷺ، ويشفع المؤمنون، والأبرار، والملائكة، كل على قدر ما كتب الله له، ويبقى بقية لم تشملهم الشفاعة يخرجهم الله من النار بفضل رحمته إذا تم أجلهم فيها، وانتهت مدتهم فيها.

الحكم على حديث: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**.

مداخلة: الله يحسن إليك! حديث أبي ذر السابق؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: في الحديث السابق من حديث أبي ذر.

الشيخ: نعم، رواه مسلم في الصحيح. الله أكبر!

الحكم على حديث: «إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي..».

مداخلة: هذا الحديث القدسي: «**إنك ما دعوتني**».

الشيخ: هذا رواه الترمذي أيضًا من حديث الأربعين، من أحاديث الأربعين.

● **س**: **صحيح؟**

○ **الجواب**: محل نظر، ما أعرف حال سنده، لكن فيما يظهر أنه من قبيل الحسن: ولهذا شاهد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

الشيخ: وهذا لو صح على سبيل الأفضلية، وإلا فله أن يستجيب إذا أكره، أن يستجيب باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يُحرق، كما فعل الصحابة في مكة، لقوله ﷻ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، المكره على الكفر مخيَّر: إن شاء صبر وهو أفضل له، وله الأجر العظيم، وإن شاء أجاب بالموافقة باللسان مع الطمأنينة في القلب بالإيمان والثبات عليه.

مداخلة: أحسن الله إليك! الصحابة في مكة فعلوا شيء؟

الشيخ: نعم.

● **س**: **الصحابة في مكة فعلوا شيء من الكفر؟**

○ **الجواب**: عذبوا كثيرًا منهم، من الصحابة، وكان بلال أبى عليهم، يقول: أحد أحد وهم يعذبونه، وكثير من الصحابة استجابوا مكرهين، مثل الذين خرجوا يوم بدر أيضًا؟

مداخلة: أكرهوا على الفعل.

الشيخ: نعم.

● **س**: **على الفعل أو على القول؟**

○ **الجواب**: على القول، على تكذيب محمد وأنه ليس بنبي، اللّهم صلِّ عليه وسلِّم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[١]. والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا.

وروى ابن مَرْدُوَيه من حديث عبادة وأبي الدرداء: «**لا تشركوا بالله شيئًا، وإن قُطِّعتم أو صُلِّبتم أو حُرِّقتم**».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عَوْف الحِمْصي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا نافع بن يزيد حدثني سيار بن عبد الرحمٰن، عن يزيد بن قَوْدر، عن سلمة بن شُرَيح، عن عبادة بن الصامت قال: أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال: «**ألا تشركوا بالله شيئًا، وإن حُرِّقتم وقطِّعتم وصُلِّبتم**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا في سنده نظر، في سنده نظر؛ لأن الرخصة ثابتة بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، وابن أبي مريم. هذا إن كان أبو بكر هو ضعيف، وإن كان سعيد ثقة.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ!

الشيخ: نعم.

● **س: المكره هل يدخل تحت مسمَّى المشرك؟**

○ **الجواب**: لا، معفو عنه، ما يكون مشرك، نعم، يكون من باب العفو.

مداخلة: الفعل أحسن الله إليك هل يدخل في الإكراه؟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا برقم (١٥٠).

الشيخ: نعم، الصحيح أنه يدخل.

مداخلة: حديث الذي قدم ذباب هو صحيح؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: حديث الذي قدم ذباب؟

الشيخ: ذاك في شرع من قبلنا ولا أكره، قالوا له: قدِّم وقدم، لا عذب ولا حرق.

مداخلة: ما هو موجود يا شيخ.

الشيخ: ما هو موجود؟

مداخلة: لا.

الشيخ: ضع عليه إشارة.

مداخلة: في الميزان يا شيخ.

الشيخ: نعم.

مداخلة: في ميزان الاعتدال: سلمة بن شريح عن عبادة لا يعرف.

الشيخ: عندك؟

مداخلة: في ميزان الاعتدال يا شيخ الذهبي.

الشيخ: الميزان؟

مداخلة: نعم يقول: سلمة بن شريح عن عبادة لا يعرف.

الشيخ: أي هذا اسم مجهول، سلمة بن شريح؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: نعم هذه علة جهالة سلمة باقي يزيد هذا، أما ابن أبي مريم فالظاهر أنه سعيد وهو ثقة، سعيد بن أبي مريم شيخ البخاري، إما إن كان هو أبو بكر بن عبد الله فهو ليس بشيء.

الشيخ: المقصود أن القاعدة المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة: أن ما دون الشرك تحت مشيئة الله، ما دون الشرك تحت

مشيئة الله، خلافًا للخوارج، وخلافًا للمعتزلة، الخوارج كفروا والمعتزلة أخرجوه من الإيمان، ولم يدخلوه في الكفر وجعلوه في منزلة بين المنزلتين، واتفقوا على أن العصاة في النار مخلدون فيها كالكفار، هذا رأي الخوارج والمعتزلة جميعًا. أما أهل السنة والجماعة وهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فهم يقولون العصاة تحت مشيئة الله، كما نص عليه في القرآن، تحت مشيئة الله كثير منهم يدخلون النار بذنوبهم، إلا أن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فيدخلها ناس يصلون، بذنوب لهم ماتوا عليها، لكنهم لا يخلدون، ما دام ماتوا على التوحيد والإسلام لا يخلدون، بل يعذبوا على قدر ما ماتوا عليه من المعاصي، ثم يخرجون من النار إلى الجنة، نعم، وقد امتحشوا واحترقوا، ينبتون في الماء كما تنبت الحبة في حميل السيل، إذا تم خلقهم أدخلهم الله الجنة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ أي: وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانًا؛ أي: أن تحسنوا إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقرأ بعضهم: **(ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا)**.

والله تعالى كثيرًا ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين، كما قال: ﴿...أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥]. فأمر بالإحسان إليهما، وإن كانا مشركين بحسبهما، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [البقرة: ٨٣]. والآيات في هذا كثيرة. وفي الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي**

سَبِيلِ اللهِ». قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي[(١)]. وروى الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه بسنده عن أبي الدرداء، وعن عبادة بن الصامت، كل منهما يقول: أوصاني خليلي ﷺ: «**أطع والديك، وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا، فافعل**»[(٢)]. ولكن في إسناديهما ضعف، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ﴾ لمَّا أوصى تعالى ببر الآباء والأجداد، عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ﴾ وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سَوَّلت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خَشْيَة العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفةَ الافتقار؛ ولهذا جاء في الصحيحين، من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قلت: يا رسول الله؛ أي: الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلَقَكَ**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يَطْعَم معك**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أن تُزاني حليلة جارك**». ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨][(٣)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى. وهذا من رحمة الله جل جلاله أن أمر العباد بتوحيده والإخلاص له، والحذر من الإشراك به؛ لأن ذلك هو أهم الأمور، وفيه سعادة العباد في الدنيا والآخرة، العباد خُلقوا ليعبدوا الله، وهذا هو طريق السعادة لهم في الدنيا والآخرة، فإذا عبدوا معه سواه

---

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٤٤٧).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمرو بن واقد، ضعفه البخاري وجماعة، وقال الصوري: كان صدوقًا.

(٣) سبق تخريجه في (٢/ ٤٣٩).

هلكوا وشقوا، فمن رحمة الله أن حذرهم من هذا الأمر على ألسنة الرسل جميعًا، وهكذا في جميع الكتب المنزلة من السماء حذّرهم من الشرك، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] هذه عبادة بيَّنها القرآن العظيم، وبينتها الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي توجيه القلوب إلى الله، والألسنة والأفعال كلها لله وحده فيما يتعلق بالعبادة. وكل الطاعات عبادة؛ لأنها ذلٌّ وخضوع لله، والعبادات الذل لله، فسمَّى الله جميع الطاعات عبادة؛ لأنها ذلٌّ لله وخضوع، كما تقول العرب: طريقٌ معبّد، يعني: مذلل قد وطِئته الأقدام، ويقولون: بعيرٌ معبّد، يعني: قد شُدّ ورُحِّل. فالعبادة هي: الذل لله والخضوع لله، بطاعة أوامره وترك نواهيه ﷻ، وهذا الذل هو العز، وهو الكرامة، وهو النجاة، وهو كمال العبد أن يكون عبدًا لله، خالصًا لله، ليس لأحد فيه شركة، بل يُعبد الله وحده ويخصه بالعبادة دون كل الأشياء، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول ﷻ: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]؛ أي: له العبادة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

ثم عليهم مع هذا أن يحذروا ما حرم الله عليهم من سائر المعاصي، كما يلزمهم أداء الفرائض من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك، فيلزمهم أيضًا أن يدَعوا المحارم الأخرى التي دون الشرك، حتى تتم لهم أسباب السعادة، ومن ذلك الإحسان للوالدين وعدم العقوق؛ فإن هذا من أهم الفرائض، الإحسان للوالدين وعدم العقوق، فالإحسان إليهم من أهم الفرائض بعد التوحيد، وعقوقهم من أهم الذنوب بعد الشرك، العقوق من كبائر الذنوب التي تلي الشرك، والإحسان إليهم من الفرائض التي تلي التوحيد. والوالدان يشمل الأب والأم والأجداد، كلهم آباء،

الوالدين القريبين والبعيدين، أباه وأمه، اللذان ولداه، وكذلك جده وجدته، يجب الإحسان إلى الجميع.

وهكذا الإحسان للأولاد، هم أيضًا القسم الثاني من الأقارب، وهم أقرب الناس إليه بعد والديه، فيجب البر بهما والصلة لهما والإحسان إليهما الأولاد والأحفاد، الأحفاد: أولاد الذرية، أولاد البنين والبنات، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، والغالب على أبناء الرجال أن يقال لهم: حفدة، وعلى أبناء النساء: أسباط، وقد يُطلق على الجميع الحفدة.

بعض النصوص التي تعظم أمر الشرك والعقوق وشهادة الزور والزنا والقتل والسحر.

فالإحسان يعم الآباء والأمهات، والأجداد والجدات، والعقوق يعم ذلك أيضًا، وهكذا الإحسان للأولاد وأولادهم، ويحرم القطيعة لهم ولأولادهم. وقد جاء في النصوص هذا وهذا، جاء في النصوص بيان العقوق وشهادة الزور، وأنها تلي الشرك، وجاء في الحديث أن قتل النفس والزنا يلي الشرك، ليبيِّن الرب بذلك أن هذه من الكبائر العظيمة، وأنها تلي الشرك، القتل بغير حق والزنا والعقوق وشهادة الزور، في حديث ابن مسعود قلت للنبي ﷺ: «أي الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»، يعني: معبودًا معه تشرك به من صنم أو وثن أو نبي أو غير ذلك. «قلت له: ثم أي؟ قال: **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**»، قتل النفس من أعظم الكبائر، وإذا كان الولد صارت كبيرة من جهة الظلم وكبيرة من جهة قطيعة الرحم، والله أطلق القتل في الآية الكريمة. «ثم أي؟ قال: **أن تزاني حليلة جارك**»، جعل الزنا بحليلة الجار أيضًا من أكبر الكبائر بعد الشرك والقتل، فأنزل الله الآية سبحانه، وهي قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، هذا

الشرك، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]، هذا عامٌّ يعم الولد وغيره. ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] يعمل الزنا بزوجة الجار وغيرها، كلها من الكبائر العظيمة. وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** ـ كررها ثلاثًا ـ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**» فجعل في هذا الحديث يلي الشرك العقوق وشهادة الزور. فعُلم بذلك أن العقوق وشهادة الزور، والقتل بغير حق، والزنا كلها من الكبائر العظيمة التي تلي الشرك، وإن كانت ليست مثل الشرك بل دون الشرك تحت المشيئة، لكنها من الكبائر العظيمة التي يجب الحذر منها، وهكذا الربا من الكبائر العظيمة. وهكذا أكل أموال اليتامى، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات** ـ يعني: المهلكات ـ، قلنا: ما هي يا رسول الله؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»، والسحر من جملة دون الشرك؛ لأنه لا يتوصل إليه إلا بالشرك، بعبادة الجن والتقرب إليهم. ولهذا في الحديث: «**حد الساحر ضربة بالسيف**» جاء مرفوعًا وموقوفًا. والساحر متى ثبت سحره قُتل، لا يستتاب؛ لعظم شره، ولهذا أمر عمر رضي الله عنه في خلافته بقتل السواحر وعدم استتابتهم.

والمقصود أنه هنا في آية الأنعام ﴿نَّرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ لأن الفقر حاصل ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾؛ يعني: من فقر حاصل. فبدأ به قال: ﴿نَّرْزُقُكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] الأولاد. في سورة الإسراء لما كان خوفًا من الفقر بدأ بالأولاد، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] يعني: في أولادكم تخشون الفقر

بأسبابهم فهو يرزقهم الله وآباءهم وأمهاتهم، فالأمر بيده سبحانه وتعالى وهو الرزاق، فلا يجوز القتل لأجل خوف الفقر، فالرزق عند الله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]. يقول سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. فهو سبحانه الرزاق لعباده عاقلهم وبهيمهم، هذه الدابة النملة الضعيفة الحقيرة يأتيها رزقها فكيف بغيرها؟!.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ قال ابن عباس، وقتادة، والسُّدِّي: هو الفقر؛ أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة «سبحان»: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]؛ أي: خشية حصول فقر، في الآجل؛ ولهذا قال هناك: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله. وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ ؛ لأنه الأهم هاهنا، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وقد تقدم تفسيرها في قوله: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢].

وفي الصحيحين، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا أحد أغْيَر من الله، من أجل ذلك حَرَّم الفواحش ما ظَهَر منها وما بَطنَ**»[١].

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ برقم (٤٦٣٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى برقم (٢٧٦٠).

وقال عبد الملك بن عُمَيْر، عن وَرّاد، عن مولاه المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت مع امرأتي رجلًا لضربته بالسيف غير مُصْفَح. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد! فوالله لأنا أغير من سعد، والله أغير مني، من أجل ذلك حَرّم الفواحش ما ظهر منها وما بَطَن**». أخرجاه[١].

وقال كامل أبو العلاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، إنا. نغار. قال: «**والله إني لأغار، والله أغير مني، ومن غيرته نهى عن الفواحش**».

رواه ابن مَرْدُوَيه، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وهو على شرط الترمذي، فقد روي بهذا السند: «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وسمّيت فواحش لما فيها من الفحش؛ لأن العقول السليمة تنكرها، وتعرف قبحها فهي فاحشة تشمل الزنا والعقوق واللواط والخمر وكل ما حرّم الله، كل فاحشة تُنكرها العقول الصحيحة والفطر السليمة، وتعلم قبحها، ولهذا حرمها الله ﷻ. حديث غيرة سعد، غير مصفّح يحتمل أنها غير مصفح يعني: غير ضارب بحدّه العريض، بل بحده الحديد الذي يقتل، يعني يضربه بالسيف ضربة العامد القاصد لقتله من شدة غيرة سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأته رجلًا فقتله برقم (٦٧٤٦)، ومسلم في كتاب اللعان، باب برقم (١٤٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة برقم (٢٣٣١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهذا مما نص تبارك وتعالى على النهي عنه تأكيدًا، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فقد جاء في الصحيحين، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**».

وفي لفظ لمسلم: «**والذي لا إلٰه غيره لا يحل دم رجل مسلم...**» وذكره، قال الأعمش: فحدثت به إبراهيم، فحدثني عن الأسود، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بمثله.

وروى أبو داود، والنسائي، عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ زَانٍ مُحْصَنٌ يُرْجَمُ، أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا مُتَعَمِّدًا فَيُقْتَلُ، أَوْ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ الإِسْلَامِ يُحَارِبُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ فَيُقْتَلُ أَوْ يُصْلَبُ أَوْ يُنْفَى مِنَ الأَرْضِ**» وهذا لفظ النسائي(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يخاطب المحاصرين الذين حاصروه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال وهو محصور: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ**». فَوَاللهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ قَطُّ وَلَا أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلًا مُنْذُ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن أرتد برقم (٤٣٥٣)، والنسائي في تحريم الدم، باب الصلب (٧/ ١٠١).

هَدَانِي اللهُ، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي». رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن[١].

وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهَد ـ وهو المستأمن من أهل الحرب ـ كما رواه البخاري، عن عبد الله بن عمرو، ﵄، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»**[٢]. وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهدًا لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا»**. رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حسن صحيح[٣].

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾؛ أي: هذا ما وصاكم به لعلكم تعقلون عنه أمره ونهيه.

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

ومعنى المعاهد: الذي له عهد وذمة، سواءً كان لجزية أو لغير جزية، أو مستأمن، ليس بيننا وبينه حرب، ودخل آمن لبيع أو شراء أو لأسباب أخرى، وإنما يقاتل الكافر إذا كان حربيًّا ليس بيننا وبينه أمانٌ ولا عهد ولا ذمة. نعم.

الأسئلة:

- **س: يا شيخ، أحسن الله إليك. بم ينقض عهد الذمي يا شيخ؟**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم.... وحسنه برقم (٢١٥٨)، والنسائي في تحريم الدم، باب ذكر ما يحل به دم المسلمين (٧/ ٩١)، وابن ماجه في كتاب الحدود، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث برقم (٢٠٥٢)، والإمام أحمد (١/ ٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب إثم من قتل ذميًّا بغير جرم برقم (٦٩١٤).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل نفسًا معاهدة برقم (١٤٠٣)، وابن ماجه في كتاب الديات، باب من قتل معاهدًا برقم (٢٦٨٧).

○ **الجواب**: هذا له بحث كبير في أحكام أهل الذمة. نعم.

مداخلة: يا شيخ، أحسن الله إليك.

الشيخ: نعم.

● **س: قوله: «له ذمة الله ورسوله» ألا يخرج المشرك؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: قوله في الحديث: (له ذمة الله وذمة رسوله) ألا يُخرج المشرك؟

○ **الجواب**: يعني: قصده أنه أمّنه ولي الأمر أو أمّنه أحد المسلمين حتى يرد الأمانة، ذمة الله ورسوله لكل مستأمن ولو بعد النبي ﷺ. نعم.

الملقي: [وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ أي: هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]].

الشيخ: بركة. قف على اليتيم. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وما أشبهها حثٌّ للعباد على التعقل، والنظر، وعدم الإعراض والغفلة، ولا سيَّما أهل العلم؛ لأن العلم يأتي من طريق التأمل والتعقّل، وجمع النصوص وفهم معناها، فلا بد من العناية بفهم النصوص وعقلها، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، بعدها ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، بعدها ﴿تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. لا بد من كون طالب العلم، وكل مؤمن المؤمن أن يتعقل ويتفهم الأمور، ويتذكر، يذاكر، يبحث، حتى تستقر الأمور بقلبه، وحتى يفهمها جيدًا.

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]**(١).

حدّثنا حفص بن عمر، حدّثنا شعبة، عن عمرو، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرّم الفواحش: ما ظهر منها، وما بطن، ولا شيء أحبّ إليه المدح من الله؛ ولذلك مدح نفسه»، قلت: سمعته من عبد الله؟ قال: نعم، قلت: ورفعه؟ قال: نعم(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

في الرّواية الأخرى: «**وَلَا أَحَد أَحَب إِلَيهِ العُذْر مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِك بَعَثَ المُبَشِّرِينَ والمُنْذِرِينَ، وَلَا أَحَد أَحَب إِلَيهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ ومِنْ أَجْلِ ذَلِك وَعَدَ اللهُ الجَنَّةَ**»(٣)، فهو سبحانه وتعالى يحبّ أن يثنى عليه، ويغار عند انتهاك محارمه، ويقيم الحجّة سبحانه وتعالى على عباده، حتّى لا يقول قائلٌ: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]. الله أكبر.

(من الشّيخ): كذا عندكم موقوفٌ؟

(من الطّالب): في آخر الحديث رفعه، قال: ورفعه؟ قال: نعم.

هذا فيه التّحذير من محارم الله، وأنّ الواجب الحذر من محارم الله الّتي حرّمها على عباده، ولا ينبغي للعاقل أن يتساهل في شيءٍ من ذلك

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ برقم (٤٦٣٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش برقم (٢٧٦٠).

(٣) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «**لا شخص أغير من الله**» برقم (٧٤١٦)، ومسلم في كتاب اللعان، باب برقم (١٤٩٩).

بأنواع الحيل؛ ولهذا حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، جميع المعاصي كلّها فواحش كما في الرّواية الأخرى: «**وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ والْمُنْذِرِينَ**»(١)، لإقامة الحجة وقطع المعذرة، «**ولا أحد أحب إِلَيهِ المدح مِنَ اللهِ وَلِهَذَا أثنَى عَلَى نفسه**» بأسمائهِ الحسنَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣] إلى آخره وغيرها.

فهو سبحانه يحبّ أن يثنى عليه بأسمائه وصفاته، هذه ثلاث مسائل: تحريم الفواحش لغيرته سبحانه، وكراهته للفواحش، وغضبه على أهلها.

سمّيت فواحش؛ لأنّ العقول الصّحيحة المؤمنة تستنكرها، وتراها خبيثةً من الزّنا، والسّرقة، واللّواط، وشرب المسكر، ونحو ذلك.

ولا أحد أحبّ إليه العذر من الله؛ ولهذا أرسل الرّسل، وأقام الحجج؛ فالواجب على أهل العلم أن يبيّنوا الحجة، وأن يقيموا الحجّة، وأن يوضّحوا للنّاس، ويزيلوا عنهم الشّبه؛ حتّى تزول الشبهة، وتقوم الحجّة، ويزول العذر.

وهكذا يشرع للمؤمن الثّناء على الله بأسمائه وصفاته؛ لأنّه يحبّ ذلك: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣] إلى آخره: يا رحمٰن، يا رحيم، يا ذا الجلال والإكرام، يا عزيز، يا حليم، أسألك بأسمائك الحسنى... إلى آخره، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

● **س: الفواحش الباطنة عفا الله عنك؟**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش برقم (٢٧٦٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل الكبر والخيلاء والرّياء، ما يتعلّق بالقلوب، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ **[الأنعام: ١٥٢]**[١].

قال عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: لما أنزل الله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية [النساء: ١٠]، فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله ويفسد. فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، قال: فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم. رواه أبو داود[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا واضحٌ في المعنى فإن إفراد اليتامى فيه مشقة، وفيه ضرر

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٢ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم برقم (٢٨٧١)، والنسائي في الوصايا، باب ما للموصي من مال (٥/ ٢٥٦)، وصححه أحمد شاكر في المسند، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

عليهم أيضًا، فمن رحمة الله أن شرع لعباده خلط أموالهم مع قصد الإصلاح، فإنه إذا خُلط ماله بمالهم صار الشيء يسيرًا، وصار حظهم من هذا يسيرًا والمضرة يسيرة، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فقُربانه للإصلاح أمرٌ مطلوب، وإنما المحذور والمنكر قُربانه للظلم والعدوان. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، يعلم المفسد الذي يخلط ليظلم اليتيم، واللي يخلط ليصلح لليتيم وينفع اليتيم، وهو العالم بالسرائر والأعمال ﷻ. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، لو شاء الله لكلفكم بما فيه المشقة، ولكن من رحمته أن يسّر وسهّل. فكلف العباد ما ينفعهم ولا يضرهم، ولا يشق عليهم، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال الشعبي، ومالك، وغير واحد من السلف: يعني: حتى يحتلم.

وقال السُّدِّي: حتى يبلغ ثلاثين سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ستون سنة. قال: وهذا كله بعيد هاهنا، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب: حتى يبلغ ويزول عنه السفه، يعني: حتى يبلغ رشيدًا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢] يعني: حتى يبلغ العلم ويزول عنه السفه، يكون رشيدًا في تصرفاته. أما التحديد بثلاثين سنة أو بأربعين هذا غلط لا وجه له، ومضرة على اليتيم إذا أرشد. وإنما الواجب أن يلاحظ رشده وبلوغه، فإذا بلغ بخمسة عشر سنة أو بالإنبات أو بالإنزال ورشد في تصرفاته أُعطي ماله، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾ [النساء: ٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، كما توعَّد على تركه في قوله تعالى: ﴿وَيۡلٌ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ - ٦]. وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان.

وفي كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي، من حديث الحسين بن قيس أبي علي الرَّحَبي، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والميزان: «**إنكم قد وُلِّيتُم أَمْرَيْنِ هَلكَتْ فِيهِ الأُمَمُ السَّالِفَةُ قَبْلَكُمْ**». ثم قال: لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحُسين، وهو ضعيف في الحديث، وقد روي بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفًا[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الأمة هي أمة شعيب أصحاب مدين، أهلكهم الله بكفرهم وبخسهم المكيال والميزان، كما قال لهم: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣]. فاستمروا على كفرهم وضلالهم وظلمهم، فأهلكهم الله بالصيحة والرجفة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: وقد رواه ابن مَرْدُوَيه في تفسيره، من حديث شَرِيك، عن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في المكيال والميزان برقم (١٢١٧). قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث حسين بن قيس وحسين بن قيس يضعف في الحديث. وقد روى هذا باسناد صحيح عن ابن عباس موقوفًا.

الأعمش، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم مَعْشَر الموالي قد بَشَّرَكم الله بخصلتين بها هلكت القرون المتقدمة: المكيال والميزان**»(١).

وقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: من اجتهد في أداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه.

وقد روى ابن مَرْدُوَيه من حديث بَقِيَّة، عن مُبَشر بن عبيد، عن عمرو بن ميمون بن مهْران، عن أبيه، عن سعيد بن المسَيَّب قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقال: «**من أوفى على يده في الكيل والميزان، والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما، لم يؤاخذ**». وذلك تأويل ﴿وُسْعَهَا﴾(٢) هذا مرسل غريب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا: أن الواجب التحري في وفاء الكيل والميزان حسب المعتاد المتبع، فإذا اجتهد الإنسان في ذلك وبذل ما يستطيع في إكمال الوزن والكيل فإن الله يعف عنه عما قد يقع عليه من الخلل والتقصير من غير أن يتعمد.. من غير عمد ولا قصد. المهم أن يتحرى المكيال اللازم والوزن اللازم، يريد وجه الله والدار الآخرة، ولهذا قال: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. كلٌّ بقدر طاقته في ذلك، حسب الميزان عنده والكيل عنده، وهكذا في الذرع والعد، وغيرهما. فالواجب على البائع أن يتحرى في ذلك الوفاء وعدم البخس؛ لأن البخس ظلم، والمشتري يبذل ماله. فالواجب على البائع أنه يبذل الحق المستحق، ولا يظلم المشتري.

---

(١) في سنده شريك وهو: ابن عبد الله القاضي، صدوق سيئ الحفظ كما في التقريب. ولعله أخطأ في رفعه.

(٢) في سنده مبشر بن عبيد وهو الحمصي، وهو متروك ورماه أحمد بالوضع (التقريب ص٥١٩).

الأسئلة:

معنى الموالي في حديث: «إنكم معشر الموالي»:

● **س: أحسن الله إليك! قوله: «إنكم معشر الموالي» يعني: من يتولى؟**

○ **الجواب**: إن صح كأنه في المدينة الذين يتولوا الموالي إن صح. إن صح الخبر، لو صح. ثم قوله: «**بشركم**» ما نرى وجه «**بشركم**»، المقام مقام إنذار ما هو بتبشير، المقام مقام إنذار وتحذير، ليس المقام، إلا أن يُحمل على بشركم بقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. فيكون من باب التبشير من هذه الحيثية، أنهم لا يؤخذون بما لم يتعمدوا من الباطل، وإلا المقام مقام إنذار ومقام تحذير وترهيب؟

ما يفيده لفظ البشارة إذا أطلق:

مداخلة: أقول ما يكون التبشير بمكروه؟

الشيخ: نعم؟

● **س: أقول: ما يكون التبشير بمكروه، ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [التوبة: ٣٤]؟.

○ **الجواب**: لا ما هو بالمراد هذا، لا، المطلق يعني، التبشير إذا أُطلق المراد به الخير.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: وأما إذا أُريد العذاب أُتي فبشّرهم بعذاب. نعم.

حكم أخذ الجد من مال ابن ابنه اليتيم:

● **س: أحسن الله إليك! هل الجد بمنزلة الأب يأخذ من مال ابن ابنه اليتيم؟**

الشيخ: الأظهر والله أعلم أنه ليس مثله في هذا؟

مداخلة: نعم؟

○ **الجواب**: الأظهر أنه ليس مثله في هذا؛ لأن الأب أخص في هذا الشيء، والأصل في مال الناس الحرمة، هذا هو الأصل، الحرمة

والمنع، فلا يُصار إلى التساهل إلا فيما وضح فيه النص، والنص واضحٌ في الأب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ [وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾] [المائدة: ٨]، وكذا التي تشبهها في سورة النساء [الآية: ١٣٥]، يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال، على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، يكون عدل مع قريبه ومع البعيد، ومع العدو ومع الصديق، يكون عادل في أقواله وأعماله، لا يحمله حب القريب أو حب الصديق على الظلم، ولا يحمله البُغض للعدو على الظلم أيضًا، ولهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. والقسط: العدل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ قال ابن جرير: يقول وَبِوَصِيَّة الله التي أوصاكم بها فأوفوا. وإيفاء ذلك: أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم، وتعملوا بكتابه وسنة رسوله، وذلك هو الوفاء بعهد الله.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ يقول تعالى: هذا وصاكم به، وأمركم به، وأكد عليكم فيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾؛ أي: تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه قبل هذا، وقرأ بعضهم بتشديد «الذال»، وآخرون بتخفيفها.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ **[الأنعام: ١٥٣]**[(١)].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾، وقوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ونحو هذا. قاله مجاهد، وغير واحد.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا الأسود بن عامر: شاذان، حدثنا أبو بكر ـ هو ابن عياش ـ عن عاصم ـ هو ابن أبي النجود ـ عن أبي وائل، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود رضي الله عنه ـ قال: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا**». وخط على يمينه وشماله، ثم قال: «**هذه السُّبُل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**». ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[(٢)]. وكذا رواه الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن أبي بكر بن عياش، به. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[(٣)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا الحديث له طرق، وأسانيده جيدة، وهو واضح في بيان هذه الآية؛ فإن الرسول ﷺ «خطَّ خطًّا مستقيمًا، قال: **هذا سبيل الله**، ثم خط عن يمينه وعن شماله ـ يعني: خطوط ـ فقال: **هذه السبل**» يعني:

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢٢ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ، الأحد ٢٩ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٦٥).

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣١٨).

الخطوط، يعني: هذه الطرق أخرى المعوجّة المخالفة للصراط المستقيم «**على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»، والمعنى: الزموا الطريق الواضح الذي سار عليه نبيكم عليه الصلاة والسلام، وسار عليه أصحابه، وبيّنه كتاب الله، وبيّنته السنة. الزموه وسيروا عليه، هو توحيد الله وطاعته، اتباع شريعته، تعظيم أمره ونهيه، ودعوا ما خالف ذلك، هذا هو الصراط المستقيم، الصراط المستقيم هو الذي بعث الله به نبيه عليه الصلاة والسلام، وهو دين الله، وهو الإسلام، وهو الهدى وهو البر وهو التقوى، وحقيقته توحيد الله بالعبادة والإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام، واتباع الأوامر وترك النواهي. اتباع الأوامر عن رغبة فيما عند الله وإخلاص، وترك النواهي كذلك عن رغبة وإخلاص. هذا هو صراط الله وهذا هو سبيل الله وهذا هو دين الله، وهذا هو البر الذي دعت إليه الرسل، وهذا هو التقوى، وهذا هو الإيمان وهذا هو الإسلام، وهذا هو الهدى الذي قال فيه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

والشياطين نوعان: شياطين الإنس وشياطين الجن، وكلها تدعو إلى الباطل، كلها تدعو إلى السبل.. إلى الفرقة والاختلاف، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]. فالواجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة، بل على كل مكلَّف.. الواجب على كل مكلَّف أن يلزم صراط الله قولًا وعملًا وعقيدة، وأن يحب فيه ويبغض فيه ويوالي فيه ويعادي فيه، وأن يدعو إليه حسب طاقته ويبتعد عما سواه؛ يرجو ثواب الله ويخشى عقابه. فيخص الله بالعبادة دون كل ما سواه، ويؤمن بأنه المستحق للعبادة، وأنه لا إلٰه غيره ولا ربَّ سواه، وأنه الحق، وأن دينه هو الحق، وأن عبادة غيره هي الباطل، ويؤمن برسوله محمد ﷺ. يؤمن بأن محمدًا رسول الله حقًّا، وأنه رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس، ليس للعرب وحدهم بل للجن والإنس، للعرب

والعجم، وأنه خاتم الأنبياء ليس بعده نبي، ويصدق بكل ما أخبر الله به ورسوله. لا بد من إيمانه بكل ما أخبر الله به ورسوله، من أمر الآخرة وأمر الجنة، أمر النار، أمر الرسل قصصهم، وغير هذا مما أخبر الله به ورسوله. كله داخلٌ في الإيمان وداخل في الصراط المستقيم. فليس لأحد أن يسلك طريقًا آخر، كل الطرق مسدودة، كلها باطلة ما عدا هذا الطريق ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فالواجب التفقه في هذا الصراط، التفقه والتبصر، وأن تكون على بينة، على بصيرة من كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، حتى تعرف هذا الصراط وتلزمه عن بصيرة وعن علم، وحتى تدع ما خالفه، وحتى لا يخدعك شياطين الإنس والجن، وحتى لا يجروك إلى السبل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا رواه أبو جعفر الرازي، وورقاء وعمرو بن أبي قيس، عن عاصم، عن أبي وائل شقيق ابن سلمة، عن ابن مسعود به مرفوعًا نحوه.

وكذا رواه يزيد بن هارون ومُسدَّد والنسائي، عن يحيى بن حبيب بن عربي - وابن حِبَّان، من حديث ابن وهب أربعتهم عن حماد بن زيد، عن عاصم، عن أبي وائل عن ابن مسعود به، وكذا رواه ابن جرير عن المثنى، عن الحماني، عن حماد بن زيد به، ورواه الحاكم بن أبي بكر بن إسحاق، عن إسماعيل بن إسحاق العاص، عن سليمان بن حرب، عن حماد ابن زيد به كذلك، وقال: صحيح ولم يخرجاه(١) من الاختلاف إن كان مؤثرًا، وقد روي موقوفًا عليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا حديث صراط جابر، جيد من طريقه الأول صحيح، أما طريقه الثاني عن مجالد إن صح، فمجالد

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١١١٧٤) وتفسير الطبري والمستدرك (٢/ ٣١٨).

فيه ضعف لكن يكون شاهد. وهذا يراجع الأصل تفسير ابن مردويه؛ عند ابن مردويه شيء.

مداخلة: حتى سند أحمد.

يقول: مجالد.

الشيخ: نعم؟.

مداخلة: حتى في السند الأول حق أحمد: مجالد يعني: في السندين مجالد طريق واحد.

الشيخ: انظر الأول.

مداخلة: وقال الحاكم.

الشيخ: لا. أول شيء.

القاري: [قال الإمام أحمد وعبد بن حميد واللفظ لأحمد: حدثنا عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة، أنبأنا أبو خالد الأحمر، عن مجاهد، عن الشعبي عن جابر.

الشيخ: بالهاء.. بالهاء؟

مداخلة: إي نعم.

مداخلة: هنا باللام مجالد.

الشيخ: نعم هذا يُراجع طريق جيد مسند أحمد يراجع في مسند جابر، مجاهد إمام معروف، وأما مجالد فيه ضعف وقد اختلط، لكن يستشهد به. على كل حال يراجع سنده من جهة مسند أحمد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن مَعْمَر، عن أبَان؛ أن رجلًا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جَوَادّ، وعن يساره جَوَادّ، وثَمّ رجال يدعون من مرَّ بهم. فمن أخذ في تلك الجوادّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى

الجنة. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا محل إجماع ومحل وفاق بين أهل العلم، أن الصراط المستقيم هو الإسلام، وأن السبل هي البدع والشهوات المنحرفة، وأنواع المعاصي والشرور، كلها خلاف الصراط.. الشياطين تدعو إليها، والله يدعو إلى هذا الصراط وإلى دار السلام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]. فالآيات يفسر بعضها بعضًا، ولهذا أجمع المسلمون على أن الصراط المستقيم هو دين الله، هو الحق الذي بعث الله به محمد عليه الصلاة والسلام، وهو الإسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن مَرْدُوَيه: حدثنا أبو عمرو، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، حدثنا آدم، حدثنا إسماعيل ابن عَيَّاش، حدثنا أبان بن عياش، عن مسلم بن أبي عمران، عن عبد الله بن عمر: سأل عبد الله عن الصراط المستقيم، فقال [له ابن مسعود: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وذكر تمام الحديث كما تقدم، والله أعلم].

مداخلة: ابن عبد الوهاب.

الشيخ: ماذا عندكم؟ حدثنا.

مداخلة: نعم.

القاري: وحدثنا محمد بن عبد الوهاب، حدثنا آدم، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا أبان بن عياش.

الشيخ: كذا عندكم أبان بن عياش، أو ابن أبي عياش؟

مداخلة: أبان بن عياش.

الشيخ: ابن عياش كذا؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: عندكم؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: انظر التقريب أبان.

القاري: أبان بن أبي عياش فيروز البصري، أبو إسماعيل العبدي، متروك من الخامسة، مات في حدود الأربعين. أبو داود.

الشيخ: هذا المعروف ابن أبي عياش.

فيه آخر ابن عياش؟

مداخلة: لا ما فيه إلا هو يا شيخ!

الشيخ: نعم هذا المعروف ابن أبي عياش ساقط (أبي) ابن أبي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روي من حديث النوّاس بن سمْعان نحوه، قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سَوَّار أبو العلاء، حدثنا لَيْث - يعني ابن سعد - عن معاوية بن صالح؛ أن عبد الرحمٰن بن جُبَيْر بن نفير حدثه، عن أبيه، عن النواس بن سمعان، عن رسول الله ﷺ قال: «**ضرب الله مثلًا صِراطًا مستقيمًا، وعن جَنْبَتَي الصِّراطِ سُورَانِ فِيهمَا أبوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلى الأبوَابِ سُتُورٌ مُرخَاةٌ، وَعَلى باب الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يا أَيُّهَا الناسُ، ادْخُلوا الصِّراطَ جَمِيعًا، وَلا تَتَفرَّجُوا وداعِي يَدْعُو منْ جَوفِ الصِّرَاطِ، فإذا أَرَادَ أَن يفتَح شَيْئًا من تِلكَ الأبواب قَالَ: وَيْحَك. لا تَفتَحْهُ، فإنك إن تَفْتَحْهُ تلجُه، والصِّراطُ الإسلام، والسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى، والأَبْوَابُ المُفَتَّحةُ مَحَارِمِ الله تَعَالَى، وَذَلِكَ الدَّاعِيَ على رأسِ الصِّرَاطِ كتاب الله ﷻ، والدَّاعِي من فَوْقِ الصرَاطِ واعظ اللهِ في قَلْبِ كل مُسلِمَ**».

ورواه الترمذي والنسائي، عن علي بن حُجْر - زاد النسائي -

وعمرو بن عثمان، كلاهما عن بَقِيَّة بن الوليد، عن بَحير بن سعد، عن خالد بن مَعْدان، عن جُبَير بن نفير، عن النوّاس بن سِمْعان، به. وقال الترمذي: حسن غريب[١].

وقوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ إنما وحد [سبحانه] سَبيله لأن الحق واحد؛ ولهذا جمع لتفرقها وتشعبها، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والنور هو الإسلام، هو الصراط المستقيم، والظلمات هي أنواع الشرك والضلالة والبدع كلها ظلمات طرق كثيرة، كلها ظلمات، لكن بعضها أشد من بعض، بعض الظلمات أشد من بعض، ظلمة الشرك أعظم من الظُلَم الأخرى، والنور المستقيم هو نور الله الذي جعله لعباده، وهو هذا الصراط المستقيم وهذا الطريق الواضح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنَان الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سفيان بن حسين، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيكم يبايعني على هذه الآيات الثلاث؟**». ثم تلا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حتى فرغ من ثلاث الآيات، ثم قال: «**ومن وَفَّى بهن أجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا أدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخَّرَه إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه، وإن شاء عفا عنه**»[٢].

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ١٢٨).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٥٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا أثر عظيم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طريق سفيان بن حسين، سفيان بن حسين لا بأس به، لكن عن الزهري فيه شيء روايته عن الزهري، والأثر يدل على عظم شأن هذه الآيات، وهي لا شك عظيمة أوضح الله فيها صراطه المستقيم وهو اتباع الأوامر وترك النواهي، بيّن جملةً من الأوامر والنواهي ثم قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾. فأنت يا عبد الله! تستفيد من هذا أن صراط الله هو الأوامر التي شرعها لك وبينها، والنواهي التي بيَّنها. هذا صراط الله، هذا طريقه، وواجبك أنت أن تفعل الأوامر عن إيمان وعن صدق وعن إخلاص ومحبة، وأن تدع النواهي عن إيمان وصدق وعن محبة لتركها، ومحبة للذي نهى عنها. هذا واجبك، وهذا هو الإسلام وهو الإيمان، وهو البر الذي أنت مأمورٌ به، وهذا هو العبادة التي أنت مخلوقٌ لها، أن تلزم هذا الصراط هذه هي العبادة.. تلزم هذا الصراط الذي هو دين الله. وأنت في كل يوم وليلة تسأل ربك سبعة عشر مرة في الفريضة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] غير النوافل، وما ذاك إلا لعظم هذا الأمر، فإما هذا الصراط وإما النار، إما لزوم هذا الصراط حتى الموت عليه، وإما النار والهلاك والدمار، من لزم هذا الصراط واستقام عليه إخلاصًا وصدقًا ومحبةً وإيمانًا فهو الناجي السعيد، وهو الذي وعده الله بأنواع النعيم والخيرات، ومن حاد عنه وتابع هواه وأبى إلا اتباع السبل ندم غاية الندامة، وباء بالخيبة والحسرة، ثم هو على أقسام قد يحيد عنه بالكلية فيكون إلى النار كافرًا، وقد يحيد عن بعضه بالوقوع في بعض المعاصي فيكون تحت مشيئة الله إذا مات على ذلك ولم يتب. فالحيد عن هذا الصراط والعدول عنه فيه تفصيل كثير، لكن أشد ذلك وأخطره أن يبتعد عنه بالكلية وأن لا يلزمه، بل يسلك الطرق الأخرى من يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو وثنية أو إلحادية.. هذه السبل أخطر، والمعاصي

سبل لكنها دون سبل الكفر، فالسبل أنواع: كفرية وبدعية ومعاصي، فمن رزقه الله العافية منها كلها فهو المهتدي وموفق، ومن عافاه الله من الشرك الأكبر فهو على طريق نجاة وعلى خطر من معاصيه، ومن بلي بالشرك ومات عليه فقد هلك ولا حيلة فيه نسأل الله العافية.

الشيخ: انظر سفيان بن حسين.

القاري: ترجمة سفيان بن حسين بن حسن أبو محمد أو أبو الحسن الواسطي، ثقة في غير الزهري باتفاقهم. ، من السابعة مات بالري مع المهدي، وقيل: في أول خلافة الرشيد، البخاري تعليق ومسلم والأربعة.

الشيخ: نعم، رَحِمَهُ اللَّهُ.

مداخلة: حشَّى عليه قال: روى له مسلم في المقدمة.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: حشَّى عليه قال: روى له مسلم في المقدمة.

الشيخ: إي نعم.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٤ ـ ١٥٥][(١)].

قال ابن جرير: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ تقديره: ثم قل ـ يا محمد ـ مخبرًا عنا بأنا آتينا موسى الكتاب، بدلالة قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٠ ـ ٧ ـ ١٤١٤هـ.

قلت: وفي هذا نظر، وثُم هاهنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر، لا للترتيب هاهنا، كما قال الشاعر:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُم سَادَ أبوهُ ... ثُمّ قد سَادَ قَبْلَ ذلك جَده

وهاهنا لما أخبر الله تعالى عن القرآن بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ عطف بمدح التوراة ورسولها، فقال: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وكثيرًا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة، كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢]، وقوله في أول هذه السورة: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الآية: ٩١]، وبعدها ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الآية [الأنعام: ٩٢]، وقال تعالى مخبرًا عن المشركين: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ﴾، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨]، وقال تعالى مخبرًا عن الجن أنهم قالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا﴾؛ أي: آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تمامًا كاملًا جامعًا لجميع ما يحتاج إليه في شريعته، كما قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ الآية [الأعراف: ١٤٥]. وقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾؛ أي: جزاء على إحسانه في العمل، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا، كقوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وكقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ [قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾] [البقرة:

١٢٤]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا كله: بيان ما أوضحه الله في كتبه السماوية، وأنه سبحانه أنزل على الرسل ما فيه الهدى والبيان وإيضاح الحق، فقد أنزل على موسى التوراة، وأنزل الإنجيل أيضًا بعد ذلك، وأنزل الكتب السابقة كلها لبيان الحق، كما قال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، كل الرسل، قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، يعني: بالحجج الظاهرة والدلائل القاطعة على صدقهم، وأنهم رسل من عند الله، دعوا إلى الحق وجاءوا بالحق. ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، كتب منزلة من السماء إلى الرسل، والميزان هو العدل بين الناس والقسط بين الناس. ثم كمّل الله بهذا الكتاب العظيم، يقول: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، يعني: من قبلك، لكن لما كان المعنى ظاهر سقطت، لم يذكر (من قبلك) أو (من قبل)؛ لأن المعنى ظاهر، لأن موسى كان قبل، وقد ذكره الله في مواضع أُخَر.

فالله أعطى محمد ﷺ الكتاب العظيم الذي هو أكمل الكتب كما أعطى من قبله الكتب، ومنهم موسى عليه الصلاة والسلام. سنَّة الله في رسله ينزل عليهم الكتب، وينزل معهم الميزان، ويوضح للناس الحق الذي يُطلب منهم التزامه؛ حتى تقوم عليهم الحجة. فيه التفصيل وفيه الهدى وفيه البيان، كما أن هذا القرآن فيه الهدى والبيان، ولهذا قال بعده: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾. فهذا الكتاب يعني: القرآن مبارك لما فيه من الخير العظيم بالدلائل القطعية والبراهين الساطعة على استحقاقه العبادة، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه سبحانه هو المستحق لأن يُعبد ويُشكر ويخاف

ويُحذر، لقدرته الكاملة وعظيم إنعامه وشدة عقابه. ولهذا قال ﷻ: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ﴾، يعني: اتبعوا هذا الكتاب المبارك، واتقوا غضب الله وعقابه، اتقوا أن تصيبكم النكبات والعقوبات التي أصابت من قبلكم؛ بسبب الإعراض والتكذيب، فلكم في أخبار من مضى وقصص الأمم الماضية لكم فيها عبرة وعظة، من أولهم نوح إلى ما جرى في عهد موسى. سنَّة الله ماضية في عباده، من أجابه. .اتقاه. . استقام على أمره كتب الله له النصرة والتأييد والعاقبة الحميدة، ومن أبى وعاند وكابر كانت له الخيبة والعاقبة الوخيمة، ودارت عليه الدوائر وإن أُملي، وإن أُملي له بعض الوقت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ يقول: أحسن فيما أعطاه الله.

وقال قتادة: من أحسن في الدنيا تمم له ذلك في الآخرة.

واختار ابن جرير أن تقديره الكلام: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا﴾ على إحسانه. فكأنه جعل «الذي» مصدرية، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: ٦٩]؛ أي: كخوضهم، وقال ابن رَوَاحة:

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ ... في المرسلين ونصرًا كالذي نُصِرُوا

وقال آخرون: الذي هاهنا بمعنى «الذين».

قال ابن جرير: وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود: أنه كان يقرؤها: «تماما على الذين أحسنوا».

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ قال: على المؤمنين والمحسنين، وكذا قال أبو عبيدة. قال البغوي: والمحسنون: الأنبياء والمؤمنون، يعني: أظهرنا فضله عليهم.

قلت: كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ولا يلزم اصطفاؤه على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والخليل، عليهما السلام لأدلة أخر.

قال ابن جرير: وروى أبو عمرو بن العلاء عن يحيى بن يَعْمَر أنه كان يقرؤها. ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ رفعًا، بتأويل: «على الذي هو أحسن»، ثم قال: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، وإن كان لها في العربية وجه صحيح.

وقيل: معناه: تمامًا على إحسان الله إليه زيادة على ما أحسن الله إليه، حكاه ابن جرير، والبَغوي.

ولا منافاة بينه وبين القول الأول، وبه جمع ابن جرير كما بيناه، ولله الحمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والقراءة الأولى واضحة، ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾، يعني: أعطاه الكتاب تمامًا فيه غاية الكمال على الذي حصل منه من الإحسان ومن الصبر على أداء الرسالة، والقوة في ذلك، والتعب العظيم الذي لاقاه من بني إسرائيل ومن آل فرعون. فالله جل وعلا أعلى ذكره وثبَّت قدمه وأعطاه الأجر العظيم؛ على الذي حصل منه من إحسان وصبر ومجاهدة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾ فيه مَدْحٌ لكتابه الذي أنزله الله عليه، ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ فيه الدعوة إلى اتباع القرآن ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧﴾ [الأنعام: ١٥٦ ـ ١٥٧](١)

قال ابن جرير: معناه: وهذا كتاب أنزلناه لئلا تقولوا: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾؛ يعني: لينقطع عذرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ [وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾] [القصص: ٤٧].

وقوله: ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هم اليهود والنصارى، وكذا قال مجاهد، والسدي، وقتادة، وغير واحد.

وقوله: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾؛ أي: وما كنا نفهم ما يقولون؛ لأنهم ليسوا بلساننا، ونحن مع ذلك في شغل وغفلة عما هم فيه.

وقوله: ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾؛ أي: وقطعنا تَعَلُّلكم أن تقولوا: لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم فيما أوتوه، كقوله: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ [فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾] [فاطر: ٤٢]، وهكذا قال هاهنا: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ﴾

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢٠ ـ ٧ ـ ١٤١٤هـ.

يقول: فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم، فيه بيان للحلال والحرام، وهدًى لما في القلوب، ورحمة من الله بعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فيه.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾؛ أي: لم ينتفع بما جاء به الرسول، ولا اتبع ما أرسل به، ولا ترك غيره، بل صدف عن اتباع آيات الله؛ أي: صرف الناس وصدهم عن ذلك قاله السدي.

وعن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض عنها.

وقول السدي هاهنا فيه قوة؛ لأنه قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ كما تقدم في أول السورة: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ وقد يكون المراد فيما قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾؛ أي: لا آمن بها ولا عمل بها، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، ونحو ذلك من الآيات الدالة على اشتمال الكافر على التكذيب بقلبه، وترك العمل بجوارحه، ولكن المعنى الأول أقوى وأظهر، والله [تعالى] أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا شك أن من أعرض عن الحق وكذَّب به مجرم، ولكن أعظم منه أن يصدف الناس.. يصد الناس عن الحق، يعني: لا يكتفي بنفسه، يكذِّب بالحق ويترك العمل ومع هذا يصد الناس، يعني: يكون داعية إلى شر.. داعية إلى الباطل، ما اكتفى بأن يترك الحق وحده، بل سعى في

ترك الناس له وصد الناس عنه. فعلى هذا المعنى يكون (صدف) يعني: صدّ الناس، **والمعنى الأول**: أعرض، يعني: لم يؤمن ولم يعمل، كذّب وأعرض عن الحق. **والمعنى الثاني**: كذّب وصدّ الناس عن الحق زيادة، وكثير من الكفار هكذا، منهم من كذّب وأعرض، ومنهم من ضم إلى هذا كأبي جهل وأشباهه من دعاة الباطل.. منهم من ضم إلى كفره صد الناس، وهكذا سائر الدعاة إلى الباطل، مع فعلهم الباطل واعتقادهم الباطل هم مع هذا يصدون الناس ويدعونهم إلى ترك الحق، ويلبّسون عليهم الشبهات المضلة، فهؤلاء أعظم جريمة؛ لأنهم جمعوا بين الشرين: ترك الحق، وصد الناس عنه. نسأل الله العافية..

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨][(١)].

يقول تعالى متوعدًا للكافرين به، والمخالفين رسله والمكذبين بآياته، والصادين عن سبيله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ وذلك كائن يوم القيامة. ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية، وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية:

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عمارة، حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا**

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١٥ - ١٠ - ١٤١٤هـ.

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ»، فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن هَمَّام بن مُنَبِّه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها»** ثم قرأ هذه الآية(١).

هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي، من طرق، عن عمارة بن القَعْقَاع بن شُبْرُمَة، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة، به.

وأما الطريق الثاني: فرواه عن إسحاق، غير منسوب، فقيل: هو ابن منصور الكوسج، وقيل: إسحاق بن نصر، والله أعلم.

وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع النيسابوري، كلاهما عن عبد الرزاق، به.

وقد ورد هذا الحديث من طرق أُخر عن أبي هريرة، كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء ابن عبد الرحمٰن بن يعقوب مولى الحرقة، عن أبيه، عن أبي هريرة، به(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا**

---

(١) أخرجهما البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ برقم (٤٦٣٥)، وباب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ برقم (٤٦٣٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٧).

خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ»[١].

ورواه أحمد، عن وَكِيع، عن فُضَيْل بن غَزْوان، عن أبي حازم سلمان، عن أبي هريرة به، وعنده: «والدخان».

ورواه مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، عن وكيع.

ورواه هو أيضًا والترمذي، من غير وجه، عن فضيل بن غزوان، به.

ورواه إسحاق بن عبد الله الفَرَوي، عن مالك، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. ولكن لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه، لضعف الفَرْوي، والله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا شعيب بن الليث، عن أبيه، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمٰن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**» وذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الآية[٢].

ورواه ابن لهيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة، به. ورواه وكيع، عن فضيل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، به[٣].

أخرج هذه الطرق كلَّها الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسيره.

وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن يحيى، أخبرنا عبد الرزاق،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٨)، والإمام أحمد (٢/ ٤٤٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٥٠).

أخبرنا مَعْمَر، عن أيوب، عن ابن سِيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»**[1]، لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

(حديث آخر): عن أبي ذر الغفاري: في الصحيحين وغيرهما، من طرق، عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر جُنْدُب بن جُنَادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَدْري أين تذهب الشمس إذا غربت؟»**. قلت: لا أدري، قال: **«إنها تنتهي دون العرش، ثم تخرُّ ساجدة، ثم تقوم حتى يقال لها: ارجعي فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت، وذلك حين: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾»**[2].

حديث آخر عن حُذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا سفيان، عن فُرَات، عن أبي الطُّفَيْل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة، فقال: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْنَ عَشْرَ آيَاتٍ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدُّخَانُ وَالدَّابَّةُ وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَالدَّجَّالُ وَثَلَاثُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَسُوقُ أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا»**[3].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار برقم (٢٧٠٣).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في التفسير، سورة يس، باب ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ يس: ٣٨ برقم (٤٨٠٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦/٤).

وهكذا رواه مسلم[١] وأهل السنن الأربعة من حديث فرات القَزَّاز، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

حديث آخر عن حذيفة بن اليمان ﷺ:

قال الثوري، عن منصور، عن رِبْعي، عن حذيفة قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال النبي ﷺ: «**تطول تلك الليلة حتى تكون قَدْر ليلتين، فبينما الذين كانوا يصلون فيها، يعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لا تسري، قد قامت مكانها، ثم يرقدون، ثم يقومون فيصلون، ثم يرقدون، ثم يقومون فيطل عليهم جنوبهم، حتى يتطاول عليهم الليل، فيفزع الناس ولا يصبحون، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم**»[٢].

رواه ابن مَرْدُوَيه، وليس في الكتب الستة من هذا الوجه، والله أعلم.

حديث آخر عن أبي سعيد الخدري ـ واسمه: سعد بن مالك بن سنان ـ ﷺ وأرضاه:

قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا ابن أبي ليلى، عن عطية العَوْفي، عن أبي سعيد الخُدْري، عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا﴾ قال: «**طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[٣].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة برقم (٢٩٠١).

(٢) أخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن يوسف الرازي عن إدريس بن علي الرازي عن يحيى بن الضريس عن الثوري به. ذكره السيوطي في (الآلي المصنوعة ١/ ٨٥)، وفي سنده محمد بن يوسف متهم بالوضع (لسان الميزان ٥/ ٤٣٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣١).

ورواه الترمذي، عن سفيان بن وكيع، عن أبيه، به. وقال: غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه[١].

وفي حديث طالوت بن عباد، عن فَضَال بن جبير، عن أبي أمامة صُدَيّ بن عَجْلان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أوّلَ الآيات طلوعُ الشمس من مغربها**»[٢].

وفي حديث عاصم بن أبي النَّجُود، عن زِرّ بن حُبَيْش، عن صفوان بن عَسَّال قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله فتح بابًا قِبل المغرب عرضُه سبعون عامًا للتوبة**»، قال: «**لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ**». رواه الترمذي وصححه النسائي، وابن ماجه في حديث طويل[٣].

حديث آخر عن عبد الله بن أبي أوفى:

قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن علي بن دُحَيم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا ضرار بن صُرَد، حدثنا ابن فضيل، عن سليمان بن زَيد، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كان ذلك يعرفها المتنفِّلون، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه، ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ حزبه، ثم ينام. فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، فضجَّ**

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام برقم (٧١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٨٠٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار برقم (٣٥٣٦) وقال: حسن صحيح. والنسائي (١/ ٨٣)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها برقم (٤٠٧٠).

الناس ضجة واحدة، حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها». قال: **«حينئذ لا ينفع نفسًا إيمانها»**(١).

هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة.

حديث آخر عن عبد الله بن عمرو:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعروف في الأحاديث الصحيحة أنها تطلع من مغربها طلوعًا كاملًا، ويعرف الناس حينئذ قرب الساعة، ولهذا قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فطلوعها من مغربها عَلَمٌ عظيم من أعلام الساعة، ليس بعد ذلك إسلام لمن كان كافرًا، ولا توبة لمن كان عاصيًا، كل شيء على حاله، ليس له إلا ما قدم، وهذا يوجب الحذر، وأن يستمر العبد على طاعة الله ويحذر المعصية، قبل أن تأتي هذه الآية، أو يهجم به الأجل ويموت على معصيته، ليحذر، وليكن على توبة وعمل صالح، حتى إذا هجم الأجل عليه فإذا هو على حالة طيبة، أو خرجت الشمس من مغربها إذا هو كذلك.

الأسئلة:

• **س: أحسن الله إليك! ورد في الحديث: «ثلاث إذا طلعن لا ينفع نفس إيمانها»؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: ورد في الحديث في مسلم: **«ثلاثٌ إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها»**.

---

(١) سنده ضعيف، سليمان بن زيد ضعيف رماه ابن معين بالوضع (التقريب ص٢٥١) وشهد لآخره الحديث التالي، وحديث من رمي بالوضع لا يرتقي ولا يرقى.

○ **الجواب**: نعم، لكن العمدة على الشمس من مغربها، وخروج الدابة وغيرها كل ذلك ما يترتب عليه شيء، إلا خروج الشمس.. من مغربها، وإن كانت الدابة في الغالب قد تطلع قربها، لكن الحكم يترتب على الشمس والدابة تخرج قبل ذلك نعم.

• **س: التكليف باقي أحسن الله إليك! بعد طلوع الشمس؟**

الشيخ: الظاهر أن الثانية والثالثة قبل الشمس، الشمس هي الذي يتعلق بها الحكم.

مداخلة: يسأل عن التكليف بعد طلوع الشمس من مغربها.

الشيخ: التكليف نعم باقي التكليف، لكن التوبة مما سلف لا تُقبل، هو على ما هو عليه، فعليه أن يؤدي ما أوجب الله عليه ويترك ما حرم الله عليه، ولكن إسلامه بعد ذلك لا ينفعه.

مداخلة: قَبول التوبة من المعاصي دون الشرك.

○ **الجواب**: ظاهر القرآن ما فيه شيء ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

مداخلة: دون الشرك.

الشيخ: لكن قد يظهر من الآية أن الإنسان الذي على إيمان سابق، ثم زاد إيمانه أنه ينفعه زيادة الإيمان بسبب إيمانه السابق، يقول: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨] هذا آمن من قبل وكسب في إيمانه خيرًا، فلعله ينفعه، وأما الكافر ما ينفعه إسلامه.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ! المهدي قبل طلوع الشمس أو بعده؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: خروج المهدي.

○ **الجواب**: لا. المهدي من أول الآيات.. المهدي من أول الآيات قبل الدجال، يخرج الدجال والمعروف أن المهدي موجود، ثم ينزل عيسى فيقتل الدجال، يخرج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى، كل هذا.. هذه من أول الآيات

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أبو حيان، عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير قال: جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة فسمعوه يقول ـ وهو يحدث في الآيات ـ: إن أولها خروج الدجال. قال: فانصرف النفر إلى عبد الله بن عمرو، فحدَّثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات، فقال: لم يقل مَرْوان شيئًا قد حفظت من رسول الله ﷺ في مثل ذلك حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحًى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها**».
ثم قال عبد الله ـ وكان يقرأ الكتب ـ: «وأظن أولها خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع، حتى إذا بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل: أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت في الرجوع، فلم يرد عليها شيء، ثم تستأذنُ في الرجوع فلا يرد عليها شيء، ثم تستأذن فلا يرد عليها شيء، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب، وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق، قالت: ربي، ما أبعد المشرق. من لي بالناس. حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع، فيقال لها: من مكانك فاطلعي. فطلعت على

الناس من مغربها»، ثم تلا عبد الله هذه الآية: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ الآية[١].

وأخرجه مسلم في صحيحه، وأبو داود وابن ماجه، في سننيهما، من حديث أبي حيان التيمي ـ واسمه يحيى بن سعيد بن حيان ـ عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير، به[٢].

حديث آخر عنه:

قال الطبراني: حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان الرَّقِّي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ـ بن زبريق الحمصي ـ حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، حدثنا ابن لهيعة، عن حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال النبي ﷺ: **«إذا طلعت الشمس من مغربها خرَّ إبليس ساجدًا ينادي ويجهر: إلهي، مُرْني أن أسجد لمن شئت»**. قال: **«فيجتمع إليه زبانيته فيقولون: يا سيدهم، ما هذا التضرع؟ فيقول: إنما سألت ربي أن يُنْظِر إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم»**. قال **«ثم تخرج دابة الأرض من صَدْع في الصفا»**. قال: **«فأول خطوة تضعها بأنطاكيا، فتأتي إبليس فَتَخْطمه...»**.

هذا حديث غريب جدًّا وسنده ضعيف، ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك، فأما رفعه فمنكر، والله أعلم.

حديث آخر عن عبد الله بن عمرو، وعبد الرحمٰن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهم أجمعين:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٠١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب في خروج الدجال برقم (٢٩٤١).

قال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضَمْضَم بن زُرْعَة، عن شُرَيح بن عبيد يرده إلى مالك بن يُخَامر، عن ابن السعدي؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتَلُ**»(١). فقال معاوية، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص: إن النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ الْهِجْرَةَ خَصْلَتَانِ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ وَالأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ**»(٢). هذا الحديث حسن الإسناد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، والله أعلم.

حديث آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال عوف الأعرابي، عن محمد بن سيرين، حدثني أبو عبيدة، عن ابن مسعود؛ أنه كان يقول: ما ذكر من الآيات فقد مضى غير أربع: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، وخروج يأجوج ومأجوج. قال: وكان يقول: الآية التي تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها، ألم تر أن الله يقول: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ الآية كلها؛ يعني: طلوع الشمس من مغربها(٣).

حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٩٢).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٩٢).
(٣) أخرجه الحاكم من طريق عوف الأعرابي به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٥٤٥).

إدريس، عن أبيه، عن وَهْب ابن مُنَبِّه، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا ـ فذكر حديثًا طويلًا غريبًا منكرًا رفعه، وفيه: «**أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ مقرونين وإذا نَصَفا السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه**». وهو حديث غريب جدًّا بل منكر، بل موضوع، [والله أعلم] إن ادعى أنه مرفوع، فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه ـ وهو الأشبه ـ فغير مدفوع، والله أعلم.

وقال سفيان، عن منصور، عن عامر، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إذا خرج أول الآيات، طُرحت الأقلام، وحُبست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال. رواه ابن جرير.

فقوله عز وجل: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك، فإن كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخَلِّطًا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾؛ أي: ولا يقبل منها كَسْبُ عمل صالح إذا لم يكن عاملًا به قبل ذلك.

وقوله: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ تهديد شديد للكافرين، ووعيد أكيد لمن سَوَّف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك. وإنما كان الحكم هذا عند طلوع الشمس من مغربها، لاقتراب وقت القيامة، وظهور أشراطها كما قال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ [سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾] [غافر: ٨٤، ٨٥].

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨][1].

حدّثني إسحاق، أخبرنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن همّام، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا»** ثم قرأ الآية[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يحتمل أنّ الترجمتين ترجمةٌ واحدةٌ، ترجم الآيتين، وزيادة ترجمةٍ غلطٌ من بعض الرّواة، يحتمل أنّه ترجم للآيتين جميعًا.

• **س: ما رواه مسلمٌ في «الصّحيح»: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا»[3]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: إذا اجتمع خروجهنّ، آخرهنّ طلوع الشّمس من مغربها، إذا اجتمعت خرجت كلّها، ومن جملتها طلوع الشّمس من مغربها.

• **س: أحسن الله إليك: قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] هل يدخل فيها الدجال؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، المراد به الشّمس، طلوع الشّمس من مغربها.

• **س: آخر علامةٍ من علامات السّاعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: لا بعدها حشر النّار.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٩٣).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٨).

• **س: اختلف ترتيب الآيات في المجيء في بعض الرّوايات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

بسطها العلماء مثل السّفاريني وغيره، والطّحاويّ وغيره، ترتيبها ما هو موضّحٌ، لكن آخرها ـ الآيات ـ طلوع الشّمس من مغربها، ثمّ سَوق النّاس بالنار، نارٌ تحشر النّاس إلى محشرهم هي آخر الآيات، تحشرهم تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا.

• **س: عفا الله عنك: تقدّم هي أوّل الآيات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، آخر الآيات، ما بعدها إلّا خروج النّار الّتي تحشر النّاس إلى محشرهم، أوّل الآيات المشهورة أوّل الآيات المهديّ، ثمّ خروج الدّجال، ثمّ نزول عيسى ابن مريم، ثمّ يأجوج ومأجوج، ثمّ الدّخان وهدم الكعبة ـ نسأل الله العافية ـ ورفع القرآن، ثمّ خروج الدّابّة، وطلوع الشّمس من مغربها، أيّتهما سبقت الأخرى فهي على إثرها، هي التاسعة، طلوع الشّمس من مغربها هي التاسعة، والعاشرة خروج النّار من المشرق، وفي روايةٍ: **«من قعر عدنٍ»**(١)، تسوق النّاس إلى محشرهم، تبيت معهم حيث باتوا، هي آخر شيءٍ مثل ما قال السّفارينيّ:

وآخر الآيات حشر النّار   كما أتى في محكم الأخبار

نسأل الله العافية.

قبل حشر النّاس يرسل الله ريحًا طيبةً بعد طلوع الشّمس من مغربها

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الملاحم، باب أمارات الساعة برقم (٤٣١١)، والترمذي في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الخسف برقم (٢١٨٣)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الآيات برقم (٤٠٥٥)، والإمام أحمد (٤/٧).

ـ ريحًا طيبةً ـ فتقبض أرواح المؤمنين، ولا يبقى إلّا الأشرار فعليهم تقوم السّاعة كما صحّ به الخبر عن رسول الله ﷺ.

وهي عشر آياتٍ متقاربةٍ: خروج المهديّ، وهو من أهل البيت، يدعو النّاس إلى توحيد الله ويحكّم شريعة الله، وينزل عيسى ابن مريم في وقت المهديّ بعد خروج الدّجال، ثمّ بعد عيسى يأجوج ومأجوج الآية الرّابعة، ثمّ هدم الكعبة، ورفع القرآن، وخروج آية الدخان، ثمّ خروج الدّابّة، ثمّ الشّمس من مغربها التّاسعة، ثمّ العاشرة حشر النّار، نسأل الله العافية.

• س: رفع القرآن يكون معنويًّا ولا حسّيًّا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينزع من الصّدور، ومن الصّحف ما يبقى شيءٌ، لا، حقيقيٌّ حقيقيٌّ ما يبقى بين النّاس قرآنٌ.

• س: يعني: ينزع نزعًا حقيقيًّا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، ترك العمل به، نزع ما عاد يحفظه النّاس، ينزع من صدورهم، ومن مصاحفهم.

• س: عفا الله عنك، سبق بحثٌ في العام الماضي في الحديث الّذي ورد في أن النّار آخر آيةٍ، وورد أيضًا حديثٌ أنّ النّار أوّل آيةٍ، فهل وصلتم فيها إلى شيءٍ في الجمع [بينهما]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المعروف الآية الأخيرة هي حشر النّار، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩][1].

قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى[2].

وقال العَوْفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد ﷺ، فتفرقوا. فلما بعث الله محمدًا ﷺ أنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ﴾ الآية[3].

وقال ابن جرير: حدثني سعد بن عَمْرو السكوني، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد: كتب إليّ عبَّاد بن كثير، حدثني لَيْث، عن طاوس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في هذه الأمَّة** ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ﴾ **وليسوا منك، هم أهل البدع، وأهل الشبهات، وأهل الضلالة، من هذه الأمة**»[4].

لكن هذا الإسناد لا يصح، فإن عبَّاد بن كثير متروك الحديث، ولم

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٢ ـ ١٠ ـ ١٤١٤هـ.

(٢) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبيد بن سليمان عنه ويشهد له ما سبق.

(٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن العوفي به ويشهد له ما سبق، والقراءة بلفظ: «فارقوا» متواترة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جدًّا لأن عباد بن كثير وهو عباد الثقفي متروك، قال أحمد: روى أحاديث كذب (التقريب ص٢٩٠).

يختلق هذا الحديث، ولكنه وَهَم في رفعه. فإنه رواه سفيان الثوري، عن ليث ـ وهو ابن أبي سليم ـ عن طاوس، عن أبي هريرة، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ قال: نزلت في هذه الأمة[(١)].

وقال أبو غالب، عن أبي أمامة، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ قال: هم الخوارج. وروى عنه مرفوعًا، ولا يصح[(٢)].

وقال شعبة، عن مُجالد، عن الشعبي، عن شُرَيْح، عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ قال: **«هم أصحاب البدع»**[(٣)].

وهذا رواه ابن مَرْدُوَيه، وهو غريب أيضًا ولا يصح رفعه.

والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾؛ أي: فرقًا كأهل الملل والنحل ـ وهي الأهواء والضلالات ـ فالله قد بَرَّأ رسوله مما هم فيه. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ [وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾] الآية [الشورى: ١٣]، وفي الحديث: **«نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلَّات، ديننا واحد»**[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان به، وفي سنده ليث بن أبي سليم فيه مقال ويتقوى برواية الطبراني في الأوسط. فقد أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي (المجمع ٧/ ٢٢، ٢٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق حميد بن مهران عن أبي غالب به، وفي سنده أبو غالب صاحب أبي أمامة صدوق يخطئ كما في «التقريب» ولم يتابع فسنده ضعيف.

(٣) في سنده مجالد ليس بالقوي كما في التقريب (ص٥٢٠).

(٤) سبق تخريجه في (٧/ ٣٥٦).

فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل، من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسُّك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، الرسل بُرآء منها، كما قال: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ [إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾] [الحج: ١٧]، ثم بيَّن لطفه سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا كله التحذير من التفرق في الدين والاختلاف؛ لأن ذلك يضعف الدين ويزيل الثقة به، ويزرع الشحناء والعداوة والبغضاء والقتال، فالواجب هو التمسك بالحق؛ لأنه شيء واحد، فالتفرق فيه يضيِّعه بين الناس، ويوجب الشحناء والعداوة والفساد، الكل يدعي أنه صاحب الحق، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. فاليهود والنصارى تفرقوا على ملل كثيرة فعابهم الله بذلك، وهذه الأمة كذلك تفرقت أيضًا كما أخبر نبيها عليه الصلاة والسلام وأمرها بالاتحاد على الفِرقة الناجية، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[1]، في

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة جهنم، باب جاء في افتراق هذه الأمة برقم (٢٦٤١).

اللفظ الآخر: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**»[١]. المقصود هي المعتصمة بالحق، هي الثابتة على الحق الذي درج عليه النبي ﷺ ودرج عليه أصحابه رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان، وهو امتثال أوامر الله وترك نواهي الله، والوقوف عند حدود الله.

الأسئلة:

● **س: المراد بقوله كلها في النار إلا واحدة كلها؟**

○ **الجواب**: إلا واحدة نعم، هذا وعيد.. من باب الوعيد، فيهم الكافر وفيهم العاصي، هذا كله وعيد والناجية السالمة الفرقة المعتصمة بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

الحكم على الزيادة المذكورة في الحديث: (كلها في النار):

● **س: عفا الله عنك. من طعن في هذه الزيادة؟**

○ **الجواب**: نعم صحيح.. الحديث صحيح له طرق كثيرة الحديث، لكن ما يلزم من كون أهل النار كُفرها كلها، يلزم أنها توعد القاتل والمرابي وغيرهم، بالنار هذا من باب الوعيد فيهم الكافر وفيهم غير الكافر.

*

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٥١٨).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠][١].

وهذه الآية الكريمة مفصِّلة لما أجمل في الآية الأخرى، وهي قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩]، وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية، كما قال الإمام أحمد بن حنبل، رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا عفان، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا الجعد أبو عثمان، عن أبي رجاء العُطاردي، عن ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ، فيما يروي عن ربه، عَزَّ وَجَلَّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَحِيمٌ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةً أَوْ يَمْحُوهَا اللهُ وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ تَعَالَى إِلَّا هَالِكٌ**»[٢]. ورواه البخاري، ومسلم، والنسائي، من حديث الجعد بن أبي عثمان[٣]، به. وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا معاوية، حدثنا الأعمش، عن المعرور بن سُوَيْد، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَجَزَاؤُهَا مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ عَمِلَ قُرَابَ الأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَقِيَنِي لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَهَا مَغْفِرَةً، وَمَنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا**

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٢ ـ ١٠ ـ ١٤١٤هـ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من هَمَّ بحسنة أو سيئة برقم (٦٤٩١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت برقم (٢٠٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٧٩).

اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(١). ورواه مسلم عن أبي كريب، عن أبي معاوية، به. وعن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وَكِيع، عن الأعمش، به. ورواه ابن ماجه، عن علي بن محمد الطنافسي، عن وكيع، به(٢). وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا شَيْبَان، حدثنا حَمَّاد، حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا. ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة»**(٣).

واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام: تارة يتركها لله عز وجل فهذا تكتب له حسنة على كفِّه عنها لله تعالى، وهذا عمل ونِيَّة؛ ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة، كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح: **«فإنما تركها من جرَّائي»** أي: من أجلي. وتارة يتركها نسيانًا وذُهولا عنها، فهذا لا له ولا عليه؛ لأنه لم ينوِ خيرًا ولا فعل شرًّا. وتارة يتركها عجزًا وكسلًا بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها، فهذا يتنزل منزلة فاعلها، كما جاء في الحديث، في الصحيحين: **«إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»**. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: **«إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»**(٤).

وقال الإمام أبو يعلى الموصلي: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثنا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء برقم (٢٦٨٧).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ١٧٠ برقم ٣٤٥١)، وأخرجه مسلم من طريق شيبان بن فروخ في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ برقم (١٦٢).

(٤) سبق تخريجه في (٤/ ١٩).

علي ـ وحدثنا الحسن بن الصبَّاح وأبو خَيْثَمَة ـ قالا حدثنا إسحاق بن سليمان، كلاهما عن موسى بن عبيدة، عن أبي بكر بن عبيد الله ابن أنس، عن جده أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من هَمَّ بحسنة كتب الله له حسنة، فإن عملها كُتبت له عشرًا. ومن هَمَّ بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإن عملها كُتبت عليه سيئة، فإن تركها كتبت له حسنة. يقول الله تعالى: إنما تركها من مخافتي»**. هذا لفظ حديث مجاهد؛ يعني: ابن موسى[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا من لطف الله ﷻ وعظيم إحسانه، أن العبد إذا هَمَّ بالحسنة من صدقة، أو تسبيح أو تهليل أو تكبير، أو صلة رحم، أو بر والدين، أو زيارة جار، أو عيادة مريض، ثم فعلها كتب الله له عشر حسنات.. إذا همَّ بالحسنة فلم يفعلها كتب الله له حسنة، فإن فعلها كتب الله له عشر حسنات؛ لأن همَّه بها عملٌ صالح فكتب الله له به حسنة، فإذا فعل ذلك ضوعفت إلى عشر.. إلى أكثر من ذلك، على حسب حاله وإخلاصه وصدقه واجتهاده. فإن همَّ بها ولم يفعلها تكاسلًا لم تكتب عليه ولا له، لم تكتب حسنة ولا سيئة، بخلاف اللي همَّ بها فقط، إذا هم بالحسنة فعملها كتب الله له عشر حسنات، فإن همَّ بها فلم يعملها كتب الله له حسنة إلى أضعاف مضاعفة إذا فعلها. أما السيئة مثلما قال المؤلف تنقسم إلى أقسام ثلاثة: إن همَّ بالسيئة ثم تركها من أجل الله كُتبت له حسنة، إن تركها من أجل الله من جرَّائه. فإن همَّ بها ثم تركها كسلًا

---

(١) قال البوصيري في إتحاف المهرة: هذا لفظ مجاهد بن موسى، وليس في حديث أبي خيثمة: **«فإن عملها كتبت عليه سيئة»**، وسيأتي هذا الحديث في كتاب المواعظ في باب تضعيف الحسنات، وأصله في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة..

وتهاونًا لم تكتب عليه.. لا له ولا عليه. الثالثة: همَّ وعمل، هم واجتهد حرص، لكن لم يدرك مطلوبه كالذي أراد القتل فقتل، أو أراد السرقة فلم يتمكن بأن فتح الباب وفتح المخزن.. فعل ما يستطيع، لكن حيل بينه وبين ذلك دروا به هذا يأثم لأنه فعل، لقول النبي ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»(١).

الأسئلة:

• **س: إذا كان ما حاول الفعل، بس خاف من جهة تردعه؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هو ما حاول الفعل بس خاف من جهة تردعه أو أحد يراه، وترك السيئة؟

الشيخ: ما فعل شيء؟

مداخلة: نعم.

○ **الجواب**: ما عليه شيء إلا إذا فعل شيء، هو همَّ بالسيئة ثم ترك خوفًا أن يُمسك وفلّت.. ما عليه شيء، إلا إذا فعل شيء نزل، كسر الباب، نزل في البيت، ضرب الإنسان يبي يأخذ شيئًا وفاته أو ما أشبه ذلك، فعل شيء.

الفرق بين التمني والهم في الحسنة والسيئة:

• **س: أحسن الله إليك. الرجل الذي ورد أنه أعطاه الله مالًا ينفقه في المحرَّمات، ويقول رجل آخر: يا ليت لي مثل مال فلان قال: فهو بنيته فهما في الوزر سواء، من أي هذه الأنواع أحسن الله إليك؟**

○ **الجواب**: هذا من النوع الذي عمل؛ لأنه اجتهد لكن ما قدر،

---

(١) سبق تخريجه في (٤/ ١٩).

اجتهد ولكن ما حصّل المال حتى ينفق منه فهو في الأجر سواء، وذاك في السيئة يقول: ليس مثله، يتمنى أن يكون مثله، يعني: معناه لو استطاع لعمل بالسيئات فهما في الوزر سواء، أما الذي ما عليه شيء هم ولم يفعل شيء، ولم يتمنى ولم يقل شيء.

مداخلة: أحسن الله إليك. إن همّ في الحرم.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هذا عازم يا شيخ.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هل يُعتبر عازم على الفعل؟

الشيخ: عازم ولكن ويتمنى بعد.

مداخلة: نعم.

مداخلة: أحسن الله إليك.

مداخلة: التمني عمل أحسن الله إليك؟

الشيخ: التمني نوع من العمل.

● **س: الهمُّ في الحَرَم؟؟**

○ **الجواب:** هذا مستثنى.. الهمُّ في الحرم يؤاخذ به ولو لم يفعله، هذا من خصائص الحرم، مخصوصٌ من هذه الأحاديث؛ لقوله ﷻ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] هذه الآية خاصة، وهذا من دلائل عظم الحرم وخصوصيته.

الفرق بين الإرادة والهم بالمعصية:

● **س: الإرادة أحسن الله إليك هي أقوى من الهم؟**

○ **الجواب:** الظاهر والله أعلم أنه نوع من العمل، فقال: لو كان لي مثل فلان لعملت مثل عمله. هذا قول.

مداخلة: والإرادة أحسن الله إليك، أقول: الإرادة..

الشيخ: الإرادة هي الهم.

مداخلة: ما هي أقوى من الهم؟

الشيخ: لا هي الهم، أراد ولم يفعل شيء...

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مَهْدِيّ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمٰن، عن الرُّكَيْن بن الربيع، عن أبيه، عن عمه فلان بن عَمِيلة، عن خُرَيْم بن فاتك الأسدي؛ أن النبي ﷺ قال: «**النَّاسُ أَرْبَعَةٌ وَالأَعْمَالُ سِتَّةٌ فَالنَّاسُ مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمُوسَّعٌ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَقْتُورٌ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ وَمَقْتُورٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ وَشَقِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأَعْمَالُ مُوجِبَتَانِ وَمِثْلٌ بِمِثْلٍ وَعَشَرَةُ أَضْعَافٍ وَسَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ فَالْموجِبَتَانِ مَنْ مَاتَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا لَا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ مَاتَ كَافِرًا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَعَلِمَ اللهُ أَنَّهُ قَدْ أَشْعَرَهَا قَلْبَهُ وَحَرَصَ عَلَيْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ وَمَنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَلَمْ تُضَاعَفْ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَمِلَ حَسَنَةً كَانَتْ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَمَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَتْ لَهُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ**»[١].

ورواه الترمذي والنسائي، من حديث الرُّكَيْن بن الربيع، عن أبيه، عن بشير بن عَمِيلة، عن خُرَيْم بن فاتك، به ببعضه. والله أعلم[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا يزيد بن زُرَيْع.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٦٢٥) وحسنه، والنسائي في الكبرى برقم (١١٠٢٧).

حدثنا حبيب المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «**يحضر الجمعة ثلاثةُ نَفَر: رجل حَضَرها بِلَغْوٍ فهو حَظُّه منها، ورجل حضرها بدعاء، فهو رجل دعا الله، فإن شاء أعطاه، وإن شاء مَنَعه، ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يَتَخَطَّ رَقَبَة مسلم ولم يُؤْذِ أحدًا، فهي كفارة له إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام؛ وذلك لأن الله يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾**»[(١)].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هاشم بن مَرْثَد، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني أبي، حدثني ضَمْضَم بن زرعة، عن شُرَيْح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام؛ وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾**»[(٢)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ فَقَدْ صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**»[(٣)]. رواه الإمام أحمد ـ وهذا لفظه ـ والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وزاد: «فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ اليوم بعشرة أيام»، ثم قال: هذا حديث حسن[(٤)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذه الآية عامة في جميع الحسنات، لكن أعظمها حسنة التوحيد،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الكلام والإمام يخطب برقم (١١١٣)، والإمام أحمد (٢/ ١٨١ و٢١٤).

(٢) المصدر السابق للإمام أحمد (٢/ ٢١٤).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٦٢٥) وحسنه، والنسائي في الكبرى برقم (١١٠٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر برقم (٧٦٢)، والنسائي في كتاب الصيام (٤/ ٢١٩)، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر برقم (١٧٠٨).

من جاء بحسنة التوحيد فله الأجر العظيم والنجاة والسعادة نعم، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وقد ورد فيه حديث مرفوع الله أعلم بصحته، لكني لم أروه من وجه يثبت. والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدًّا، وفيما ذُكر كفاية أن شاء الله وبه الثقة].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا لا شك أن النصوص كثيرة، ونص القرآن كافي.. نص القرآن كافي شافي، فينبغي للمؤمن الإكثار من الحسنات والحرص، وألا يحتقر حسنة.. لا يحتقر شيء **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**(١)، صانك الله، عافاك الله، رحمك الله.. وما أشبه ذلك. وقد ذكرت لكم في مثل هذا المجلس غير مرة قصة (المرأة التي جاءت تشحذ في بيت النبي ﷺ في بيت عائشة ومعها ابنتان، فلم تجد عائشة في البيت إلا ثلاث تمرات ـ في رواية تمرة، فأخذت التمرات الثلاث فأعطت كل واحدة تمرة وأخذت الثالثة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، شقَّتها بينهما نصفين ولم تأكل شيئًا، قالت عائشة: فأعجبني شأنها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته فقال: **«إن الله أوجب لها من الجنة»** هذه التمرة التي شقتها، رواه البخاري في الصحيح وغيره، وهذا شاهد لقوله: **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**. فإذا أعطى ريال، قرش قرشين، لقمة.. غير ذلك مما يستطيع، فهذا أعظم من شق التمرة. وهكذا إذا رد بكلمة طيبة، دعوة صالحة هذه أحسن، له أجر ذلك.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة... برقم (١٤١٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة... برقم (١٠١٦).

الأسئلة:

مداخلة: أحسن الله إليك. بالنسبة للسيئة في رمضان هل تضاعف..؟

الشيخ: نعم؟

● **س: السيئة في رمضان أعظم من غيرها في غيره؟**

○ **الجواب:** شهر رمضان تضاعف فيه الأعمال، وعشر ذي الحجة الأولى في الحرم الشريف في مكة المكان، وكذلك بعض الناس ممن له نشاط في الخير أعمال صالحة وقوة إيمان تضاعف له الأعمال أكثر من غيره؛ لكمال إيمانه وكمال تقواه ونشاطه وإخلاصه وصدقه...

مداخلة: السيئة في رمضان.

الشيخ: تضاعف من جهة الكيفية، السيئة من جهة الكيفية ليس من جهة العدد، سيئة في رمضان أعظم من سيئة في شعبان من جهة الكيفية من جهة الإثم، ولكن ما تعدد ما يكون سيئتان ولا عشر، سيئة واحدة لكنها أعظم من جهة الإثم، وهكذا سيئة في الحرم، سيئة في عشر ذي الحجة أعظم.

مداخلة: والدليل..

الشيخ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] نص القرآن.

مداخلة: الدليل على أنها تعظم؟ السيئة؟

○ **الجواب:** ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: ٢٥]، ولأن الحسنات فيه مضاعفة، فالسيئات كذلك من جهة الإثم، وأما العدد لا؛ لأن الله نصَّ بقوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، هذا عام نصٌّ من القرآن، لا تعدد السيئة، كل من جاء بالسيئة يعطى مثلها، لكن المثل يختلف.. المثل في رمضان، وفي عشر ذي الحجة، وفي الحرم الشريف، ليس المثل مثله بغيره.

● **س: مضاعفة السيئة في الأشهر الحُرُم؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: وفي الأشهر الحُرم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

○ **الجواب**: الأشهر الحرم فيها الخلاف من جهة القتال فقط.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال ابن مسعود: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] من جاء بـ«لا إله إلا الله»، و﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يقول: بالشرك.

وهكذا ورد عن جماعة من السلف.

وقد ورد فيه حديث مرفوع ـ الله أعلم بصحته، لكني لم أره من وجه يثبت ـ والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدًّا، وفيما ذكر كفاية، إن شاء الله، وبه الثقة.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ **[الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣]**(١).

يقول الله تعالى آمرًا نبيه ﷺ سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾؛ أي: قائمًا ثابتًا، ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾، كقوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في مغرب الأحد ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٤١٤هـ.

[البقرة: ١٣٠]، وقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٨].

وقوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كله واضح في أن دين الإسلام صراط مستقيم، ليس فيه خفاء بل هو طريقٌ واضح، يوصل من سلكه إلى غاية السعادة والنجاة والعاقبة الحميدة، ولهذا ذكره الله في مواضع كثيرة بأنه صراط مستقيم، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ١٦١] يعني: قل يا أيها الرسول للناس، بلِّغهم هذا، أن الله هداك إلى هذا الصراط العظيم، وأنه دين يُدان به، يتعبد به المؤمن، وأنه قيّم ليس فيه اعوجاج، كما في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فهو سبحانه له الصراط المستقيم وهو على الصراط المستقيم، ورسله يدعون إلى الصراط المستقيم، وهكذا دعاة الحق، فتوحيد الله والإخلاص له، والإيمان برسوله ﷺ، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، مع أداء الفرائض وترك المحارم.. هذا هو الصراط المستقيم، هذا هو دين الله، هذا هو دين الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: ٩٠].

فالواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يلزموا هذا الصراط، وأن لا يحيدوا عنه من أجل إضلال الضالين وتشبيه المشبهين، وأغراض المغرضين، بل يجب أن يلزموه في السر والجهر، في الشدة

والرخاء، في جميع الأحوال؛ لأنه طريق النجاة وما خرج عنه هو طريق الهلاك. وبيّن في سورة الفاتحة أنه هو صراط المنعم عليه من الرسل وأتباعهم، هو طريق المنعم عليهم الذين وفِّقوا للعلم والعمل، للعلم النافع والعمل الصالح هو صراطهم، وهم الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة. وحذّر من الشُّبَه التي قد يُلبّس بها بعض الناس بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] يعني: الطرق الأخرى التي يشبّه بها الناس ويدعو إليها الناس، ويقول إنها سبل اتركوها احذروها؛ لأنها تزيغ بكم عن سبيل الله وعن صراطه المستقيم.

فعلى أهل العلم الدعاة إلى الله ﷻ أن يلزموا هذا الصراط، وأن يوضِّحوه للناس قولًا وعملًا، في مجالسهم وفي مواعظهم، وفي خطبهم، وحلقات العلم ومذاكراتهم.. وغير هذه الطرق والوسائل التي بها البلاغ؛ لأن الناس كلما طال الزمن وبعُد العهد عن عهد النبوة زاد الجهل واشتدت الغربة، فوجب على أهل العلم أن يبيّنوا وأن يوضحوا، وأن يصبروا حتى تقوم الحجة وتنقطع المعذرة، ويجد طالب الحق من يهديه ويرشده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وليس يلزم من كونه عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمِرَ باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قام بها قيامًا عظيمًا، وأكملت له إكمالًا تامًّا لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرهب إليه الخلق حتى إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد قال ابن مَرْدُوَيه: حدثنا محمد بن عبد الله بن حَفْص، حدثنا أحمد بن عِصام، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، أنبأنا سلمة بن كُهَيْل، سمعت ذر بن عبد الله الهَمْدَاني، يحدث عن ابن أَبْزَى، عن أبيه

قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الإِخْلَاصِ وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن داود بن الحُصَين، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحبّ إلى الله؟ قال: «**الحنيفية السمحة**»(٢).

وقال [الإمام] أحمد أيضًا: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد، عن هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: وضع رسول الله ﷺ ذقني على منكبه، لأنظر إلى زَفْن الحبشة، حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه.

قال عبد الرحمٰن، عن أبيه قال: قال لي عروة: إن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ يومئذ: «**لتعلم يَهودُ أن في ديننا فُسْحَةً، إني أرسلت بِحَنيفيَّة سَمْحَة**»(٣).

أصل الحديث مُخَرَّجٌ في الصحيحين، والزيادة لها شواهد من طرق عدة، وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري، ولله الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى أنه كاملٌ فيما يتعلق بحاجات الناس في الدنيا، كما أنه كامل فيما يتعلق بالشرائع التي شرعها الله ﷻ، وجاء بالسماح والتيسير فيما تدعو له الحاجة، من اللعب الذي ينفع ولا يضر كالمسابقات

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر ساقه بعد الحديث رقم (٣٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١١٦).

بالأقدام، بالخيل، بالإبل، بالرمي.. بغير هذا من أنواع السلاح، كالتي فعلت الحبشة في المسجد بالحراب وغيرها.

وأذن لعائشة أن تنظر لعموم، كل هذا مما فيه التيسير والتسهيل، أنه لا مانع من النظر لعموم الرجال في لعبهم المباح على وجهٍ لا خطر فيه ولا فتنة فيه، ومن هذا ما أباح الله من الدف للنساء في الزواج، الدف للجواري في أيام العيد، ومن هذا ما جاءت به الشريعة من نقل الشعر، واستعمال الأشعار التي ليس فيها محذور لنقل العلم وحفظ العلم، أو حثًّا على الخير أو تحذيرًا من شر، وغير هذا مما جاءت به الشريعة مما فيه قوة للنفس وترويحٌ لها من دون إثم. فكل هذا من كمال الشريعة المحمدية، ليس فيها آصار وأغلال كما في التوراة.

• **س: الحكم على حديث: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ».**

○ **الجواب:** لا بأس به، عندي ذكرت تخريجه في غالب ظني أنه مذكور في تحفة الأخيار في الأدعية والأذكار التي جمعناها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]؛ أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

قال مجاهد في قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ قال: النسك: الذبح في الحج والعمرة.

وقال الثوري، عن السُّدِّي عن سعيد بن جُبَيْر: ﴿وَنُسُكِي﴾ قال: ذبحي. وكذا قال السُّدِّي والضحاك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عَوْف، حدثنا أحمد بن خالد الوَهْبِي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن زيد بن أبي حبيب، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله قال: ضَحَّى رسول الله ﷺ في يوم عيدٍ بِكَبْشَيْنِ وقال حين ذبحهما: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

الشيخ: كذا عندكم أو الدهلي؟

مداخلة: الوهبي.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الوهبي.

الشيخ: وهبي؟

مداخلة: بالباء أحسن الله إليك.

الشيخ: وهبي بالباء؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: محمد بن خالد..

مداخلة: أحمد بن خالد

مداخلة: أحمد بن خالد الوهبي

الشيخ: انظر التقريب..

ترجمة أحمد بن خالد بن موسى الوهبي الكندي أبو سعيد الوهبي صدوق من التاسعة مات سنة أربع عشرة، في البخاري في جزء القراءة والأربعة.

الشيخ: فيه غيره أحمد بن خالد؟

مداخلة: الخلال.

الشيخ: لا. أحمد بن خالد.

مداخلة: لا لا.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أحمد بن خالد الخلال

الشيخ: غيره؟

مداخلة: لا يوجد إلا اثنين بس.

الشيخ: نعم.

مداخلة: في الخلاصة قال الذهبي

الشيخ: لا. الظاهر أنه تصحيف الوهبي.

مداخلة: في بعض النسخ أيضًا الذهبي.

الشيخ: نعم؟

الشيخ: ضع نسخة الوهبي؟

مداخلة: نعم؟

الشيخ: الذي عنده الذهبي يضع نسخة الوهبي، والذي عنده وهبي يضع ذهبي حتى نراجع التهذيب والميزان وغيره، ما دام في الخلاصة كذا كذلك ننظر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الآية مثل قوله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢]. وفسّر قومٌ (نسكي) بعبادتي، يعني: جميع العبادات من ذبح، وصوم، وحج.. وغيرها، وتفسيرها بالعبادة يكون أعم، وتفسيرها بالذبح أخص، كما في آية الكوثر، والصلاة والنسك

عبادتان عظيمتان هذه بدنية، وهذه مالية، والبقية كذا.. بقية العبادات هكذا إما بدنية وإما مالية، كلها لله وحده الصلاة والنسك، هكذا الصدقات والنذور، الصوم، الحج، وسائر العبادات يجب أن تكون لله وحده.

حكم قول: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات...».

● **س: شرعية هذا الذكر عند ذبح..؟**

○ **الجواب:** مستحب.. عند الذبح مستحب، نعم عند الذبح.

مداخلة: ثابت؟

الشيخ: نعم لا بأس به نعم.

مداخلة: ما يطول عليه؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: ما يطول عليه؟

الشيخ: لا. ما فيه طول.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ قال قتادة: أي من هذه الأمة.

وهو كما قال، فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقد أخبر تعالى عن نوح أنه قال لقومه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال موسى ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥ ـ ٨٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الآية [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا كله يبيّن أن الإسلام هو دين الله، فهو دين آدم ومن بعده، ودين نوح ومن بعده.. وهكذا، إلى محمد ﷺ، هو دين الأنبياء جميعًا. فقوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ يعني من هذه الأمة، وإلا فآدم قبله ونوح قبله.. وهكذا. فدين الإسلام هو دين الأنبياء جميعًا، وهو دين الله في الأرض، سار عليه آدم.

وذريته المسلمون، وهكذا من بعدهم من الأنبياء والرسل إلى أن وصلت الدورة والنوبة إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

مداخلة: قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤] وجه التفريق بين الأنبياء..

الشيخ: نعم ماذا؟

مداخلة: الأنبياء سمَّاهم بالذين أسلموا، قال: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هل فيه وجه للتفريق بينها؟

الشيخ: ما هو الإشكال؟

مداخلة: الأنبياء سمَّاهم أسلموا.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الأنبياء قال: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [المائدة: ٤٤] ثم قومهم قال: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤].

الشيخ: كلهم، كل الأنبياء مسلمين، أسلموا يعني: انقادوا لله، خضعوا لله ووحَّدوه، كل مسلم هكذا أنبياء وغيره، أسلموا يعني: خضعوا لله وذلوا له، وعبدوه وحده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأخبر الله تعالى أنه بعث رسله بالإسلام، ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضًا، إلى أن نسخت بشريعة محمد ﷺ التي لا تنسخ أبد الآبدين، ولا تزال قائمة منصورة، وأعلامها مشهورة إلى قيام الساعة؛ ولهذا قال عليه [الصلاة والسلام: «**نحن مَعاشِر الأنبياء أولاد عَلَّات ديننا واحد**»[١]، فإن أولاد العلات هم الإخوة من أب واحد وأمهات شَتَّى، فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات، كما أن إخوة الأخياف عكس هذا، بنو الأم الواحدة من آباء شتى، والإخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: أن الإخوة ثلاثة أقسام: إخوة لعلات وهم الإخوة لأب، فالشرائع مشبهة بهم، الأنبياء.. ديننا مشبه بهم، فالعقيدة واحدة بمنزلة الأب وهو دين الله التوحيد والإسلام الذي هو الخضوع لله وعبادته

(١) سبق تخريجه في (٧/ ٣٥٦).

وحده، والشرائع المتنوعة بمنزلة العلات الزوجات. وأولاد الأخياف أولاد الآباء المتعددة من أم واحدة وهم الإخوة لأم، وأولاد الأعيان يقال: إخوة الأعيان الذين من أم وأب وهم الأشقاء.

مداخلة: أحسن الله إليك! ما هو سبب تخصيص ملة إبراهيم عليه السلام بالاتباع دون سائر ملل الأنبياء؟

الشيخ: الظاهر والله أعلم لما حباه الله من العلم العظيم والشرائع العظيمة، وما نشره من الذكر الحكيم، وما قام به من بناية الكعبة.. وغير هذا من الخصائص التي جعله الله بها أمة وحده، ثم جعل الأنبياء بعده من ذريته، فله مزايا نعم، ولهذا نُبِّه على أنه على ملة إبراهيم وهي ملة الأنبياء، لكن له خصائص عظم بها وشرف بها حتى صار أشرف الأنبياء ما عدا محمد عليه الصلاة والسلام.

● **س: أحسن الله إليك! قوله**: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾؟

الشيخ: يعني: من هذه الأمة.

مداخلة: إذا دعا.

○ **الجواب**: لا. الشخص يقول: من المسلمين، النبي يقول: أنا أول المسلمين؛ لأنه الأول من هذه الأمة، أما أنت تقول: وأنا من المسلمين، كما في الرواية الأخرى: «**وأنا من المسلمين**».

● **س: استفتح ثم قال.. يقول: استفتح ثم قال؟**

○ **الجواب**: استفتح.. هو يعني قال: الله أكبر، استفتح يعني: كبر. نعم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشُون، حدثنا عبد الله ابن الفضل الهاشمي، عن الأعرج،

عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا كبَّر استفتح، ثم قال: «﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾، **اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**». ثم ذكر تمام الحديث[١] فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد. وقد رواه مسلم في صحيحه[٢].

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤][٣].

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾؛ أي: أطلب ربًّا سواه، وهو رب كل شيء، يَرُبّنِي ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري؛ أي:

(١) أخرجه في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل برقم (٧٧١).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٠٢).
(٣) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٦ - ١١ - ١٤١٤هـ.

لا أتوكل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر.

هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له. وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرًا في القرآن كما قال تعالى مرشدًا لعباده أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وأشباه ذلك من الآيات.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه الجمع بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة، وفي ضمن ذلك توحيد الأسماء والصفات، فالمؤمن يعتقد أن الله ربه ومالكه، وأنه سبحانه المتصرف في عباده، وعليه التكلان، وهو المدبر للأمور، القاضي للحاجات، المتصرف في العباد، وبذلك استحق العبادة؛ ولهذا احتج الرب عَزَّ وَجَلَّ على الكفار بما أقروا به، من توحيد الربوبية، على ما جحدوه وأنكروه من توحيد العبادة، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾، بعد ما بين وجوب إخلاص العبادة له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، ثم قال بعده: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾، هو ربي المستحق لأن أعبده، وهو ورب كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مالك كل شيء، مدبر كل شيء، هو المستحق لأن يعبد ويطاع ويعظم، لكونه مالك الجميع، والقاهر فوق عباده، والمتصرف في عباده، بيده ضرهم ونفعهم، وحياتهم، وموتهم وشدتهم، ورخاؤهم، وغير ذلك بيده، فهو المستحق لأن يعبد، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، يعني: إياك نعبد وحدك، وإياك نستعين؛ لأنك المالك القادر ﴿قُلْ هُوَ

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك: ٢٩]، ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: عبدناه وحده، وعليه توكلنا؛ لأنه مالكنا وربنا.

معنى قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾.

﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، اعبده لأنه مستحق العبادة، وتوكل عليه؛ لأنه مالك لكل شيء، بيده الضر والنفع، والتوكل: تفويض الأمور إلى الله، والاعتماد عليه فيها مع القيام بالأسباب، المتوكل: هو الذي يقوم بالأسباب يعبد الله ويطيع أمره ومع ذلك يتوكل عليه، يعني: يعتمد عليه، ويعلم أنه منفذ الأمور، وقاضيها، والمالك لها. فالعبادة: وسيلة لقضاء الحاجات من مالكها والقادر عليها، فمن أراد أن تنفذ حاجته، وأن يفوز بالسعادة فليأت بالأول وهو العبادة، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]،.. إلى آخره، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فالأول: هو المقصود، والثاني: وسيلة لذلك، التوكل على الله والاعتراف به، الإقرار به، وأنه رب العالمين، وعدم التشريك في ذلك، هو الدليل والحجة على الأول، على إخلاص العبادة لله وحده.

وفي ضمن ذلك الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ لأنه كان ربًّا بسبب ما اتصل به من القدرة، والعلم، حكمة، رحمة، والسمع، والبصر إلى غير ذلك من الصفات العظيمة، التي بها صار قادرًا على كل شيء، ومدبرًا لكل شيء بقدرته العظيمة، وعلمه العظيم، الكامل، وحكمته، وسمعه، وبصره، وأنه لا يخفى عليه خافية ﷻ، فهو الجدير والحقيق بأن يعبد وحده. ولهذا قدم الصفات هذه على العبادة: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٤]، ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، هذا الموصوف هو الذي يعبد ويتوكل عليه، فتوحيد الربوبية مشتمل على جميع الأسماء والصفات، وكلها في ضمن توحيد العبادة: لا إله إلا الله،

متضمنة لجميع الأسماء والصفات؛ ولأنه سبحانه المالك، القادر، المتصرف في عباده، ولهذا استحق أن يكون هو المعبود بالحق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد. وهذا من عدله تعالى، كما قال: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨]، وقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، قال علماء التفسير: فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩]، معناه: كل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذراريهم، كما قال في سورة الطور: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية: ٢١]؛ أي: ألحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال، بل في أصل الإيمان، ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾؛ أي: أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئًا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم، بفضله ومنّته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من جوده وكرمه، كونه سبحانه يرفع الأولاد إلى منازل الآباء والأمهات رحمةً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفضلًا منه، وجزاءً للوالدين على أعمالهم الطيبة، أن يقر أعينهم بأن يكون أولادهم معهم، ما داموا مؤمنين، مسلمين، يرفعهم سبحانه، حتى يكونوا مع آبائهم، حتى تقر أعينهم بهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن

شَيۡءٖ﴾ [الطور: ٢١]، يعني ما نقصنا الوالدين، ما نقصهم، بل رفعهم سبحانه، ولكنه زاد في أجر الأولاد ورفع الأولاد، من أجل الوالدين، من أجل أعمال الوالدين، وإخلاصهم وصدقهم، جعل من أجرهم، وجعل من ثوابهم أن يرفع إليهم أولادهم، الذين ماتوا على الإسلام والإيمان.

مداخلة: أحسن الله إليك المراد بالذرية في قوله تعالى: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾.

ممن لم يبلغ؟

الشيخ: نعم.

• **س: الذرية المراد بهم من لم يبلغ؟**

○ **الجواب**: نعم. نعم. ظاهر النص العموم: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١]، أما الصغار الذين ماتوا على الفطرة، فهم تابعون لآبائهم أيضًا، ماتوا على الفطرة فهم من أهل الجنة، لكن حتى الكبار الذين دخلوا الجنة بالإيمان، الله يرفعهم إلى والديهم، لأن قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ عام، يعم المكلفين وغير المكلفين، وقوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾، يعم الإيمان الفطري الإيمان التبعي، والإيمان الكسبي يعم الجميع.

• **س: فإذا كان ولده أعلى درجة؟**

○ **الجواب**: يرجى أن يرفع الله الآباء إليه، يرجى، قال بعض السلف، استنبط من هذا أن يرفع الآباء أيضًا، إلى درجة الأبناء الذين هم أرفع، كما رفع الأولاد إلى درجة الوالدين، يجري منه سبحانه أيضًا أن يرفع الوالدين إلى درجة الأولاد الذين هم أرفع منه، حتى تقر أعينهم بهم، وتقر أعين الأولاد بوالديهم أيضًا، وليس ببعيد على الله ﷻ، وهذا من جنس هذا. فالأقرب والله أعلم أن رفع الأولاد إلى الوالدين للتنبيه على العكس، من رفع الآباء والأمهات إلى الأولاد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور: ٢١]؛ أي: من شر.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤﴾؛ أي: اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه، فستعرضون ونعرض عليه، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥﴾ [سبأ: ٢٥، ٢٦].

❊

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾ **[الأنعام: ١٦٥]**(١).

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾؛ أي: جعلكم تعمرون الأرض جيلًا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، وخلفًا بعد سلف. قاله ابن زيد وغيره، كما قال: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾؛ أي: فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوي، والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في ذلك، كقوله: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٦ - ١١ - ١٤١٤هـ.

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من الدلائل على حكمته العظيمة، وعلمه العظيم، وقدرته الكاملة، أن فاوت بينهم: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، في الدنيا والآخرة، في الدنيا هم متفاوتون، في العلوم والأفهام والأخلاق والصور، وغير ذلك، وفي الآخرة كذلك، منازلهم مختلفة، ونعيمهم مختلف، وإن كانوا كلهم في سرور، أهل الجنة في سرور، وأهل النار في عذاب، لكنهم متفاوتون، وهو الحكيم العليم جَلَّ وَعَلَا. وفي ذلك حفز المؤمن على المسابقة إلى الخيرات، والمسارعة إلى الطاعات، وأنه بذلك يزداد عند الله رفعة ودرجة ومنزلة، وفي ذلك أيضًا تحذير لأصحاب المعاصي، وأصحاب الكفر، وأن المعاصي كل ما زادت، وكلما زاد الكفر زاد البلاء، وزاد العذاب، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾؛ أي: ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره.

وقد روى مسلم في صحيحه، من حديث أبي نَضْرة، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدنيا حُلْوَة خَضِرَة وإن الله مُسْتَخْلِفكم فيها فينظُر كيف تعمَلُون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(١).

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ ترهيب

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب برقم (٢٧٤٢).

وترغيب، أن حسابه وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ لمن والاه واتبع رسله فيما جاءوا به من خير وطلب.

وقال محمد بن إسحاق: يرحم العباد على ما فيهم. رواه ابن أبي حاتم.

وكثيرًا ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كما قال تعالى: وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦] وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا لِيَنْجَع في كُلٍّ بحَسَبِه. جَعَلَنا الله ممن أطاعه فيما أمر، وترك ما عنه نهى وزَجَر، وصدَّقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب سميع الدعاء، جواد كريم وهاب.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا زُهَيْر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ فِي الْجَنَّةِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدٌ خَلَقَ اللهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَوَضَعَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ يَتَرَاحَمُونَ بِهَا وعَنْدَ اللهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً**»(١).

ورواه الترمذي، عن قُتَيْبَة، عن عبد العزيز الدَّراوَرْدي، عن العلاء به. وقال: حسن صحيح(٢). ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلي بن حُجْر، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة برقم (٣٥٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى برقم (٢٧٥٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من رحمته ﷻ، والإحسان إلى عباده، أن رغَّبهم ورهبهم حتى يتوبوا إليه وينيبوا، رجاء رحمته وإحسانه، وخوف عقابه ونقمته، وهو سبحانه الغفور الرحيم، وهو سبحانه شديد العقاب، فلا يجوز للعبد أن يأمن مكره، ولا يجوز له أيضًا أن يقنط من رحمته، بل يجب أن يسير إلى الله بين هذا وهذا، فإن الرحمة بين الرجاء والخوف، وإذا غلب جانب الخوف في الصحة كان ذلك أنفع كما قال جمع من السلف، وفي حال المرض يغلب جانب حسن الظن لقوله ﷺ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ**»[1]، ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، فمن مال إلى القنوط فقد قنط، وساء ظنه، ومن مال إلى الأمن فقد قنط، فالواجب الحذر، وأن يكون بين الخوف والرجاء، لعله ينجو، فالخوف يحمله على الحذر من السيئات والتساهل، والرجاء يحمله على المسارعة إلى الطاعات والاستقامة عليها، والوقوف عند حدود الله، نعم. الله المستعان.

[آخر تفسير سورة الأنعام ولله الحمد والمنة]



(١) سبق تخريجه في (٤/ ٢٥١).

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث | الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
ـ عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا	١٦٧
ـ فَإِنَّكُمْ لَا تَطْعَمُونَهُ إِنْ تَدْبُغُوهُ فَتَنْتَفِعُوا بِهِ	٣٣٧
ـ فمنعني هذه	١٠٥
ـ قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللهَ ﷻ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ	٣٤٢
ـ قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ	٣٤٢
ـ قَالَ لِي جِبْرِيلُ عليه السلام	٢٨٧
ـ قَالَ اللهُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي	٣٥٤
ـ قد كانت صَلَاةُ رَغَبٍ وَرَهَبٍ	١٠٠
ـ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ	١٣٩
ـ قم فصلِّ	٢٤٨
ـ قيل لي أنت منهم	١٦٦
ـ كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ	٢٩٩
ـ الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ	٢٥٠
ـ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا	٣٢٦
ـ لا أحد أغير من الله	٣٦٤
ـ لا أشك ولا أسأل	٢٥٢
ـ لا ترجعوا بعدي كفارًا	١٢٣، ١٨٣
ـ لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَ الْيَهُود	٣٤٥
ـ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْنَ عَشْرَ آيَاتٍ	٣٩٥
ـ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ	٤٠٤
ـ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا	٣٥٠، ٣٩٢
ـ لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتَلُ	٤٠٢
ـ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ	٢٩٨
ـ ما ينبغي لعبد أن	١٨٨
ـ لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى	١٨٨
ـ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ	٣٦٦
ـ لقد شيع هذه السورة	٦
ـ لتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً	٤٢٣
ـ لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ	٣٤٢
ـ لا يموتن أحد منك إلا وهو	٤٣٩

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
ـ نَبِيُّكُمْ ﷺ مِمَّنْ	١٨٩
ـ نحن معاشر الأنبياء	٤٢٩
ـ نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْعَام معها	٧
ـ نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الأَنْعَامِ جملة	٧
ـ نعم هم شر من شياطين الجن	٢٤٨
ـ نهى رسول الله ﷺ عن	٣٣٢
ـ هَذَا أَهْوَنُ أَوْ هَذَا أَيْسَرُ	١٢٥
ـ هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ	٣٧٧
ـ هو الطهور ماؤه	٣٣٥
ـ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ	٣٥٤
ـ وَأَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ	١٦٤
ـ والذي نفسي بيده	١٤٨
ـ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ	٣٦٩
ـ وليس أحد أحب	٣٧٠
ـ يا بني آدم إن كنتم تعقلون	٣٠٨
ـ يَا سَلْمَانُ لَا تَبْغَضْنِي فَتُفَارِقَ	٢٨٩
ـ يا عم ما أنا بالذي	٢٣٤
ـ يا غلام سَمِّ الله	٢٦٥
ـ يحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ	٤١٧
ـ يكون في أمتي قذف	١٢١
ـ يقول الله ﷻ من عمل	٤١١
ـ يقول الله تعالى، قال الله	٣٥٤



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة